

رَفَع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مُقَدِّمَةٌ فِي

أَصُولِ النَّفْسَانِ

وَقَوَاعِدِهِ

لَفَضِيلَةِ الشَّيْخِ

مُصْطَفَى بْنِ الْعَدَوِيِّ

مَكْتَبَةُ مَكَّةَ

أحمد حفصي

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مُقَدِّمَةٌ فِي

أَصُولِ النَّفْسَانِ

وَقَوَاعِدِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠١٣هـ - ١٤٣٤م

رقم الإيداع: ٢٠١٣/٢٩٢٧

مَكْتَبَةُ مَلَكَةَ

طنطا: ١٠ ش طه الحكيم - أمام استوديو فينوس

ت: ٠٤٠٣٣٥٦٦٩٦

محمول: ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

مُتَدِمَةٌ فِي

أُصُولِ النَّفْسَانِ

وَقَوَاعِدِهِ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ

مُصْطَفَى بْنِ الْعَدَوِيِّ

مَكْتَبَةُ مَكَّةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في كتابه الكريم: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ كُنْ مِنَ الْهُدَىٰ فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

سبحانه خزائن كل شيء بيده ومنتهى الأمور كلها إليه.

وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله أرسله، الله عز وجل بالحق بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، فأدى الأمانة حق الأداء، وبلغ الرسالة حق البلاغ، فصلوات ربي وسلامه على هذا النبي الكريم والرسول الأمين والبشير النذير، والهادي بإذن ربه إلى صراط مستقيم، أنزل الله عليه خير كتاب، نزل به خير ملك في خير البقاع، وجعله سيدًا لولد آدم، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آل بيته وصحبه الكرام، ومن دعا بدعوته واستن بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فمن أجل القربات التي نتقرب بها إلى الله عز وجل ومن أفضل العبادات التي يتنافس فيها المتنافسون تعلم كتاب الله عز وجل وتدارسه وتلاوته وتعليمه وتدبر آياته والقيام به والدعوة إليه والعمل به مع صالح النوايا وصحيحها.

وذلك بأن هذا الكتاب مبارك، أشهد الله له بذلك فقال عز وجل:

﴿كُنْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

وقال: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [ص: ٢٩].

كتاب مبارك عند تعلمه فيثاب المرء على تعلمه، وكتاب مبارك عند تعليمه فيثاب المرء عند تعليمه، مبارك على الشخص في دنياه ومبارك عليه في قبره. ومبارك عليه يوم لقاء الله عز وجل.

أهله هم أهل الله وخاصه كما قال النبي الأمين عليه أفصل صلاة وأتم تسليم، فقد قال: «إن لله عز وجل أهلين من الناس» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»^(١).

تتنزل السكينة عند تلاوته وتحف الملائكة قارئيه وترطب به الألسن وتطمئن به القلوب وتقوى به الأبدان وتخس الشياطين عند تلاوته، الخيرته لحامله وقارئه ومعلمه.

فقد قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٢).

مبارك عند تلاوته، فقد قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(٣)

[فاطر: ٢٩، ٣٠]

وقال جل ذكره: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾^(٤) [الأعراف: ١٧٠] ولقد قال رسول الله ﷺ: «... وَمَا اجْتَمَعَ

(١) أخرجه أحمد (٣/١٢٧) بسند حسن.

(٢) البخاري مع الفتح (٩/٧٤).

قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»^(١).

ترتفع به الدرجات وتحط به الخطيئات ويحصل به السبق والفوز العظيم يوم يقوم الأشهاد!!!

طعم قارؤه العامل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب!!
«الماهر به مع السفرة الكرام البررة».

«والذي يقرؤه ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران» أهله هم الأئمة في الصلوات والمقدمون في القبور والجنّات معلموه ودارسوه هم الربانيون، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]
ولقد قال جل ذكره: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

[المجادلة: ١١]

أصحابه في الدرجات العلى يوم القيامة، يقال لأحدهم: «اقرأ وارتنق ورتل فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»^(٢).

قراءة آية منه خيرٌ من ناقة وآيتين خيرٌ من ناقتين.

ومن أعدادهن من الإبل!!!

الحرف به حسنة والحسنة بعشر أمثالها وكما في الأثر «لا أقول ﴿آلَمَ﴾

حرف، بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف»^(٣).

(١) مسلم مع النووي (٢١/١٧).

(٢) انظر سنن أبي داود (١٥٣/٢) فهناك بإسناد حسن.

(٣) أخرجه الترمذي بسندٍ حسن لكنه أعلّ بالوقف.

* إنه ربيع القلوب وشفاء الصدور ودواء للأبدان وذهاب للأحزان وكذا
للهموم والغموم بإذن الله !!

* أصدق كتاب وأحسن حديث، وقائد لمن تبعه إلى جنات النعيم.
* نور وبصائر في الدنيا، ومؤنس في القبور والوحشة وشفيع يوم يقوم
الأشهاد.

﴿يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: ٢].

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١١)

[المائدة: ١٦].

أقسم الله به في مواطن كثيرة، ووصفه بأنه كريم ومجيد وعظيم وحكيم
ومهيمن ومبارك!!!

* صدق الله إذ قال: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ
بِهِ الْمَوْتُ﴾ [الرعد: ٣١].

أي: لكان هذا القرآن.

* صدق الله إذ قال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ
خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

شرف لحامله وشرف لمن أنزل عليه وشرف للبلدة التي نزل بها وشرف
لأهلها، كذلك وشرف للعاملين به.

تداوى به الأبدان وتشفى به الصور المؤمنة به.

قال جل ذكره: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الإسراء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ

وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧].

ولقد أوصى به الله عزَّ وجل.

أوحى بتلاوته وبتدبره وبالعمل به وبالدعوة إليه وبتعليمه وتبليغه والقيام

به وحسن ترتيله !!!

وأوصى به رسول الله ﷺ كذلك فقد قال: «الدين النصيحة»، قالوا: لمن يا

رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: أوصى يعني النبي

ﷺ بكتاب الله عزَّ وجل.

وقال رسول الله ﷺ: «وإني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله» فحث على

كتاب الله ورغب فيه^(١).

فإلى وصية الله عزَّ وجل، وإلى وصية رسوله الأمين عليه أفضل صلاة

وأتم تسليم.

إلى تدارس هذا القرآن وتعلمه وتعليمه والدعوة إليه.

فلا يزهديكم في القرآن مزهداً!!

ولا يصدنكم عنه صاداً!!

ولا يعوقنكم عنه معوق!!

ولا يصرفنكم عنه صارف.

فكم من مثبط وكم من معوق، وكم من صادٌ وكم من صارف أعادنا الله

والمسلمين منهم، بل وكم من جاحد، وكم من كافر وكم من منكر!!!

فاثبتوا يا أهل الإسلام، واثبتوا يا أهل القرآن.

فلتزين بالقرآن الأصوات، ولترتفع به الدرجات، ولتزداد به الأجور.

فإلى هذا الكتاب العزيز والاستمسك به وتعلمه وتعليمه.

فمن الجدير بهذا القرآن أن يعلم وأن يتدارس وأن نقف على طرائق ذلك

مستعينين بالله عزَّ وجلَّ سائلين إياه التوفيق.

* ولبعض ما ذكر أحببت أن أسوق طائفة من أصول التفسير وقواعده

التي سار عليها أهل السنة والجماعة رحمهم الله في تفاسيرهم للكتاب

العزيز، استنبطها من طرائق المفسرين من أهل السنة والجماعة ثم من

الكتب المصنفة في الباب، وعززتها بأمثلة كثيرة حتى تتضح المعاني وتتجلى

مستعيناً بالله عزَّ وجلَّ في ذلك سائلاً إياه التوفيق والسداد.

وأسأله سبحانه أن ينفعني والمسلمين بها وأن يرزقنا العلم بكتابه وامتثال

أمره، واجتناب ما نهانا عنه سبحانه.

وما كان فيها من صوابٍ فمن الله عزَّ وجلَّ وحده فله النعمة وله الفضل

وله الثناء الحسن، وما كان من خطأ ومن شططٍ فمن نفسي ومن الشيطان،
وأستغفر الله وأتوب إليه.

وإلى بيان المراد، والله المستعان.

وصلى اللهم على نبينا محمد وسلم تسليمًا كثيرًا والحمد لله رب
العالمين.

كتبت

أبو عبد الله / مصطفى بن العدوي

منية سمونود - اجا - دقهلية

* * *

الأصل الأول من أصول التفسير

تفسير القرآن بالقرآن

فإنه عزَّ وجل أنزل القرآن، وهو أعلم بمراده عزَّ وجل.

❖ فقد يجمل القول في موطنٍ ويفصل في موطنٍ آخر.

وهذا أكثر ما يحدث في قصص عددٍ من الأنبياء كقصة نبي الله موسى

ﷺ، فقد يجمل القول في موطنٍ ويفصل في آخر، وغير ذلك كثير.

❖ وقد يطلق القول في موطنٍ ويقيد في موطنٍ آخر كقوله تعالى: ﴿أَجِيبْ

دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ [البقرة: ١٨٦].

يقيد ذلك بمشيئة الله عزَّ وجل كما قال سبحانه: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ

شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١]، وقد يكون هناك عامٌّ في موطنٍ ويخصص في موضع آخر

أو مجملٌ يبين المراد منه في موطنٍ آخر.

وقد يظهر من الآية معنى لكن يكون في نفس الآية أو بعدها ما يضعف

هذا الظاهر، ويبين أن المراد أمرٌ آخر.

وهكذا.

فأحسن ما يفسر به القرآن هو القرآن وأولى ما يفسر به القرآن هو القرآن.

وأسوق هنا جملة من الأمثلة لإيضاح ما سبق بيانه، والله المستعان ولا

حول ولا قوة إلا بالله.

أمثلة لتفسير القرآن بالقرآن^(١)

﴿ تفسير «العالمين» في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾

[الفاتحة: ٢] دخل فيها السموات والأرض وما بينهما.

قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ [الشعراء: ٢٣، ٢٤].

﴿ وتفسير «يوم الدين» في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٤﴾ [الفاتحة: ٤].

بقوله تعالى: ﴿مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ

يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾ [الانفطار: ١٨، ١٩].

فيوم الدين هو اليوم الذي لا تملك فيه نفس لنفس شيئاً، وهو يوم

القيامة.

ومن تفسير القرآن بالقرآن:

﴿ قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١﴾ [الفاتحة: ٦] عقب بقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ

أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧].

﴿ والذين أنعم الله عليهم وضح أمرهم وحالهم بقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ

مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ

رَفِيقًا﴾ ﴿٦١﴾ [النساء: ٦٩].

﴿ وتفسير المغضوب عليهم في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾

(١) وهذه الأمثلة ليست على سبيل الاستقصاء وإنما هي نماذج فقط لإيضاح المطلوب إيضاحه

وهو كيف تفسر القرآن بالقرآن، وإثبات وجود ذلك.

بقوله تعالى في شأن اليهود: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]،
 وبقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ
 مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [٦٠]
 [المائدة: ٦٠].

وإن كان المغضوب عليهم يدخل فيهم غير اليهود أيضًا ولكنهم (أعني
 اليهود) اختصوا بمزيدٍ من الغضب لكونهم يعلمون الحق ويحيدون عنه.
 * وتفسير «الضالين» في قوله تعالى: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]
 بالنصاري.

بقوله تعالى عقب ذكر اتخاذ النصاري المسيح إلهًا: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ
 الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ
 قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [٧٧] [المائدة: ٧٧].
 وإن كان غير النصاري يوصف بالضلال كذلك لكنهم اختصوا بمزيدٍ من
 هذا الوصف لجهلهم وعبادتهم بجهل.

* ومن ذلك قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ
 غِشَاوَةً﴾ [البقرة: ٧].

فهل الغشاوة على كل ما ذكر؟ أم على البصر فقط؟
 فُسِّرَ ذلك بقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ الْهَمَّ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى
 سَمْعِهِ، وَقَلْبِهِ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ، غِشَاوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣].
 فأفادت الآية الكريمة أن الغشاوة على البصر:

﴿ وَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَقَّحَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧].

قال عددٌ من العلماء هي قوله وزوجته: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَرَّعَفْرًا لَنَا

وَرَحْمَةً لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿ وقوله تعالى لبني إسرائيل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

ففسر بقوله: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وبقوله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَبِئْسَ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ

وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [المائدة: ١٢].

﴿ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ [البقرة: ٦٥].

بيانه في قوله تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ

يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ...﴾ [الأعراف: ١٩٣] الآيات.

﴿ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ

يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠].

فقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ...﴾ [النساء: ١٤٠].

هذا بيانه في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى

يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨].

﴿ وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبْتَلَى عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١].

المتلو علينا بيانه في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا

أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَفَّةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُرْدِيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ
وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ... ﴿ [المائدة: ٣].

وهي أيضًا مفسرة لقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ فَضَّلْنَاكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام: ١١٩].
وقوله تعالى: ﴿ فَيُظَاهِرُ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ ﴿ [النساء: ١٦٠].

فالطيبات التي حرمت عليهم منها المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ
هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا
حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ
﴿ [الأنعام: ١٤٦].

﴿ وقوله: ﴿ مَا عِنْدِي مَا اسْتَعْجَلُونَ بِهِ ﴾ [ص: ١٦].

* استعجلوا أشياء.

* استعجلوا نزول العذاب بقولهم: ﴿ رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾
[ص: ١٦]. أي نصيبنا من العذاب.

﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا لِمَنِ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا
مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابِ إِلِيمٍ ﴾ ﴿ [الأنفال: ٣٢].

* واستعجلوا العذاب أيضًا كما في قوله تعالى: ﴿ وَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لِّجَاءِ هُرِّ الْعَذَابِ ﴾ [العنكبوت: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ [٥٤]

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ آخِرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾

[هود: ٨]

واستعجلوا قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

فسرت مفاتيح الغيب بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾

[الأعراف: ١٣٧]

كلمة ربنا فسرت بقوله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِيكِ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [٥] ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [٦] [القصص: ٥، ٦].

وقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾

[يوسف: ٣]

مفسرٌ بقوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [٤] [الكهف: ٤].

بعضه مفسر بقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ

الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَهُمْ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وكذلك يدخل فيهم الذين جعلوا الملائكة بنات الله عز وجل وتعالى
وتقدس.

❖ وقوله تعالى: ﴿مَكِّيِّنَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾ [الكهف: ٣].

يزيده إيضاحاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الرَّزْقَ مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ۝٥٤﴾ [ص: ٥٤].

وقد تكون في الآيات قرينة تدل على ضعف الوجوه التي اختارها بعض
المفسرين.

❖ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٤﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

ورد عن بعض أهل العلم أنهم الخوارج.

وإن كان الخوارج فيهم شيء مما تضمنته الآيات لكن قوله تعالى في

الآية عقبها: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ ينفي أن المراد هم
الخوارج.

* وكذلك استدل البعض بقوله تعالى: ﴿وَكُنِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ

يَالنَّفْسِ...﴾ [المائدة: ٤٥] على جواز قتل المسلم بالكافر، ولكن قوله تعالى

في عقب الآية: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥] يخالف

ذلك، وذلك لأن الكافر عمله حابط من الأصل، فسواء قلنا إن قوله تعالى:

﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ متعلقة بالمقتول أو بأوليائه فإن هؤلاء لا يكفر عنهم

عفوهم شيئاً.

ومن تفسير القرآن بالقرآن أيضاً:

❖ قوله تعالى: ﴿وَنَدْبَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢].

مفسرٌ بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ بِمُوسَىٰ ۖ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۖ ﴿١٢﴾ وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۖ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۖ ﴿١٤﴾ ... ﴾ الآيات [طه: ١١-١٤].

ونحوها التي في سورة الشعراء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۖ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَنْقُوتُ ۖ ﴿١١﴾ ﴾ الآيات [الشعراء: ١٠، ١١].

وقوله تعالى في سورة النمل: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۖ ﴿٨﴾ ﴾ الآيات [النمل: ٨].

ونحوه في سورة القصص: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْسُكَ الْغَمَامَ ۖ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۖ ﴿٣٠﴾ ... ﴾ الآيات. [القصص: ٣٠]

﴿ وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ۖ ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

مفسرٌ بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۖ ﴾ [محمد: ٢٤] فالقول هنا هو القرآن. ﴿ وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ ۖ ﴾ [الزمر: ٦].

فسرت هذه الأزواج وبيّنت بقوله تعالى: ﴿ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ... ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

وقوله: ﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ۖ ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

فهي: الجمل والناقة.

والثور والبقرة.

والكباش والنعجة.

والجدى والعنز.

❖ وقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: ٦].
فسر بقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ . . .﴾

[الحج: ٥]

❖ ومن المطلق الذي قيّد قوله تعالى في شأن الملائكة ودعائهم:
﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥].

قيّد بقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٧].
ومن أمثلة تعدد معاني الكلمات^(١)، ولكن تكون هناك قرينة تؤيد بعضها دون بعض كلمة العتيق في قوله تعالى: ﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾

[الحج: ٢٩]

فالعتيق تأتي بمعنى القديم، وتأتي بمعنى المعتق.

فقال بعض العلماء: ﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: القديم بناؤه!
وقال آخرون: البيت الذي أعتق وسلم من الجبابة!
ولكن تتأتى هنا قرينة ترجم وجهًا من الوجوه على الوجه الآخر، وهي قوله
تعالى: ﴿إِن أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].
فرجحت الآية الكريمة أن المراد بالعتيق: القديم بناؤه.

ومن تفسير القرآن بالقرآن:

❖ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

فسرت بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] فالليلة

(١) وسيأتي لذلك إن شاء الله تعالى مزيد بيان في باب تفسير القرآن بلغة العرب.

المباركة هي ليلة القدر.

﴿ وقوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ (٢٨) ﴾ [الدخان: ٢٨].

مفسر بقوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٩].
فالقوم الآخرون هم بني إسرائيل.

﴿ وقوله تعالى: ﴿ وَأَذْكُرْ آخَاعَادٍ إِذْ أَنْذَرَقَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ [الأحقاف: ٢١].

فقوله تعالى: ﴿ وَأَذْكُرْ آخَاعَادٍ ﴾ [الأحقاف: ٢١] أخو عاد هو هود عليه السلام.
لقوله تعالى: ﴿ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [الأعراف: ٦٥].

﴿ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ [الأحقاف: ٩].

فُسِّرَ بقوله تعالى: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢].

﴿ وقوله تعالى: ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ [التحريم: ٢].

فُسِّرَ بقوله تعالى: ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرَتْهُ إِطْعَامُ

عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطَعُمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ
فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ [المائدة: ٨٩].

﴿ وقوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾ (١) ﴾ [الطارق: ١].

فُسِّرَ الطَّارِقُ بالنجم الثاقب إذ الله تبارك وتعالى قال: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴾ (٢)

النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ (٢) ﴾ [الطارق: ٢، ٣].

﴿ ونحوه قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَطْمَةُ ﴾ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴾ (٦) ﴾

[الهمزة: ٥، ٦]

فسرت الحطمة بنار الله الموقدة.

وإن كان مثل هذا لا يطرد.

فقوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَحُمُ الْعَقَبَةَ ۝۱۱ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝۱۲﴾ [البلد: ١١، ١٢].

ليس قوله فك رقبة تفسير للعقبة إنما قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝۱۲﴾

تعظيم لشأن العقبة سلمنا الله والمسلمين.

وكذا لا يطرد في مثل قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ۝۷ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ

۝۸﴾ [المطففين: ٧-٩]، فليس قوله كتاب مرقوم تفسير لسجين.

بل الغي فيه تقديم وتأخير وحاصلة.

كلا إن كتاب الفجار كتاب مرقوم موضوع في سجين وما أدراك ما سجين

إن شأنها لعظيم والله أعلم.

وكلمة عسعس مشتركة بين إقبال الليل وإدباره، لكن قد جاء من القرائن

ما يؤيد وجهًا.

فقوله تعالى: ﴿وَأَلَيْلٍ إِذْ أَدْبَرَ ۝۳۳ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۝۳۴﴾ [المدثر: ٣٣-٣٤]، يبين

قوله تعالى: ﴿وَأَلَيْلٍ إِذَا عَسَّعَسَ ۝۱۷ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ۝۱۸﴾ [التكوير: ١٧، ١٨].

فيكون قوله: أدبر موضع لقوله: عسعس، وقوله: أسفر موضع لقوله: تنفس.

والله أعلم.

وكثيرًا ما يختلف في تفسير الآية بسبب الاختلاف في مفسر الضمائر.

ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝۶ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝۷﴾

[العاديات: ٦، ٧]

فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝۷﴾ هل المراد به (وإنه) الإنسان أم

الله عز وجل؟

وإن كان المعنيان يصحان فالله سبحانه وتعالى شهيد على أن الإنسان

كنود (جحود وكفور للنعم) وكذلك فالإنسان شاهد على نفسه بذلك وتشهد عليه أركانه يوم القيامة بذلك لكن في الآيات ما قد يرجح به القول الأول في هذا المقام وهو ما بعده من الآية، وهو قوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨] فذلك بلا شك عائد على الإنسان.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾ [٦]

[الانشقاق: ٦]

هل ملاق كدحك (أي عملك) أم ملاق ربك، وكلا المعنيين صحيح، ولكن قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [٧] [الانشقاق: ٧] قد يقوى أن المراد هنا فملاق كدحك.

ومن ذلك أيضاً قول يوسف عليه السلام: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾

[يوسف: ٢٣]

هل قوله: ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ يعني: إنه زوجك سيدي أم أن المراد إنه ربي أي الله عز وجل ربي.

فالأول هنا أظهر، لتوصية العزيز لامرأته في شأن يوسف عليه السلام: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَهُ﴾ [يوسف: ٢١] والله أعلم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [٥] ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [٦] ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [٧] ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [٨] [الطارق: ٥-٨] فقوله: ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ على رجوع ماذا؟

فقال البعض: ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ أي: على رجوع المنى إلى الذكر وإلى جسم الإنسان.

وقال آخرون: ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ أي: على رجوع الإنسان حياً بعد موته يوم القيامة.

وهذا الأرجح لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُبْلَى السَّرَائِرُ ۗ﴾ [الطارق: ٩] فهذا يوضح أن المراد بقوله: ﴿عَلَى رَجَبِهِ﴾ هو على إعادته حيًّا.

وأحيانًا يكون الظاهر المتبارد من اللفظ اللغوي غير مراد وذلك لوجود قرينة أخرى تدل على أنه غير مراد.

كقوله تعالى في شأن المطلقات: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾

[الطلاق: ٢]

فالمراد - والله أعلم - بقوله: فإذا بلغن أجلهن إذا قاربن بلوغ الأجل، وليس انقضاء الأجل أجل العدة، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾، وذلك لأنه من المعلوم أنها إذا بلغت الأجل فقد انقضت عدتها ولا سبيل له عليها إلا بموافقتها.

ومن هذا الباب أيضًا قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٢].

ومعلوم أنهم يعطون أموالهم بعد البلوغ، فقوله: اليتامى أطلق عليهم باعتبار ما كانوا فيه من اليتيم.

ومن هذا الباب:

قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

فالمراد به: الطلاق الذي تحدث بعده الرجعة أي: الطلاق المسموح بالرجعة بعده مرتان مع أنه يجوز للشخص بعد أن طلق مرتين أن يراجعها ويعيش معها.

معرفة الناسخ والمنسوخ وأثر ذلك في التفسير

لمعرفة الناسخ والمنسوخ أثر في تفسير الكتاب العزيز والوقوف على الوجوه الصحيحة من معاني الآيات، فإذا سلمنا أن آية ما منسوخة فسنحملها على وجهٍ معينٍ من الوجوه في التفسير، وكذا سنحمل ناسختها على وجه معين من الوجوه أما إذا قلنا إنها ليست بمنسوخة فسيلزمنا حملها على معنى من المعاني لا يتضاد ولا يتعارض مع معنى الآية الأخرى، وستأتي لذلك أمثلة إن شاء الله عزَّ وجل وبين يدي الحديث عن الناسخ والمنسوخ أوضح شيئاً من معنى الناسخ والمنسوخ والنسخ، فأقول، وبالله التوفيق.

✽ النسخ يطلق على معنيين:

أحدهما: النَّقْل، كنقل كتابٍ من آخر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ

مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٩) [البقرة: ٢٩].

والثاني: الإزالة والإبطال، والإزالة على قسمين:

أولهما: إزالة الشيء وإقامة شيءٍ مقامه^(١).

وثانيهما: إزالة الشيء وعدم إقامة شيءٍ مقامه^(٢).

(١) ومنه قولهم نسخت الشمس الظلَّ إذا أذهبتة وحلَّت محله وكمثال له في الكتاب العزيز قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرِيضَنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] نسخ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] نسخ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] على رأي الجمهور.

(٢) قال القرطبي: ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّاطِرُونَ﴾ [الحج: ٥٢] =

فالنسخ يكون بنقل المكلفين من حكم مشروع إلى حكم آخر أو إلى إسقاطه.
 * قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ ﴾ [البقرة: ١٠٦] ما نقل من حكم آية، إلى غيره فببدله وبغيره، وذلك أن يحول الحلال حراماً، والحرام حلالاً والمباح محظوراً، والمحظور مباحاً. ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي، والحظر والإطلاق، والمنع والإباحة. فأما الأخبار، فلا يكون فيها نسخ ولا منسوخ.

فالآية المنسوخة هي الآية التي ارتفع الحكم الذي فيها وزال وتغير والآية الناسخة لغيرها هي الآية التي جاءت متأخرة عنها ورفعت الحكم عنها الذي تضمنته الآية الأولى وأزالته، هذا ومن العلماء من كان يطلق المنسوخ على كل ما ترك ظاهره لمعارض راجح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وكانوا يسمون ما عارض الآية ناسخاً لها^(١).

وهل يُوجد نسخ في الأخبار؟ أي: أن الله عزَّ وجل إذا أخبر بأمر فهل يجوز أن ينسخ هذا الخبر بخبر آخر؟ فأقول، وبالله تعالى التوفيق.
 ذهب الجمهور من أهل العلم على أن الأخبار لا يتطرق إليها نسخ، نقله عنهم القرطبي رحمه الله تعالى فقال: الجمهور على أن النسخ إنما هو مختص بالأوامر والنواهي، والخبر لا يدخله النسخ لاستحالة الكذب على الله تعالى، وقيل: إن الخبر إذا تضمن حكماً شرعياً جاز نسخه كقوله تعالى:

=أي: يزيله فلا يتلى ولا يثبت في المصحف بدله.

(١) مجموع الفتاوى (٢٩/١٣).

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ [النحل: ٦٧].

* هذا وقد ذهب الطبري رحمه الله إلى أن الأخبار لا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ، والله أعلم.

وعن الجواب على سؤال وهو هذا، متى يصار إلى الحكم بالنسخ، فأقول، وبالله التوفيق.

يُصار إلى الحكم بالنسخ عند تواجد الآتي:

- ١- المخالفة: بمعنى أن يكون هناك نص يخالف نصًا فهذا يأمر مثلاً وهذا ينهى وهذا يبيح وهذا يحظر، وهذا يحل وهذا يحرم.
- ٢- تكافؤ الطرق: وهذا يكون في الأحاديث وليس في الآيات، ومعناه في الأحاديث: أن يكون هذا صحيح وهذا صحيح مثله أما إذا كان هناك صحيح وضعيف فلا يكون من باب الناسخ والمنسوخ، بل يردُّ الضعيف ويعمل بالصحيح فقط.
- ٣- عدم إمكان الجمع: بمعنى أن الجمع بين الناسخ والمنسوخ يكون متعذرًا.

أما عن الطرق التي يتوصل بها إلى معرفة الناسخ والمنسوخ فمنها:

* معرفة التأريخ (أي: معرفة المتقدم من المتأخر).

* ورود لفظٍ في السياق يدل على النسخ كقول النبي ﷺ «نهيتكم عن

زيارة القبور فزوروها»^(١).

(١) أخرجه مسلم حديث (٩٧٧)، وأبو داود حديث (٣٢٣٥)، والنسائي (٤/٨٩)، والترمذي حديث (١٠٥٤)، وقال: هنا حديث حسن صحيح كلهم من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعًا.

* إجماع الأمة على أن آية ما من الآيات أو حديث من الأحاديث منسوخ، أو قول جمهور العلماء أو بعضهم إذا كان مدعماً بدليل وحجة، والله تعالى أعلم.

هذا، وكما سلف فقد يوجد من الآية نفسها ما يدل على نسخها فمثلاً:
 كما هو معلوم أن الرجل كان إذا أذن عليه المغرب وهو صائم فله أن يأكل وأن يشرب إلى أن ينام فإذا نام ثم استيقظ ولو كان ذلك قبل الفجر لم يحل له أن يأكل ولا أن يشرب حتى تغرب شمس اليوم التالي فكان ذلك يشق على المسلمين، فقد كان أحدهم مثلاً ينام نصف ساعة بعد أذان المغرب ثم يستيقظ فمعنى ما ذكر أنه سيمتنع عن الطعام والشراب حتى غداً مغرباً، فنزل قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ بَشِرُوا هُنَّ وَأَتَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكَلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] ففي الآية ما يفيد النسخ ألا وهو قوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالَّذِينَ بَشِرُوا هُنَّ وَأَتَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكَلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

* وكذا قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٦٥) [الأنفال: ٦٥] فكان الواحد يؤمر بمنازلة عشرة من الكفار، فشق ذلك على المسلمين فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦٦].

فأصبح الواحد يؤمر بمنازلة الاثنين بدلاً من عشرة ف قوله تعالى: ﴿ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٦] يشعر بأن ذلك ناسخ لما تقدم.

* وكذا قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَجْتُمْ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِنْ لَمْ تَحِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [المجادلة: ١٢]، ثم قال تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ [المجادلة: ١٣].

وأشهر أقسام النسخ ثلاثة:

أولها: نسخ الحكم وبقاء التلاوة، وهذا أكثر ما ورد، ومن أمثلته:

قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

[البقرة: ٢٨٦]

نسخ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْتُخَفُوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾

[البقرة: ٢٨٤]

وقول الله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].

نسخ قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَءَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا

فَاعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ [النساء: ١٦].

* وقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

نسخ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]

على رأي الجمهور.

الثاني: نسخ التلاوة وبقاء الحكم مثل ما ذكره أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: «كان

فيما أنزل «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله ورسوله».

والثالث: نسخ التلاوة والحكم معاً مثل نسخ الرضعات من عشر إلى خمسن، ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن^(١).

ويجوز نسخ الأخف بالأثقل، والأثقل بالأخف، وأحياناً تنسخ الآية ولا يكون هنالك تكليف بعدها بشيء آخر، وأحياناً تتساوى في النسخ الوجهتان: * أما مثال نسخ الأخف بالأثقل فمنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] نسخ بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ولا شك أن الإلزام بالصوم أثقل من التخيير بين الصوم والإطعام.

* أما نسخ الأثقل بالأخف فمنه قوله تعالى: ﴿.. وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] نسخ بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ...﴾ [البقرة: ٢٨٦].

* ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [٦٥] [الأنفال: ٦٥] نسخت مصابرة العشرين للمائتين بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٤٥٢).

وقال النووي رحمه الله (وهن فيما يقرأ) معناه: أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جداً حتى إنه ﷺ توفي وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآناً متلوّاً لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يتلى.

يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴿ [الأنفال: ٦٦] فأصبح الرجل ينزل الرجلين بدلاً من منازلته للعشرة.

* أما النسخ الذي تتساوى فيه الوجهتان فمنه نسخ التوجه لبيت المقدس بقوله تعالى: ﴿فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٩]، والله تعالى أعلم.

* أما الآية المنسوخة ولم يبق مكانها تكليف فهي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةٌ...﴾ [المجادلة: ١٢] نسخت بقوله تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَاتٍ فِإِذ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ...﴾ [المجادلة: ١٣]، والله أعلم.

وهل ينسخ القرآن بالسنة والسنة بالقرآن؟

نعم يجوز أن ينسخ القرآن بالسنة وتنسخ السنة بالقرآن فالسنة وحي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَطِّقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ (٤)﴾ [النجم: ٣، ٤].

* أما المثال لنسخ السنة بالقرآن فهو قوله تعالى: ﴿...فَإِن عَلِمْتُمْ هُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [المتحنة: ١٠] وكانت الاتفاقية بين رسول الله ﷺ والمشركون تقتضي أنه إذا جاء أحد من المشركين مسلماً رده رسول الله ﷺ إلى المشركين فالنساء كن داخلات في هذا الاتفاق لكن نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَإِن عَلِمْتُمْ هُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾.

* ومثال لنسخ القرآن بالسنة على ما مثل به بعض العلماء حديث رسول الله ﷺ: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، الشيب بالثيب جلد مائة والرجم، والبكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام» نسخ قوله تعالى: ﴿وَأَلَّتِي يَأْتِيكِ الْفَدْحِسَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا

فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾

[النساء: ١٥].

وكذلك حديث: «لا وصية لوارث» عند من صححه، ناسخ لقوله تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ... ﴾ [البقرة: ١٨٠]، والله تعالى أعلم.

وكما أنه أحياناً تكون الآية الكريمة متأخرة في السياق ولكنها متقدمة في
المعنى، فكذا الأمر في الناسخ والمنسوخ أحياناً تكون الآية المنسوخة
متأخرة في السياق عن الآية الناسخة أن مجيء الآية متأخر في السياق ولكنها
متقدمة في المعنى.

فقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرُوهَآ تَمَّ فِيهَا ﴾ [البقرة: ٧٢] فهذا متأخر في السياق
عن قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً ﴾ [البقرة: ٦٧].
وذلك أن موسى عليه السلام ما قال لهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً ﴾
إلا بعد أن قتلوا نفساً فاختلفوا في شأن قاتلها فذهبوا إلى موسى عليه السلام
فقال لهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً ﴾.

وكذا في الناسخ والمنسوخ، قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ
وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة: ٢٤٠]
متأخر في السياق القرآني عن قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا
يَرِثْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

وهذه الآية الأخيرة: ﴿ يَرِثْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤]
مع أنها متقدمة في السياق لكنها ناسخة للآية التي ذكرناها ﴿ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ

غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴿١٠٦﴾.

هذا، وقد أنكر قوم النسخ واستبعدوه، وها هي الأدلة عليهم لإبطال حججهم ولدفع باطلهم.

* قول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ [البقرة: ١٠٦].

* قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكِّي... ﴾ الآية [النحل: ١٠١].

* قول الله عز وجل: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴾ [الرعد: ٣٩].

* الآيات الواردة في كتاب الله عز وجل الدالة على النسخ كتحويل القبلة في قوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ١٤٤] ونحوها.

* تخفيف الصلوات من خمسين صلاة إلى خمس صلوات.

* فداء إسماعيل عليه السلام بذبح عظيم.

* ويمكن أيضاً أن يجاب عليهم من الناحية العقلية بأن يقال لهم - والله المثل الأعلى - أنكم في دنياكم إذا مرضتم وذهبتم إلى طبيب يعالجكم فالطبيب يقول لكم: لا تأكلوا اليوم كذا وكذا، وبعد أسبوع مثلاً يقول لكم نفس الطبيب الآن كلوا من الطعام الذي حرمانكم منه بالأمس، فتسمعوا للطبيب وتطيعوا أمره ثقةً منكم في علمه بالذي ينفعكم ويصحح أبدانكم ولا تجادلوه ولا تعارضوه.

فله المثل الأعلى فربنا سبحانه وتعالى يعلم من خلق ويعلم بالذي ينفعهم ويصلحهم في وقتٍ من الأوقات، وبالذي ينفعهم ويصلحهم في وقت

آخر فيشرع كيف يشاء ويقضي بالذي يريد وسمعنا وأطعنا لله رب العالمين هذا، وفي قوله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ ردُّ على اليهود الذين زعموا أن لا نسخ، ووجه هذا الرد أن اليهود ادَّعوا أنه لا يوجد نسخ لآيات الله عزَّ وجلَّ توصلًا بذلك منهم إلى إنكار آيات القرآن حتى يؤكدوا أن الأحكام الواردة في التوراة باقية إلى الأبد لم يتطرق إليها نسخ فقالوا أثناء ذلك إن محمدًا يأمر أصحابه اليوم بأمرٍ ثم ينهاهم عنه غدًا، واشتد طعنهم لما تحوَّلت قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى البيت الحرام فكان في قوله تعالى: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ ردُّ عليهم، ومن أوجه الرد عليهم أيضًا أن التوراة التي بين أيديهم ناسخةٌ لأحكام قد تقدمتها، والله تعالى أعلم.

ولإتمام تفسير آية النسخ ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾ أقول، وبالله التوفيق.

قوله تعالى: ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ لأهل العلم فيه قولان:

القول الأول: ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ من النسيان الذي هو بمعنى الترك فيكون

المعنى: ما ننسخ من آية أو نتركها بلا نسخ نات بخير منها أو مثلها.

* وقد ر بعض العلماء هنا مقدَّر وهو (حكم) فالمعنى: ما ننسخ من

حكم آية أو نترك حكمها نات بخير منها أو مثلها.

* ويرد على هذا إيرادُ وهو كيف تكون الآية باقية (أي: متروكة لم

تُنسخ) ويقال نات بخير منها أو مثلها، وللإجابة على ذلك وجوه:

أولها: أن المراد بنسها: نثبت لفظها ونترك حكمها.

ثانيها: أن المراد بالآية: الآية من آيات التوراة فالمعنى: ما ننسخ من آية

من آيات التوراة نأت بخير منها أو مثلها، وما ننسي من آية من آيات التوراة نأت بآية في القرآن مثلها أو خير منها؛ لكن هذا القول لم يقل به هنا إلا قلة قليلة من أهل العلم.

(أعني القول بأن المراد بالآية: آية التوراة).

القول الثاني: أن المراد بقوله تعالى: ﴿تُنْسِيهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] أي: نرفع لفظها فلا يستقر منها في القلوب والأذهان شيء، (وهو من النسيان المعهود لدى الناس) ومثال ذلك ما صحح عن أنس بن مالك رضي الله عنه من وجوه أن الذين قتلوا بيئر معونة أنزل الله عز وجل فيهم قرآناً يتلى، (أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) ثم نسخ ذلك بعد.

✽ ومثال ذلك أيضاً ما أخرجه مسلم (١٠٥٠) من حديث أبي الأسود قال: بعث أبو موسى الأشعريّ إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاث مائة رجل قد قرءوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقرآؤهم، فاتلوه، ولا يطولنّ عليكم الأمد فتنقسوا قلوبكم، كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنّا كنّا نقرأ سورةً كنّا نشبّهها في الطّول والشّدّة ببراءة، فأنسيتها، غير أنّي قد حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لا بتغى واديّاً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، وكنّا نقرأ سورةً كنّا نشبّهها بإحدى المسبّحات^(١)، فأنسيتها غير أنّي حفظت منها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الصف: ٢]: فتكتب شهادةً في أعناقكم، فتسألون عنها يوم القيامة.

(١) المسبّحات: هي السورة التي تبدأ بسبحان وسبح ونحوها.

وهذا، وعند قوله تعالى: ﴿نَاتٍ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] يورد العلماء وجه الخبر به في الآيات الناسخة من عدة نواحي:
 الناحية الأولى: أن الآيات الناسخة تكون في بعض الأحيان واضعة للأصار والأغلال التي كانت على الأمم من قبلنا.
 الناحية الثانية: أن الآيات الناسخة قد تكون سهلة لينة في حفظها على الناس.

الناحية الثالثة: أن الآيات الناسخة، وإن كانت في بعض الأحيان أشق في العمل بها من الآيات المنسوخة إلا أن ثواب العمل بها أعظم من الآيات المنسوخة.

فعلى هذا تكون الخيرية في الآيات الناسخة عاجلاً وآجلاً.
 عاجلاً في كون بعضها سهل يسير يخفف الله عز وجل به الأحكام،
 وآجلاً في كون ثواب العمل بها أعظم، والله تعالى أعلم.

هذا، وختام الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦] يفيد معنى، وجهه أن ذلك بيان لقدرة الله عز وجل ونفي العجز عنه، فالله عز وجل قادر على أن يأتي بالآية المحكمة قبل الآية المنسوخة، ولكن يؤخر هذه ويبدل هذه بتلك وهو عالم بالأول والآخر ويعلم ما يصلح الناس في وقت وما يصلحهم في الوقت الآخر ويعلم أن الأليق بالناس والأنسب لهم في وقت ما أن يعملوا بكذا وفي الوقت الآخر أن يعملوا بكذا، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

أمثلة لبيان أثر النسخ على تفسير الآيات:

* قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]

إذا قلنا إن الآية الكريمة ليست بمنسوخة فسنحمل ﴿الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ على الشيخ الكبير والمرأة العجوز والمرضع والحامل وإذا قلنا إنها منسوخة فسنحمل ﴿الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ على العموم فيكون المعنى: أنه في أول أمر فرض الصيام كان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مكان كل يوم مسكيناً فلما نزل: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] نسخ هذا التخيير، والقول بأن الآية الكريمة منسوخة هو قول جمهور العلماء، وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

القول الأول: أن قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾

كان في أول فرض الصيام فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مكان كل يوم مسكيناً فنسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فأصبح لزاماً على المقيم الصحيح أن يصوم، فعلى ذلك فمعنى الآية الكريمة: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ أي: يستطيعون صيامه ﴿فِدْيَةٌ﴾ أي: جزاء إن هم أفطروا ﴿طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ مكان كل يوم أفطروه.. ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وممن قال بنحو هذا القول سملة بن الأكوع^(١) فأخرج البخاري عنه أنه قال: لما نزلت: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ كان من أراد أن يفطر ويفتدي حتى نزلت التي بعدها فنسختها وكذلك ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنها منسوخة.

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٥٠٧).

وأخرج الطبري^(١) من طريق محمد بن المثنى قال، حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن عمرو بن مرة، قال حدثنا أصحابنا أن رسول الله ﷺ لما قدم عليهم أمرهم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر تطوعاً غير فريضة. قال: ثم نزل صيام رمضان. قال: وكانوا قوماً لم يتعودوا الصيام. قال: وكان يشتد عليهم الصوم. قال: فكان من لم يصم أطعم مسكيناً، ثم نزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، فكانت الرخصة للمريض والمسافر، وأمرنا بالصيام. قال محمد بن المثنى قوله: قال عمرو: «حدثنا أصحابنا»، يريد ابن أبي ليلى. كأن ابن أبي ليلى القائل: «حدثنا أصحابنا».

حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا شعبة قال: سمعت عمرو بن مرة سمعت ابن أبي ليلى فذكر نحوه.

(١) الطبري أثر (٢٧٣٤)، وأخرجه البخاري معلقاً فقال: وقال ابن نمير حدثنا الأعمش حدثنا عمرو بن مرة حدثنا ابن أبي ليلى حدثنا أصحاب محمد ﷺ نزل رمضان فشق عليهم فكان من أطعم كل يوم مسكيناً ترك الصوم ممن يطيقه ورخص لهم في ذلك فنسختها ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فأمروا بالصوم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وصله أبو نعيم في المستخرج والبيهقي من طريقه ولفظ البيهقي: «قدم النبي ﷺ المدينة ولا عهد لهم بالصيام فكانوا يصومون ثلاثة أيام من كل شهر حتى نزل ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ [البقرة: ١٨٥] فاستكثروا ذلك وشق عليهم فكان من أطعم مسكيناً كل يوم ترك الصيام ممن يطيقه ورخص لهم في ذلك ثم نسخه ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فأمروا بالصيام، وهذا الحديث أخرجه أبو داود من طريق شعبة والمسعودي عن الأعمش مطولاً في الأذان والقبلة والصيام واختلف في إسناده اختلافاً كثيراً وطريق ابن نمير هذه أرجحها.

وأخرج الطبري بإسناد إلى الشعبي^(١) قال: نزلت هذه الآية للناس عامة ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] وكان الرجل يفطر ويتصدق بطعامه على مسكين ثم نزلت هذه الآية: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] قال: فلم تنزل الرخصة إلا للمريض والمسافر.

* وفي رواية عن الشعبي ثم نزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] فلم تنزل الرخصة إلا للمريض أو المسافر.

* وأخرج الطبري بإسناده إلى علقمة في قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] قال: نسختها: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وثم آثار أخر في هذا الباب.

القول الثاني: أن الآية في الشيخ الكبير والعجوز بصفة عامة (أي: في مطيق الصوم منهم وغير مطيقه) كان مرخصاً لهم جميعاً (أي: للشيوخ الكبار والعجز من النساء) الإفطار وإطعام مكان كل يوم مسكيناً فنسخ ذلك في حق المطيق منهم بقوله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وأصبح لزاماً على مستطيع الصوم منهم أن يصوم، وبقي من لم يستطع الصوم منهم على الحكم الأول، أي: أنه له أن يفطر ويطعم مكان كل يوم مسكيناً.

فعلى ذلك فمعنى الآية الكريمة: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ [البقرة: ١٨٤]

(من الشيوخ الكبار والعجز من النساء) - ويطيقونه أي: يستطيعون صيامه - ﴿فِدْيَةٌ﴾ أي: إن هو أفطر ﴿طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ عن كل يوم أفطره ثم نسخ ذلك في حق مستطيع الصوم منهم وألزم بالصوم بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وبقي من لم يستطع الصوم منهم على أصل الآية ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] ويطيقونه هنا بمعنى: يصومونه بمشقة (من الشيوخ الكبار والعجز من النساء).

وقد أخرج الطبري^(١) وغيره من طريق قتادة عن عذرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة وهما يطيقان الصوم رخص لهما أن يفطرا إن شاءا ويطعما لكل يوم مسكينا ثم نسخ ذلك بعد ذلك ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وثبت للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة إذا كانا لا يطيقان الصوم والحبلى والمرضع إذا خافتا.

وروى الطبري^(٢) وغيره من طريق قتادة عن عكرمة.

القول الثالث: قال فريق من أهل العلم: إن الآية لم تنسخ ولكن فيها تقدير، والمعنى: وعلى الذين يطيقون الصيام منكم - يا معشر من كتب عليه الصيام - إن أصابهم ما يحول بينهم وبين الصيام من مرضٍ أو كبرٍ أو نحو ذلك مما يحول بينهم وبين الصوم - فدية طعام مسكين عن كل يوم أفطروه^(٣).

(١) الطبري (أثر ٢٧٥٢)، (٢٧٥٣).

(٢) أثر (٢٧٥٤).

(٣) قال الطبري رحمه الله في صياغته لهذا الرأي: وقال آخرون ممن قرأ ذلك ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] لم ينسخ ذلك ولا شيء منه، وهو حكم مثبت من لدن نزلت هذه الآية إلى قيام

القول الرابع: أن الآية الكريمة لم يتطرق إليها النسخ، وإنما هي بداية نزولها في الشيخ الكبير والعجوز اللذان قد كبرا ولا يستطيعان الصيام أفطرا وأطعما مكان كل يوم مسكينًا.

وبعض العلماء قرأ الآية (يَطْوَقُونَهُ) بدلاً من ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ ومعنى يطوقونه: أنهم يكلفان بالصيام ولا يستطيعونه، وممن قرأها (يَطْوَقُونَهُ) ابن عباس رضي الله عنهما، فقد ذكر الطبري بأسانيده - من عدة طرق صحيحة^(١) - عن ابن عباس أنه كان يقرأها (يَطْوَقُونَهُ) ويقول: هي للناس اليوم قائمة، وفي رواية: هو الشيخ الكبير يفطر ويطعم عنه.

* وكذلك صح عن عطاء وسعيد بن جبير وعكرمة^(٢) وغيرهم أنهم قرأوها (يَطْوَقُونَهُ) هذا حاصل الأقوال التي وردت في تأويل هذه الآية الكريمة.

=الساعة، وقالوا: إنها تأويل ذلك وعلى الذين يطيقونه - في حال شبابهم وحدثهم، وفي حال صحتهم وقوتهم إذا مرضوا وكبروا فعجزوا من الكبر عن الصوم فدية طعام مسكين - لا أن القوم كان رخص لهم في الإفطار وهم على الصوم قادرين إذا اقتدوا.

وأورد الطبري أثرًا عن ابن عباس (٢٧٦٢) إسناده واه، لكن عقبه بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] هو الشيخ الكبير كان يطيق صوم شهر رمضان وهو شاب فكبر وهو لا يستطيع صومه فليصدق على مسكين واحد لكل يوم أفطره.

(١) انظر الطبري (٢٧٦٥)، (٢٧٦٦)، (٢٧٦٧)، (٢٧٦٨).

(٢) انظر هذه الآثار عند الطبري (٢٧٦٩) و ٢٧٧٠ و ٢٧٧١ و ٢٧٧٣ و ٢٧٧٤ و ٢٧٧٧ ومن المعلوم أن المشار إليهم (عطاء وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد) كلهم من مدرسة ابن عباس رضي الله عنهما والمتفقهين عليه.

وورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها (عند الطبري ٢٧٧٣) من طريق محمد بن عباد بن جعفر عن أبي عمر مولى عائشة أن عائشة كانت تقرأ (يَطْوَقُونَهُ).

* وأكثر أهل العلم على أن هذه الآية الكريمة منسوخة وهو اختيار الطبري رحمه الله.

وكذا الآيات التي تحث على العفو عن الكفار وعدم مؤاخذتهم والصبر على أذاهم، بل والآيات الآمرة بالعفو هل هي منسوخة كلها وتدخل في باب المنسوخ أم أنها كانت مؤقتة وكان العفو مأموراً به إلى وقت معين كما قال تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فأقول، وبالله التوفيق:

إن فريقاً من العلماء ذهبوا إلى أن هذه الآيات كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤].

وكقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ [المائدة: ١٣].

وكقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

وكقوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥].

وكقوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِن عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

فهذه الآيات وما على شاكلتها من الآيات التي تحث المؤمنين على العفو والصفح إذا لقوا أذى من عدوهم فيرى البعض أنها منسوخة بالآيات الآمرة بالقتال أو المرخصة فيه والأذنة به.

* ويرى بعض أهل العلم أنها ليست بمنسوخة ويرونها أنها كانت مؤقتة إذ الله قال: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ وقد جاء الأمر بالقتال، وقد

جاء الإذن به، كما قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ [الحج: ٣٩] ولم يكن مأذوناً لهم قبل نزولها بالقتال، إذ الله قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ٧٧].

* ويرى آخرون من أهل العلم أنها ليست بمنسوخة بل معمولٌ بها على الدوام لكن للعفو منازلها وأوقاته وللمؤاخظة منازلها وأوقاتها.

أما الذين قالوا بأنها منسوخة فمنهم من قال: إنها منسوخة لقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]^(١)، وقال آخرون إنه منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] أما مستند القائلين بالنسخ فمنه ما أخرجه البخاري^(٢) ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه:

أن رسول الله ﷺ ركب على حمارٍ على قطيفةٍ فديكةٍ وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادَةَ في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدرٍ قال: حتى مرَّ بمجلسٍ فيه عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي في إذا في المجلس أخلاطٌ من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس

(١) أخرجه الطبري بإسناد حسن عن قتادة (١٧٩٧): ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة: ١٠٩] فأتى الله بأمره فقال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ حتى بلغ ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أي: صغارًا ونقمة لهم فنسخت هذه الآية ما كان قبلها ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾.

(٢) أخرجه البخاري (ح ٤٥٦٦)، ومسلم (ح ١٧٩٨).

عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أوفى فبرءه ثم قال: لا تغبروا علينا فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء إنّه لا أحسن ممّا تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجلسنا ارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإننا نحب ذلك فاستبّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتشاورون فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي ﷺ: «يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب» - يريد عبد الله بن أبي - قال: كذا وكذا قال سعد بن عبادة: يا رسول الله اعف عنه واصفح عنه فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصّبوه بالعصاة فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شوق بذلك فذلك فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله ﷺ وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصطبرون على الأذى قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَسَّمَعْتُمْ مَنِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا﴾ الآية، وقال الله: ﴿وَدَكْثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩] إلى آخر الآية وكان النبي ﷺ يتأول العفو ما أمره الله به حتى أذن الله فيهم فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل الله به صنديد كفار قريش قال ابن أبي ابن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه فبايعوا الرسول ﷺ على

الإسلام فأسلموا.

وثم آيات مؤقته وجاء بيانها في الكتاب العزيز من ذلك قوله تعالى:

﴿وَالَّتِي يَأْتِيكَ الْفَدْحِشَةَ مِنْ نِسَائِكَ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِّنْكُمْ فَإِنْ

شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾

[النساء: ١٥]

فمن العلماء من قال: إن السبيل قد بين في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي

فَأَجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].

وفي قول رسول الله ﷺ: «خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا

جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم».

معرفة المكي والمدني وهل له أثر في التفسير

والمكي من السور هي: عند الأكثر بين السورة التي نزلت على رسول

الله ﷺ بمكة والمدني من السور: هي التي نزلت على رسول الله ﷺ بالمدينة

وإن كانت هناك أقوال أخر منها أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما

نزل بعدها إلا أن القول الأول أشهر.

هذا، والسور المكية كثيراً ما تعالج أمور المعتقد فتبين وحدانية الله عزَّ

وجل وقدرته وتقوى جانب الإيمان بالملائكة والبعث والنشور والجنة

والنار والثواب والعقاب والإيمان بالكتب والرسل واليوم الآخر والقدر

خيره وشره إلى غير ذلك من أمور المعتقد.

أما السور المدنية فالغالب من أمرها بيان الأحكام والتشريعات والحلال

والحرام والآداب والمعاملات والأخلاق ونحو ذلك، وإن كانت السور
المكية تعرضت بشيء من ذلك، والمدنية أيضًا فيها شيءٌ تضمنته السور
المكية لكن الحديث على الأغلب والأكثر.

هذا، ومعرفة المكي والمدني له تأثير في التفسير وتوجيه الآيات وجهتها
الصحيحة، وكذا له تأثير في معرفة الناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد
والعام والخاص ونحو ذلك.
والله أعلم.



تأثير اختلافات القراءات على التفسير

وكثيرًا ما تؤثر الاختلافات في وجوه القراءات على التفسير ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَرْجَلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] في آية الوضوء هل أرجلكم بالفتح عطفًا على الأيدي إلى المرافق أو أرجلكم بالكسر فيكون عطفًا على الرأس.

فعلى الأول يكون حكم الرجلين الغسل لقوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجَلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ فيكون حكم الرجلين الغسل.

أما إذا مكنا وأرجلكم بالكسر عطفًا على مسح الرأس فيكون حكم الرجلين المسح.

لكن تأتي قرائن آخر من السنة تفيد الأمر بالغسل أو يكون هناك نسخ، والله أعلم.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢]، وقوله: (بل عجبت ويسخرون).

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ [يوسف: ١١٠] أو (ظنوا أنهم قد كذبوا)...

ف﴿كُذِبُوا﴾: تحمل معنى أخلفوا المواعيد.

و(كُذِبُوا): تحمل معنى كذبتهم أممهم.

ومن تأثر التفسير باختلاف القراءات: قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا آيَةً الْكُفْرِ﴾

إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ ﴿ [التوبة: ١٢].

ورد في قوله تعالى: ﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ قراءتان إحداهما ﴿لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾. ومعناها لا عهود ولا موثيق لهم أي أنهم لا يحترمون عهدًا ولا ميثاقًا والأخرى (لا إيمان لهم) أي لا إسلام لهم ولا دين لهم.

ومن انعكاس القراءة على التفسير:

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

ففي ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ قراءتان متواترتان الثالثة شاذة.

فالأول: ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالنصب.

والثانية: (والأرحام) بالخفض.

والثالثة: الشاذة (والأرحام).

فعلى الأول ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾.

أي: واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

وعلى الثانية (الأرحام) أي: تساءلون.

بالأرحام أي: يسأل بعضكم بعضًا بها كما كانوا يقولون أسألك بالله

وبالرحم فالمعنى: واتقوا الله الذي تساءلون به وبالأرحام.

أما الثالثة: فشاذة.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

فقراءة الجمهور ﴿وَأَتَّخِذُوا﴾ بكسر الخاء، وهي فعل أمر، وفيه دليل على

وجوب ركعتي الطواف، أو على الأقل الاستحباب.

والقراءة الأخرى (وَأَتَّخِذُوا) بفتح الخاء أي: الناس قد اتخذوا من مقام

إبراهيم مصلى أي: أنه على الإخبار.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

هكذا عند العشرة ﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾ ومنها إباحة الاعتكاف في عموم

المساجد كما عليه جماهير العلماء.

وتمَّ قراءة منسوبة لأبي عمرو في رواية، ولمجاهد والأعمش (في

المسجد).

وليس عليها القراءة العشرة.

وتمَّ قراءات شاذة لا يعول عليها في التفسير.

كالوارد في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ

فَرِيضَةً﴾ فيها قراءة شاذة (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن

أجورهن فريضة).

وكالوارد في قوله تعالى في كفارات الأيمان ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ في

قراءة شاذة: (فصيام ثلاثة أيام متتابعات).

فصل في تصريف الآيات وأثره في التفسير

ومما ينبغي أن يعلم، ويلفت النظر إليه أن الله سبحانه وتعالى يصرف

الآيات، سواء آيات الكتاب العزيز - وهذا مرادنا هنا - أو الآيات الكونية

ومن معاني تصريفها تنوعها، وكذا من معان ذلك سياق آيات تحمل معنى

واحدًا بألفاظٍ متنوعة ومتعددة للتأكيد على المعنى والاعتناء به ولبيان

أهميته، وكما هو معلوم فإنه كلما كثر التذكير بمعنى من المعاني كلما دلَّ

ذلك على أهميته ولهذا أثره في التفسير فالمعنى المجمل في موطنٍ يفصل في موطنٍ آخر والمعنى الخفي في موطنٍ يوضح ويظهر في موطنٍ آخر.

ولهذا أمثلة كثيرة فمن هذه الأمثلة ما يلي:

البيان العظيم عن أن الله عزَّ وجل واحدٌ لا شريك له فمن الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكُنْ لَكَ يُولَدٌ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص].

* وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝﴾ [البقرة: ٢٥٥].

* وقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ۝﴾ [طه: ١٤].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝﴾

[طه: ٩٨]

* قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ ۝﴾ [النساء: ١٧١].

* وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۝﴾

[غافر: ٦٥]

والآيات في هذه الصدد كثيرة جدًا لإثبات هذا المعنى العظيم.

وكذا الأدلة على عبودية الخلق كلهم لله عزَّ وجل.

أما أولوا العزم من الرسل:

* فنوح عليه السلام ذكره الله سبحانه فقال: ﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ

كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣] وقال سبحانه: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ

فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ۝﴾ [القمر: ٩].

* وإبراهيم عليه السلام ذكره الله فقال: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾

[ص: ٤٥]

* وموسى عليه السلام ذكره الله فقال فيه وفي أخيه هارون عليهما السلام:

﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٢٢].

* وعيسى عليه السلام قال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠]، وقال الله عز

وجل في شأن عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّهُ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي

إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩] وقال سبحانه: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ

يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ

فَسَيَحْشُرُهُمُ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢].

* وكذلك نبينا محمد ﷺ سماه الله عبداً ووصفه بالعبودية في أشرف المقامات.

* ففي مقام الدعوة إلى الله عز وجل قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ

كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

* وفي مقام الوحي قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا عَبْدَهُ مَا أَنُوحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

* وفي مقام التحدي قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا

فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

* وفي مقام إنزال الكتاب عليه قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ

عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١].

* وفي الإسراء قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١].

* وفي مجال حفظ الله له قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

وكذلك سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وصفهم الله عز وجل بالعبودية له سبحانه فقال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾

[النمل: ٥٩]

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٨].

* وكذلك يوسف - إضافة إلى ما ذكر - قال الله فيه: ﴿إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

* ونوح ولوط قال تعالى فيهما: ﴿عَبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

* وكذلك إلياس عليه السلام قال الله فيه: ﴿إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٣٢].

[الصفات: ١٣٢]

* وأيوب عليه السلام قال الله فيه: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ [ص: ٤١].

* وداود وسليمان عليهما السلام قال الله فيهما: ﴿اعْمَلُوا أَل دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣].

* وداود عليه السلام قال الله فيه: ﴿...وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ...﴾ [ص: ١٧].

* وسليمان عليه السلام قال الله فيه: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ

أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

* وزكريا قال الله فيه: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢].

* والخضر قال الله فيه: ﴿... فوجدنا عبدًا من عبادنا آتيناَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّنْ لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ﴿٦٥﴾ [الكهف: ٦٥].

* وكذلك الملائكة قال الله تبارك وتعالى فيهم وفيمن عبدوهم:

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْتًا﴾ [الزخرف: ١٩].

* وهكذا كل الخلق قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِن كُلٌّ مِّنَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿١٣﴾ [مريم: ٩٣].

* وكذا الأدلة على أن الله عز وجل خلق الخلق لطاعته وأمرهم بعبادته

وحده لا شريك له:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا

الطَّغُوتَ﴾ [النحل: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ﴿١١﴾ [الحجر: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ ﴿١٤﴾

[طه: ١٤]

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة: ٣١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا

اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾﴾ [قريش: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

[غافر: ٦٠]

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَئِنِ عَلِمُوا يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ أَنْ يُصِرُّوا لَكُمْ عُذُوبًا ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَأَنْ يُصِرُّوا لَكُمْ عُذُوبًا ﴿٦١﴾﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة: ٨٣].

والآيات في هذا الباب كثيرة جدًا.

* وكذا التحذير من الشرك وبيان خطره وعظيم ضرره:

قد تكرر في كتاب الله عز وجل مرارًا.

قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي

بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيحٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

والنصوص في هذا كثيرة جدًا.

* وكذا أمور الإيمان كالإيمان بالملائكة والكتب والرسول:

كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ

وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ

اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ

ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْآلِرَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ

وَالنَّبِيِّنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والنصوص في هذا كثيرة جداً.

* وكذا التذكير باليوم الآخر فإن النصوص في التذكير به وبأهواله وما فيه

كثيرة جداً.

وذكر عدة أسماء ليوم القيامة دالٌّ على ذلك:

كقوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾ [الواقعة: ١].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ﴿٣٣﴾﴾ [عبس: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾﴾ [النازعات: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ الْأَازِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾ [النجم: ٥٧].

وما يحدث في اليوم الآخر:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ [الانشقاق: ١].

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفطرت ﴿١﴾﴾ [الانفطار: ١].

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾ [التكوير: ١].

وغير ذلك كثير جداً.

* وكذا تتعدد الآيات الواردة في التذكير بمراقبة الله عز وجل للعباد - وأنهم لا تخفى منهم على الله خافية وأنه يراهم ويسمعهم ويعلم بهم وبأحوالهم وأنه عليهم قادر:

قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبَ فِي السَّجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ ﴿٤٦﴾ [طه: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ ﴿٥٠﴾ [سبأ: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ﴿٥٦﴾ [غافر: ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾

[آل عمران: ١٨١]

وقوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة: ١].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ بِضِيقِ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ ﴿٩٧﴾ [الحجر: ٩٧].

وقول لقمان لولده: ﴿ يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ

أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ [لقمان: ١٦].

والآيات كثيرة جداً في هذا الصدد.

* وكذا ضرب الأمثال لإحياء الموتى:

كالذي صنعه موسى عليه السلام بأمر ربه عز وجل في سورة البقرة

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّئُ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

[البقرة: ٧٣]

وكما ورد في الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم

الله: ﴿مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا

فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

* وكما في قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ

فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾

[البقرة: ٢٦٠]

* وكما في قوله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ

يَأْذِي﴾ [المائدة: ١١٠].

وكذا على قول في شأن أصحاب الكهف.

ومن هذا أيضا الاستدلالات على البعث بإحياء الأرض بعد موتها كما في

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ

كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّئُ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٥-٧].

وكما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ

﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا طَلَعَ نُضَيْدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مِّثْنًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ

﴿١١﴾﴾ [ق: ٩-١١].

والآيات كثيرة في هذا المعنى .

وأيضًا الاستدلال على البعث بابتداء الخلق، فالذي خلق الإنسان أول مرة قادر على بعثه وإعادته وقد تكررت الآيات بذلك .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾

[الروم: ٢٧]

وقال تعالى : ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الإسراء: ٥١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ

﴿ ٧٨ ﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩] .

* وكذا الاستدلال على البعث بخلق السموات والأرض :

قال تعالى : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾

[غافر: ٥٧]

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾

[يس: ٨١]

والاستدلال بخلق الناس أطوارًا سواء كانوا أطوارًا في حياتهم أو في أفهامهم أو في أرزاقهم أو غير ذلك كذا قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ [الروم: ٥٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح: ١٤] .

* وكذا النصوص الواردة في الإيمان بالقدر، والتي تثبت أن الأمور مكتوبة مقدرة :

كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُكُمْ فِي الدُّنْيَا ... ﴾

[الحشر: ٣]

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٨)

[الأنفال: ٦٨]

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ

فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٤) [النور: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ...﴾ [الأنبياء: ١٠١].

وقوله تعالى: ﴿وَفَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفِئِدَنَّ فِي الْأَرْضِ

مَرَّتَيْنِ...﴾ [الإسراء: ٤].

إلى غير ذلك.

ومعان آخر كتلك الآيات التي تفيد وتبين أن الهداية من عند الله وأن المهتدي من هداه الله، وأن شخصاً ما مهما بلغت منزلته وعلا قدره فإنه لن يستطيع أن يهدي أحداً إلا بإذن الله.

* وكذا بيان أن المعجزات والآيات لن تجدي مع من أراد الله إغوائه:

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٦) ﴿وَلَوْ

جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٩٧) [يونس: ٩٦، ٩٧].

وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ (١٤) ﴿لَقَالُوا

إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ (١٥) [الحجر: ١٤، ١٥].

وكقوله تعالى: ﴿﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ

فَبَلَّأ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١].

وكقوله تعالى: ﴿﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢٨) [الأنعام: ٢٨].

* وكذا الأوامر بطاعة المرسلين:

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٤]

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ ﴾ [النساء: ٥٩].

وقوله تعالى لعدد من الأنبياء: ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ [نوح: ٣].

وهكذا تتعدد الآيات وتنوع وكلها تحمل هذا المعنى.

* وكذا من الأمور التي يستدل بها على نبوة رسولنا محمد ﷺ وقد تكرر

ذكر معناها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ

الشَّاهِدِينَ ﴾ [٤٤] [القصص: ٤٤].

أي أن الرسول عليه صلوات الله وسلامه لم يكن موجوداً آنذاك ولا شاهداً

ومع ذلك وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب قد أخبرنا بأصدق الأخبار وأنبأ بأصدق

الأنبياء فهذا دالٌّ على نبوته، وقد تكرر هذا كثيراً في الآيات بسياقات متنوعة.

كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ [القصص: ٤٦].

وكذا قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَسْلُوا عَلَيْهِمْ أَيَّتَنَّا ﴾

[القصص: ٤٥]

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا

كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [٤٤] [آل عمران: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٢]

وذلك في شأن أخوة يوسف عليه السلام إلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا الصدق والمعنى: لإثبات أمرٍ والدلالة عليه وهو أن رسول الله محمدًا ﷺ رسولٌ من عند الله حقًا.

* وكذا النصوص المذكورة بأن أعمال العباد وأقوالهم تكتب في نصوص

كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ [القمر: ٥٢] و﴿ كُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾

[القمر: ٥٢، ٥٣]

وقوله تعالى: ﴿ وَنَكَّتُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾

﴿ [يس: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١].

وقوله تعالى: ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا

مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا

يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

إلى غير ذلك من الآيات.

وكثيرٌ جدًا الوارد في وصف الجنة والنار، وأهل كل منهما وما فيهما من

الثواب والعقاب.

وكثيرًا ما يتكرر والتذكير بأن العاقبة للمتقين وأن مع العسر يسرًا، وأن الله

يحب الصابرين، وأن الله مع المتقين.

* وكذا الأوامر بالصلاة والزكاة تراها تتكرر كثيراً جداً مع تنوعات في سياقها.

* وكذا الأمر ببر الوالدين والإحسان إليهما.

قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨].

وقال عيسى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدِي﴾ [مريم: ٣٢].

وقال تعالى في شأن يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ [مريم: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

وقول الخليل إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ﴾ [مريم: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢٣)

وَأخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾ (٢٤)

[الإسراء: ٢٣، ٢٤]

* وكذا النصوص الواردة في الحث على وصل الرحم تتكرر كثيراً:

كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [الإسراء: ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ [البقرة: ٨٣].

وغير ذلك كثير.

* وكذا التحذير من قطع الرحم يتكرر كثيراً:

قال تعالى: ﴿...وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ

الْعَنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٢٥) [الرعد: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ

﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

* وكذا الإحسان إلى الفقراء والمساكين:

* وكذا الآيات التي تأمر بذكر الله عز وجل والإكثار منه والحث عليه فهي

متكررة وكثيراً جداً.

ومن المتكرر ذكره عطف الخاص على العام لبيان أهمية هذا الخاص.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ

وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ [الأحزاب: ٧].

فهؤلاء الأنبياء المذكورون بأسمائهم داخلون في الأنبياء إجمالاً، ولكنهم

خصوا بالذكر لمزيد فضلهم وشرفهم ولكونهم أولوا العزم من الرسل.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ [الرحمن: ٦٨].

وثمرات النخيل، وكذا الرمان داخلان في الفاكهة.

ومن ذلك قول أهل الإيمان: ﴿إِيَّاكَ تَبَدُّوْا وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْثُ ﴿٥﴾ [الفاتحة: ٥].

فالعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه والاستعانة مما يحبه الله

ويرضاه، أي أنها داخلَةٌ في العبادة فعطفت الاستعانة (التي هي أخص) على

العبادة التي هي أعم.

فالحاصل أن هذا الباب واسع جداً، تساق الآيات التي تدل على معنى

وتتكرر هذه الآيات بسياقات متنوعة لترسيخ هذا المعنى في الأذهان،

ولتذكير العباد كالذي لا يفهم من وجه يأتيه وجه آخر والذي يغفل في موطن

يأتيه ما يتذكر به في موطن آخر والله رحيم بالعباد.

* ومن ذلك التنبيه بالأدنى على الأعلى:

كقوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

أي: فما ظنكم بطولها.

وكقوله تعالى: ﴿بَطَّأْنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤].

فكيف بطواهرها إذا كانت البواطن من حرير.

وكقوله تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١].

والتطفيف: هو البخس اليسير في خفاء، فكيف بمن يأكلون أموال الناس

بالباطن؟! وكيف بمن يسرقونها!!

* ومن المتكرر ذكره التحذير من الشيطان:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ

عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ لَا يَفْنَنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾

[الأعراف: ٢٧]

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ

الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١].

وغير ذلك كثير.

* الأمر بالعدل والإرشاد إلى الفضل:

وهذا تكرر كثيرا في كتاب الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ

بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥]. فهذا

عدلاً، ثم إرشاداً إلى الفضل بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

فهذا عدلاً وإرشاداً إلى الفضل بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

[الشورى: ٤٠]

وكذا قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ، ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠].

فهذا عدلٌ ثم إرشادٌ إلى الفضل بقوله: ﴿إِنِ اللَّهُ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾

[الحج: ٦٠]

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ...﴾

[النساء: ١٤٨]. عدلاً ثم إرشاداً إلى الفضل بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوقًا قَدِيرًا﴾

[النساء: ١٤٩]. فضل.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠].

أي: ويرشد إلى الإحسان وهو الفضل.

والوارد في هذا الباب كثير.

* ومن ذلك الجمع بين الترغيب والترهيب:

قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣].

وقوله تعالى: ﴿نِعْمَ عِبَادِي أَنتَ أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ

الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [١٦٥] [الأنعام: ١٦٥]

وقوله تعالى: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾

[الأعراف: ١٥٦]

وغير ذلك كثير.

* * *

الأصل الثاني من أصول التفسير

تفسير القرآن بالسنة النبوية على الصلاة والسلام

* وهذا أصل عظيم من أصول التفسير.

* فالسنة مبينة للقرآن ومفسرة له وموضحة للمراد توضحه خير إيضاح،

وتجليه خير تجلية وتبينه خير بيان وتفسره أصح تفسير.

* فالنبي الكريم الذي أنزل عليه القرآن، هو بلا شك أعلم الناس بتأويله

وتنزيله وحلاله وحرامه محكمه ومتشابهه.

* وأفعال النبي ﷺ وأقواله وسيرته في حياته ووصاياه لما بعد مماته،

وأخباره التي بها أخبر، ومعاملاته مع الناس وتوجيهاته وعباداته كل ذلك

تفسير لكتاب الله عز وجل وترجمة عن هذا الكتاب العزيز.

* ولقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ

وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: فالرسول ﷺ مبين عن الله عز

وجل مراده مما أجمله في كتابه من أحكام الصلاة والزكاة وغير ذلك مما لم يفصله.

هذا، وتفسير القرآن بالسنة النبوية مسلك سلكه أئمة التفسير من أهل

السنة والجماعة سواء الذين ذكروا الأسانيد في تفاسيرهم أو الذين فسروا

الآيات تفسيراً موضوعياً أو غير ذلك.

فأصحاب الأسانيد للتفسير كالطبري والبخاري والنسائي والترمذي وأبي

حاتم ، وقبلهم عبد الرزاق والثوري وابن عيينة وغيرهم وغيرهم، كل هؤلاء ذكروا ما تيسر لهم من أسانيد إلى رسول الله ﷺ أو إلى الصحابة فمن بعدهم، وهذا مصيرٌ منهم بلا شك إلى اعتماد السنة في التفسير وكذا من جاء من بعدهم كالحافظ ابن كثير والقرطبي والشوكاني رحمهم الله ، فهؤلاء وغيرهم كثيرون جدًّا اعتمدوا السنة في التفسير وهذا أمر لا يحتاج إلى كبير تنبيه.

* وينبغي أن تكون الأحاديث التي تفسر بها الآيات أحاديث صحيحة أو حسان، وذلك كسائر العلوم التي يستدل لها بسنة رسول الله ﷺ. وبعد، فأقول وبالله التوفيق:

كما سبق فإن سنة رسول الله ﷺ توضح ما أجمل وتبين ما أشكل كل الأبواب، وكذا تضيف أمورًا على ما تضمنته بعض الآيات وتستثنى أمورًا مما ذكر في آيات أخرى، وكذا تزيل الالتباس وتدفع الشكوك.

* فمن توضيحها لما أجمل في الكتاب العزيز أمر الصلاة، فقد أمرنا الله عزَّ وجل في كتابه الكريم بالصلاة على وجه الإجمال: ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] ، وقال سبحانه: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

إن سنة رسول الله ﷺ توضح ما أجمل في كل الأبواب

* ففي باب قضاء الحاجة: كيف نقضي حاجتنا، هل نستقبل القبلة أم لا عند قضاء الحاجة؟، وهل نمسح باليمين أم لا؟ وكيف نستجمر؟ وكوننا نستتر عند قضائها، والتحذير من ارتداد البول إلى غير ذلك، كله بينته سنة

رسول الله ﷺ

* وكذا الوضوء الذي أمرنا به عند القيام للصلاة: هل نتوضأ عند كل قيام لكل صلاة، أم نتوضأ إذا قمنا إلى الصلاة ونحن على غير وضوء؟. وهل تسبق الوضوء نية؟ وهل فيه تسمية والمضمضة والاستنشاق ليس لهما ذكر في كتاب الله فهل يتمضمض ونستنشق، وما الذكر عقب الوضوء وما نواقض هذا الوضوء؟

* وكذا توابع الوضوء: من المسح على الخفين، والمسح على الجورب وتوقيت ذلك المسح، فكل ذلك مفصلٌ في سنة رسول الله ﷺ. * وكذا الغسل الذي أمرنا به في مواطن: كيف نغتسل؟ ومن أي شيء نغتسل؟ جلُّ ذلك مبينٌ بسنة رسول الله ﷺ.

* وكذا الأذان الذي يُنادى به للصلوات: كيف الأذان؟ وما وقته؟ وما ألفاظه وأحكامه وفوائده وآدابه؟ كل شيء مبينٌ بسنة رسول الله ﷺ. * وكذا الصلاة: فقد أمرنا الله عزَّ وجلَّ أمراً عاماً بالصلاة إذ قال:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾

[العنكبوت: ٤٥]

لكن كيف نصلي؟ وبم نفتح الصلاة، وبم نقرأ، وكيف نركع؟ وماذا نقول في الركوع، وماذا نقول في السجود؟ وكم سجدة في كل ركعة؟ وكيف نتشهد؟ وكيف نخرج من الصلاة؟ والظهر كم ركعة والعصر كم ركعة، وكذا المغرب والعشاء والصبح!!!!

لقد قال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

* وكذا فقد قال تعالى: ﴿إِذَا تَوَدَّى لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ...﴾ [الجمعة: ٩] فكيف نصلي الجمعة، وكيف الخطبة، وعلى من تجب، وعلى من لا تجب؟ وكذا كل ما يتعلق بالجمعة.

* فصفة صلاة الجمعة: بيّتها سنة رسول الله ﷺ وعموم ما يتعلق بالجمعة بينته سنة رسول الله ﷺ.

* وصفة صلاة العيدين: بيّتها سنة رسول الله ﷺ.

* وصفة صلاة الاستسقاء: بيّتها سنة رسول الله ﷺ.

* وصفة صلاة الكسوف: بيّتها سنة رسول الله ﷺ.

* والجنائز وما ورد فيها من أحكام: بيّتها السنة المباركة فغسل الميت لم يرد صريحاً في كتاب الله، ومن ثم كيف يغسل؟ وكذا كيفية الصلاة على الجنابة.

* وكيفية الكفن وكيفية الدفن، وفضل الدعاء للميت، وكيفية الصنفوف في الصلاة على الجنابة.

وكذا النهي عن النياحة ولطم الخدود وشق الجيوب والنهي عن الدعاء بدعوى الجاهلية كل ذلك بيّته سنة رسول الله ﷺ.

* وكذا أمر الزكاة، كيف نزكي؟ وكم نزكي؟ وما مقدار النصاب؟ وما وقت الزكاة؟ وممن تؤخذ؟ وأين تصرف؟.

كل ذلك مجمل في كتاب الله مفصّل في سنة رسول الله ﷺ.

* وكذا الصيام، ما المحظور علينا فيه؟ والمباح لنا؟ وصوم أيام معلومة

معينة غير الفريضة لم يرد له ذكر صريح في كتاب الله عزَّ وجل لكن بيّنت ذلك السنة، كصوم يوم عاشوراء وصوم يوم عرفة وكذا صوم الاثنين والخميس والثلاثة البيض من كل شهر، فضل كل ذلك مبيّن في السنة.

* وكذا النهي عن صوم يوم النحر، وأيام التشريق ويوم الفطر وإفراد الجمعة بالصوم.

* وكذا الحجُّ، فقد أجمل ذكره في كتاب الله عز وجل وفصلته سنة رسول الله ﷺ تفصيلاً.

* فلم تبين في كتاب الله مواقيت الحج المكانية ولا الزمانية وبيّنت في سنة رسول الله ﷺ.

* ولم تذكر تفصيلاً أقسام الحج (الإفراد، والقران والتمتع) وذكر ذلك في السنة.

* ولم يذكر في كتاب الله ما يلبسه المحرم وما لا يلبسه، وذكر ذلك في السنة.

* وكذا الحائض ماذا تصنع في حجها وعمرتها؟ وبيّن ذلك في السنة.

* وكيف الطواف؟ ومن أين نبدأ؟ وإلى أين ننتهي؟ وكم شوط نطوف؟ وكم شوط نسعى بين الصفا والمروة؟ والجمع بين الصلوات بعرفات ومزدلفة والصلاة بمزدلفة ورمي الجمار وطواف الوداع وغير ذلك من التفاصيل، كل ذلك مبيّن بسنة رسول الله ﷺ.

* وكذا البيوع ما يحلُّ منها وما يحرم، وبيع الغرر والملامسة والمنابذة والنجش، وبيع الثمر قبل بدو الصلاح والغرر في البيوع وبيع التصاوير

وتحريم التجارة في الخمر وبيع الميتة والأصنام وثمان الكلاب، فأحكام ذلك كله مبينة في سنة رسول الله ﷺ.

* وكذا أنواع الربا: كربا الفضل وربا النسيئة، كل ذلك أوضحته سنة رسول الله ﷺ.

* وكذا الوكالة في البيوع وفي غيرها، كل ذلك بيته السنة.

* والديون وأحكامها والمزارعة والحرث والشرب والمساقاة.

* وأحكام الصُّلْحِ وأحكام اللقطة وأحكام الوقف والوصايا.

* وكذا الجهاد وأحكامه، والغنائم وقسمتها والأسرى وما يتعلق بهم

وأنواع التحالفات والعهود والجزية والموادعة، كل ذلك مبينٌ بسنة رسول الله ﷺ.

* وكذا الصحابة وفضائلهم والمغازي والسَّير، كل ذلك مبينٌ في السنة.

* وكذا أبواب النكاح والطلاق والخلع والنشوز والخطبة، وما يتعلق

بذلك فتفصيلاته أوضحته سنة رسول الله ﷺ.

* والمحرمات من الرضاع والنسب، كل ذلك موضح بالسنة،

والمعاشرة الزوجية بتفصيلاتها وحق الزوجة على زوجها والزوج على زوجته.

* والعدد والإحداد والإيلاء والهجران، كل ذلك بينت أحكامه بالسنة

المباركة.

* والأطعمة والأشربة وما يتعلق بهما من أحكام، وكذا الذبائح والصيد

والأضاحي والعقائق، كل ذلك وضحت أحكامه بالسنة المباركة الميمونة.

* وكذا أحكام المرضى والرقى والتعاويد، وأحكام اللباس وأبواب الأدب والسلام والاستئذان والشفاعات والهداية والرشوة، كل ذلك مبينٌ بسنة رسول الله ﷺ.

* وكذا صيغ الأذكار والدعوات، والمستحب والمكروه والمحرم والواجب، وكذا التعاويد والحروز، كل ذلك مبينٌ بالسنة.

* والتفصيلات في أبواب الأيمان والنذور والكفارات، كل ذلك أوضحته السنة.

* والمواريث والديّات والحدود والقصاص والأحكام والغصب والإكراه والحيل، كل ذلك أوضحته السنة وبينت المحظور والجائز.

وتمّ مثال من أبواب الحدود: ألا وهو قول الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

فمن أين تقطع اليد؟ وفي كم تقطع اليد؟

«إن اليد تقطع في ربع دينارٍ فصاعداً»^(١) كما ورد عن رسول الله ﷺ.

* وأبواب الفتن وأشراط الساعة، وأبواب التوحيد، وما يتعلق به، كل ذلك أوضحته السنة المباركة الميمونة.

ففي الجملة، نقول: إن سنة رسول الله ﷺ توضح ما أجمل في الكتاب العزيز وتبينه بياناً شافياً وتفصله تفصيلاً.

فصلوات ربي وسلامه على نبيه وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان. كذلك وسنة رسول الله ﷺ تستثنى من الآيات أموراً، وتضيف

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٩)، ومسلم (٦٧٩٠).

إليها إضافات.

فعلى سبيل المثال:

* قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

بينت سنة رسول الله ﷺ أن هناك ملابساً مستثناةً وحلياً مستثنى، فقد قال رسول الله ﷺ في شأن الذهب والحديد: «إن هذين حرام على ذكور أمتي حلٌّ لإناثها»^(١). وكذا الوارد في نهي المرأة على لبسة الرجل، ونهي الرجل عن لبسة المرأة، والنهي عن تشبه بعضهم ببعض.

* وقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالذَّمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ [المائدة: ٣].

استثنى من الميتة ميتتان، فهما لنا حلال ألا وهما السمك والجراد، واستثنى من الدماء الكبد والطحال، كما في الأثر عن ابن عمر رضي الله عنهما^(٢) وكذا أحلت لنا ميتة البحر؛ لحديث النبي ﷺ: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته»^(٣) وذلك في شأن البحر.

* وكذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

- (١) صحيح بمجموع طرقه، وقد أخرجه ابن ماجه (٣٥٩٥)، والنسائي ببعض (٥١٤٤) (١٦٠/٨) وأحمد (١١٥/١)، وفي لفظ «حلٌّ لإناثها» مقالٌ وإن كان معناه يصح.
 (٢) الطبري بإسناد صحيح موقوفاً على ابن عمر رضي الله عنهما وله حكم المرفوع (أثر ١٢٧٠٠).
 (٣) صحيح، أخرجه أبو داود (حديث ٨٣)، والترمذي (حديث ٦٩) وغيرها.

فأضيف إلى هذه المحرمات محرماتٍ آخر وذلك بسنة رسول الله ﷺ فإن النبي ﷺ حرّم كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير^(١). فحرّمت بذلك الكلاب والسباع والصقور والنمور والعقارب والحيات. وهذا تنبيهٌ هام على أمرٍ من الأهمية بمكان.

ليعلم أن تفسير النبي ﷺ لآية من الآيات أو لكلمة من الكلمات داخل أصالة في تفسير الآية الكريمة، ولا محيد عنه ولا انصراف، وهذا مما لا يشك فيه، ولكن هذا التفسير قد يدخل معه غيره في كثيرٍ من الأحيان، وكذا فأى تفسير يخالف تفسير النبي ﷺ فهو مردود، فهناك فارق بين كون التفسير يضاف إلى ما فسر به رسول الله ﷺ الآية، وبين كون التفسير يخالف ما فسر به رسول الله ﷺ الآية، ولمزيد إيضاح أقول، وبالله التوفيق.

إذا كان النبي ﷺ قد قال: «الحج عرفة»^(٢) فالوقوف بعرفات داخل أصالة في الحج، وهو أهم أعماله لكنه لا ينفي ما سواه، فمن الحج أيضًا الإهلال وطواف الإفاضة والسعي وسائر أعمال الحج.

وكذا إذا كان النبي ﷺ ورد عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] جاء أن تثبته عند السؤال في القبر^(٣) فإن هذا لا ينفي التثبيت بالقول الثابت في

(١) أخرجه مسلم (١٩٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا. وأخرج البخاري (٥٥٣٠)

ومسلم (١٩٣٢) من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه نهى النبي ﷺ عن كل ذي مخلب من السباع.

(٢) كل صحيح وسيأتي إن شاء الله.

(٣) انظر السابق.

مواطن آخر.

وكذا إذا كان صلوات الله وسلامه عليه قد ورد عنه - بما قد يحسن بمجموع طرقه - في تفسير المعيشة الضنك من قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ [طه: ١٢٤]، أنها عذاب القبر، لكن هذا لا ينافي أن يدخل في المعيشة الضنك المعيشة الضنك في الدنيا بالهموم والغموم والمصائب والأحزان والبلايا والنقم ولا ينافي المعيشة الضنك في الآخرة وهكذا.

وبعد هذا البيان المجمل عن السُّنَّةِ وأثرها في تفسير كتاب الله عزَّ وجل والارتباط الوثيق بين الكتاب والسنة، أورد أيضًا بعض الآيات التي فسرها رسول الله ﷺ وبين المراد بها أو فسر صلوات الله وسلامه عليه بعض الكلمات فيها أو تلاها في موطنٍ وأفهمت تلاوته لها في هذا الموطن معناها إلى غير ذلك مما سأورده هاهنا إن شاء الله.

* * *

فصل في آيات فسرها رسول الله ﷺ وألفاظ بينها صلوات الله وسلامه عليه

﴿بيانه صلوات الله وسلامه عليه لـ﴾ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴿، وكذا﴾ الضَّالِّينَ ﴿:

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المغضوب عليهم اليهود، وقال: ولا الضالين، قال: النصراني»^{(١)(٢)}.

﴿وكذا بيانه صلوات الله وسلامه عليه القول الذي قاله الإسرائيليون بدلاً من قولهم حطة﴾:

لقد قالوا عنادًا وكبرًا واستهزاءً بدلاً من أن يسألوا ربهم أن يحط عنهم خطاياهم قالوا حبة في شعيرة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قيل لبني إسرائيل﴾ وَأَدْخُلُوا أَبْابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴿ فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدلوا وقالوا حطة حبة في شعيرة»^{(٣)(٤)}.

(١) أخرجه الطبري (في تفسيره لسورة الفاتحة) وللحديث شواهد انظر الطبري أيضًا، والترمذي (٢٩٥٤)، وأحمد (٧٧/٥).

(٢) وكما أسلفت فهذا لا يعني أن ليس هناك مغضوب عليهم وضالون غير اليهود والنصارى، بل هناك من هم مغضوب عليهم وهم الكفار جملة، وضالون أيضًا وهم الكفار جملة، وكذا فاليهود ضالون أيضًا، والنصارى مغضوب عليهم كذلك ولكن لما كان اليهود قد اختصوا بمزيد من غضب الله عز وجل لمعرفة الحق وجحودهم إياه، فمن ثم وصفوا بـ﴾ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴿ وكذا لما كان النصراني بعيدون عن الحق ويتعبدون الله بجهلٍ وسموا بـ﴾ الضَّالِّينَ ﴿، وإن كان غيرهم من الضالين كذلك والله أعلم.

(٣) ومنهم من قال: حنطة، استخفافًا واستهزاءً وكبرًا وعنادًا.

(٤) البخاري (٤٤٧٩)، ومسلم (٣٠١٥).

وكذا تفسيره صلوات الله وسلامه عليه للرجز الذي أرسل على بني إسرائيل وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩].

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم»^(١).

بيانه صلوات الله وسلامه عليه للفدية المذكورة في قوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

عن عبد الله بن معقل قال: قعدت إلى كعب بن عجرة في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - فسألته عن ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ﴾.

فقال: حملت إلى النبي صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي. فقال: «ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا أما تجد شاة؟».

قلت: لا. قال: «صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك» فنزلت في خاصة وهي لكم عامة^(٢).

وتفسيره صلوات الله وسلامه عليه (الوسط) بأنه (العدل):

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم فيقال لأمتة: هل بلغتكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمتة فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيداً فذلك قوله

(١) البخاري (٣٤٧٣)، ومسلم (٢٢١٨).

(٢) البخاري (٤٥١٧)، ومسلم (١٢٠١).

جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ﴿والوسط: العدل﴾^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] قال: «الوسط العدل»^(٢).

﴿ومن ذلك تفسيره صلوات الله وسلامه عليه للصلاة الوسطى في قوله تعالى:

﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وبيان أنها العصر.

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا»^(٣) ثم صلاها بين العشاءين المغرب والعشاء».

﴿بيان النبي صلى الله عليه وسلم أهله وأبنائه، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾ [آل عمران: ٦١].

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًا وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»^(٤).

﴿كذا بيانه صلوات الله وسلامه عليه للطعام الذي حرّمه نبي الله إسرائيل (وهو يعقوب عليه السلام) على نفسه:

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) البخاري (٤٤٨٧).

(٢) أحمد (٣٢/٣) بسند صحيح.

(٣) مسلم (٦٢٧)، وله شاهدًا أيضًا عند مسلم (٦٢٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) الترمذي (٢٩٩٩) بسند حسن.

فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنها لا يعلمهن إلا نبي فكان فيما سأله أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة؟ قال: «فأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب عليه السلام مرض مرضاً شديداً فطال سقمه فنذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ليحرم من أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه؟ فكان أحب الطعام إليه لحمان الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها» فقالوا: اللهم نعم^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا...﴾ [آل عمران: ١٦٩].

عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ - هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ -، عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] قال: أما إننا قد سألنا عن ذلك فقال: «أرواحهم في جوف طيرٍ خضرٍ، لها قناديل معلقةٌ بالعرش. تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعةً فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيءٍ نشتهي؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا. ففعل ذلك بهم ثلاث مرّاتٍ، فلما رأوا أنّهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا ربّ نريد أن تردّ أرواحنا في أجسادنا حتّى نقتل في سبيلك مرّةً أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجةٌ تركوا»^(٢).

﴿بيان الكبائر وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَحْتَبِرُونَ كِبَارًا إِلاَّ تَمَّ وَالْفَوْحَشَ﴾

[الشورى: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿إِنْ يَحْتَبِرُوا كِبَارًا مَا نُهَوِّنَ عَنْهُ نُكْفَرُ عَنْكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

(١) أحمد في مسنده (٢٧٣/١) بسندٍ صحيحٍ لغيره، وله شاهد عند أحمد في المسند (٢٧٤/١).

(٢) مسلم (١٨٨٧).

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أَنْبئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» قَالُوا: بلى يا رسول الله قال ثلاثاً: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقول الزُّور، وشهادة الزور، ألا وقول الزُّور، وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت^(١).

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكِبَائِرَ (أو سئل، عن الكِبَائِرِ) فقال: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعَقُوقُ الْوَالِدِينَ» وقال: «أَلَا أَنْبئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» قال: «قول الزُّور (أو: شهادة الزُّور)» قال شعبة: فأكثر ظنِّي أَنَّهُ قال: «شهادة الزُّور»^(٢).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْكِبَائِرُ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعَقُوقُ الْوَالِدِينَ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ»^(٣).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدَاءً وَهُوَ خَلْقُكَ» قلت: إِنَّ ذَلِكَ لِعَظِيمٌ قلت: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قلت: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»^(٤)^(٥).

(١) البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧).

وللعلماء في تحديد الكبيرة وضبطها أقوال من أشهرها وأمثلها ما أقيم على فاعلها حد في الدنيا أو توعد الله عز وجل بلعن أو بنار أو بطرد من الرحمة ونحو ذلك، أو قيل في شأن فاعلها ليس منا من فعل كذا وكذا....

(٢) البخاري (٥٩٧٧)، ومسلم (٨٨).

(٣) البخاري (٦٦٧٥).

(٤) حليمة جارك أي زوجة جارك.

(٥) البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

وفي رواية لمسلم فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (٦٨)

[الفرقان: ٦٨]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ»^(١) قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ وَالسَّحَرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»^(٢) (٣).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ»^(٤).

❖ وبيانه صلوات الله وسلامه عليه بعض المعينين بقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ

يَأْتِي اللَّهُ يَوْمَ يُقِيمُ يُجِبُّهُمْ وَيُجِبُّونَهُ» [المائدة: ٥٤].

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَا نَزَلَتِ الْآيَةُ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ يُقِيمُ يُجِبُّهُمْ وَيُجِبُّونَهُ» قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هم قومك يا أبا موسى» وأوما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده إلى أبي موسى الأشعري وفي رواية: «هم هذا وقومه» وأشار إلى

(١) الموبقات أي: المهلكات.

(٢) المحصنات الغافلات: أي العفيفات الغافلات عن الفواحش، ولا يخفى أن كل من قذف محصنة فإنه مرتكب للكبيرة المهلكة ولكن أشد ذلك من قذف الفضليات اللاتي لم ترد الفاحشة لهن على بال.

(٣) البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٤) البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).

أبي موسى (١)(٢).

❖ بيانه ﷺ عن الخمر:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ولا أعلمه إلا عن النبي ﷺ قال: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام» (٣).

❖ ومن ذلك تفسيره صلوات الله وسلامه عليه وبيانه لمفاتيح الغيب في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

فعن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت» (٤).

❖ وكذا بيانه ﷺ الآية التي إذا أتت ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا تَكُنَّ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وأن هذه الآية هي طلوع الشمس من مغربها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس أجمعون فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها» ثم قرأ الآية (٥).

(١) الطبري (٦/١٨٣).

(٢) وكما أسلفت فليس القوم الذين يحبهم الله ويحبونه محصورون في أبي موسى وقومه، ولكن أبو موسى وقومه داخلون فيهم.

(٣) مسلم (٢٠٠٣).

(٤) البخاري (٤٦٢٧).

(٥) البخاري (٤٦٣٦)، ومسلم (١٥٧).

﴿بَيَانَهُ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتُودُوا أَنْ تَلَکُمُ الْجَنَّةُ

أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٣].

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحُحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا. وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنَعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا» فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتُودُوا أَنْ تَلَکُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾^(١).

﴿وَمِنْ تَفْسِيرِهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ لِلْقُوَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا

لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ: «﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ^(٢)»^(٣).

﴿وَكَذَا بَيَانُهُ الْيَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ مَا هُوَ؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْحِجَّةِ فِي الْمُؤَدِّينَ الَّذِينَ بَعَثَهُمْ يَوْمَ النَّحْرِ يُؤَدِّنُونَ بَمَنَى أَنْ: «لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَرِيَانٌ» قَالَ حَمِيدٌ: ثُمَّ أَرَدَفَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَدِّنَ بَرَاءَةً، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ يَوْمَ النَّحْرِ فِي أَهْلِ

(١) مسلم (٢٨٣٧).

(٢) والرمي بلا شك من أعظم القوة، والذي منه القذف بالطائرات والصواريخ والقنابل والرصاص والدانات وغير ذلك، وهذا من أعظم القوة ولكن الضرب بالسيف داخل أيضًا في القوة. وإنما بين النبي ﷺ أعظمها.

(٣) مسلم (١٩١٧).

مَنْ بَرَاءَةٌ وَأَنْ «لَا يَحْجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَرِيَانٌ»^(١).

عَنْ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجُمَرَاتِ فِي

الْحِجَّةِ الَّتِي حَجَّ فَقَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟».

قَالُوا: يَوْمَ النَّحْرِ قَالَ: «هَذَا يَوْمُ الْحِجِّ الْأَكْبَرِ»^(٢).

❁ وَكَذَا بَيَّانَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ لِلْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ الْحَرَمِ مَا هِيَ؟

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ

يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ. السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا. مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حَرَمٌ. ثَلَاثٌ

مَتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمَحَرَّمِ. وَرَجَبٌ مُضَرٌّ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى

وَشَعْبَانَ»^(٣).

❁ وَكَذَا بَيَّانَهُ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ لِلْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قَالَ: قُلْتُ لَهُ: كَيْفَ سَمِعْتَ أَبَاكَ يَذْكُرُ فِي

الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: قَالَ أَبِي: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الْمَسْجِدِينَ الَّذِي أُسِّسَ

عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءٍ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: «هُوَ

مَسْجِدُكُمْ هَذَا» (لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ).

قَالَ: فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ أَبَاكَ هَكَذَا يَذْكُرُهُ»^(٤)^(٥).

(١) البخاري (٤٦٥٥)، ومسلم (١٣٤٧).

(٢) أبو داود (١٩٢٩).

(٣) البخاري (٤٦٦٢)، ومسلم (١٦٧٩).

(٤) مسلم (١٣٩٨).

(٥) وهذا لا ينافي أن تكون هناك مساجد أخر أسست على التقوى كمسجد قباء وغيره من المساجد.

❖ بيانه ﷺ البشري، وذلك كما هو مفهوم في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ [يونس: ٦٤].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ هِيَ الْبُشْرَى يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تَرَى لَهُ»^(١).

❖ ومن تفسيره صلوات الله وسلامه عليه للتثبيت في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].
عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ إِذَا سئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾»^(٢).

❖ بيان المراد بيوم الحسرة:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ فَيَنَادِي مَنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيُشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ ثُمَّ يَنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيُشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَوْهُ فَيَذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ فَلَا مَوْتَ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ وهؤلاء في غفلة

(١) الطبري (٩٥/١١) بسند صحيح لشواهد.

وانظر بعض الشواهد عند أحمد (٤٤٥/٦)، والحاكم (٣٤٠/٢)، والترمذي (٣١٠٦) وغيرهم.

(٢) البخاري (٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧١) وهذا التثبيت في القبر لا ينفي التثبيت أيضًا في الحياة قبل

الممات وذلك بأن يحيا المؤمن على قول لا إله إلا الله ويموت عليها.

أهل الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٩) ﴿١﴾.

﴿بيانه صلوات الله وسلامه عليه السبع المثاني وأنها الفاتحة:

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ: مَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ فَقَالَ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِي؟» فَقُلْتُ: كُنْتُ أَصَلِّي فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] قَالَ: لِأَعْلَمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أُخْرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ» فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخْرِجَ فَذَكَرْتَهُ فَقَالَ: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ [الفاتحة: ٢] هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ» ﴿٢﴾.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّ الْقُرْآنُ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ» ﴿٣﴾ ﴿٤﴾.

﴿بيانه صلوات الله وسلامه عليه مكان الفردوس:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدُوسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أَرَاهُ قَالَ: وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفْجُرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» ﴿٥﴾.

(١) البخاري (٤٧٣٠).

(٢) البخاري (٤٧٠٣).

(٣) البخاري (٢٧٦٦).

(٤) ولقد أطلق على القرآن كله مثاني باعتبار، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا

مَثَانِي...﴾ [الزمر: ٢٣].

(٥) البخاري (٢٧٩٠).

✽ المراد بالمكان العلي في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (٥٧) [مریم: ٥٧]:

في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أتيت بالبراق...» الحديث وفيه «ثمَّ عرج بنا إلى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فاستفتح جبريل عليه السَّلَام قِيلَ: من هذا؟ قال: جبريل. قِيلَ: ومن معك؟ قال: محمَّدٌ. قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدریس، فرحَّب ودعالي بخيرٍ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (٥٧) [مریم: ٥٧]. ثمَّ عرج بنا إلى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ»^(١).

✽ تفسير الوُدِّ في قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (٩٦) [مریم: ٩٦].
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جَبْرِيْلَ إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فَلَانًا فَأَحَبَّهُ قَالَ فِينَادِي فِي السَّمَاءِ ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْمَحَبَّةُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (٩٦) وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جَبْرِيْلَ إِنِّي قَدْ أَبْغَضْتُ فَلَانًا فِينَادِي فِي السَّمَاءِ ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْبِغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»^(٢).

✽ بيان المراد بالمعيشة الضنك:

وكذا الوارد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تفسير المعيشة الضنك المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤] بأنها عذاب القبر.

أخرج ذلك ابن أبي حاتم وكما نقله عنه الحافظ ابن كثير رحمه الله.

قلت (مصطفى): وسنده هنالك حسن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١) مسلم (٢٥٩).

(٢) الترمذي (٣١٦١) بسند صحيح.

«فإن له معيشة ضنكاً» قال: «عذاب القبر»^(١).

وقد قال الحافظ ابن كثير أيضاً: إسناده جيد^(٢).

﴿بَيَانُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾﴾

[المؤمنون: ١٠]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار وإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله» فذلك قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾^(٣).

﴿وَكَذَا بَيَانُ بَعْضِ الْمُرَادِ بِالْعَشِيرَةِ الْأَقْرَبِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ

عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٤) قال: «يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً»^(٥).

وفي رواية لمسلم: عن أبي هريرة قال: لَمَّا أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَيْشًا. فَاجْتَمَعُوا. فَعَمَّ وَخَصَّ. فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي هَاشِمٍ! أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي

(١) مع أن المعيشة الضنك قد تكون في الدنيا والآخرة أيضاً.

(٢) وأورد له الحافظ ابن كثير طرقاتاً أخر مع بيان وجوه إعلالها.

(٣) الطبري (١٨/٥).

(٤) البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦).

عبد المطلب! أنقذوا أنفسكم من النار. يا فاطمة! أنقذي نفسك من النار. فإنني لا أملك لكم من الله شيئاً. غير أن لكم رحمًا سألها ببلالها»^(١).

وفي أخرى عند مسلم كذلك: عن عائشة قالت: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قام رسول الله ﷺ على الصفا فقال: «يا فاطمة بنت محمد! يا صفية بنت عبد المطلب! يا بني عبد المطلب! لا أملك لكم من الله شيئاً. سلوني من مالي ما شئتم»^(٢).

وفي رواية عند البخاري: عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ﴿٢١٤﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر يا بني عدي» لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهبٍ وقريش فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقني؟» قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً قال: «فإنني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد» فقال أبو لهبٍ: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ السورة^(٣).

ذكره ﷺ رجلاً ممن قضى نجه، وذلك عند قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

عن موسى عيسى ابني طلحة عن أبيهما طلحة أن أصحاب رسول الله ﷺ

قالوا لأعرابي جاهل: سله عن من قضى نجه من هو؟

(١) مسلم (٢٠٤).

(٢) مسلم (٢٠٥).

(٣) البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٤).

وكانوا لا يجترئون على مسأله يوقرونه ويهابونه، فسأله الأعرابي فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم إني اطلعت من باب المسجد وعليّ ثياب خضر فلما رأني رسول الله ﷺ قال: «أين السائل عمن قضى نجه؟» قال: أنا يا رسول الله . قال: «هذا ممن قضى نجه»^{(١)(٢)}.

عن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: جئت أريد علياً رضي الله عنه فلم أجده. فقالت فاطمة رضي الله عنها: انطلق إلى رسول الله ﷺ يدعوه فاجلس فجاء مع رسول الله ﷺ فدخل ودخلت معهما. قال: فدعا رسول الله ﷺ حسناً وحسيناً فأجلس كل واحد منهما على فخذه وأدنى فاطمة من حجره وزوجها ثم لف عليهم ثوبه وأنا شاهد فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] اللهم هؤلاء أهل بيتي» حسن وله شواهد^(٣).

❁ بيانه رضي الله عنه المكان الذي تستقر فيه الشمس، والمعنى بقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨].

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال: «يا أبا ذر أتدري أين تغيب الشمس» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾»^(٤).

(١) الترمذي بسند حسن (٣٢٠٣).

(٢) وكما هو واضح من السياق فليس طلحة وحده هو الذي قضى نجه، بل داخل معه غيره، وذلك جليّ من قوله رضي الله عنه: «هذا ممن قضى نجه».

هذا والمراد بالنجب: العهد، والله أعلم.

(٣) الحاكم في المستدرک (٤١٦/٢).

وفي رواية من طريق الأعمش عن إبراهيم التيمي به قال: أبو ذر رضي الله عنه: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا...﴾ قال: «مستقرها تحت العرش»^(١).

✽ بيان المراد بالصور:

عن عبد الله بن عمرو (ابن عمرو أو ابن عمر) رضي الله عنهما: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصور قرن ينفخ فيه»^(٢).

✽ بيانه صلوات الله وسلامه عليه لبعض أوصاف حملة العرش:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أَحَدِّثَكُمْ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ»^(٣) وفي رواية: «إلى عنقه» بدلا من «عاتقه».

✽ وبيانه صلوات الله وسلامه عليه لكون الدعاء عبادة:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدعاء هو العبادة» وقال رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ [غافر: ٦٠].

زاد الترمذي في روايته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] ^{(٤)(٥)}.

(١) البخاري (٤٨٠٢)، ومسلم (١٥٩).

(٢) أبو داود بسند صحيح (حديث ٤٧١٣) وقد أشار البعض إلى إعلاله، وصوبوا أنه موقوف على عبد الله بن سلام رضي الله عنه وهذا له وجهة قوية والله أعلم.

(٣) أبو داود (٤٧٠١) بسند صحيح.

(٤) أبو داود (١٤٦٦)، والترمذي (٢٣٤٧).

(٥) وغير الدعاء داخل في العبادة كذلك من ذبح ونذر وصلاة وصيام وغير ذلك وكذا فالدعاء منه دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

❖ وحول قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لما نزلت ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين إذا تولينا استبدلوا بنا وسلمان إلى جنبه فقال: «هم الفرس هذا وقومه»^{(١)(٢)}.

❖ ومن ذلك تفسيره صلوات الله وسلامه عليه للغيبة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه فقد بهتته»^(٣).

❖ بعض الوارد في البيت المعمور:

عن مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فساق حديث المعراج الطويل وفيه: «فأتينا السماء السابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل. قيل: ومن معك؟ قيل: محمد. قيل: وقد أرسل له؟ قال: نعم. قيل مرحبًا به ولنعم المجيء جاء.

فأتيت إبراهيم فسلمت عليه فقال: مرحبًا بك من ابن ونبى فرجع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»^(٤)، ثم ساق بقية الحديث الطويل.

(١) الحاكم في المستدرک (٢/٤٥٨) بسند حسن.

(٢) وكما سلف مرارًا فإن هذا لا ينفي ما عداه، فالقوم الذين يأتي الله بهم ليسوا الفرس فحسب، وإن دخل الفرس فيهم زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٣) مسلم (٢٥٨٩).

(٤) البخاري (٢٢٠٧)، ومسلم (١٦٢).

❖ بعض الوارد في سدرة المنتهى:

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: فساق حديث المعراج الطويل - وجاء فيه «فأتيت السماء السابعة ورفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال: هذه سدرة المنتهى. وفي أصلها أربعة أنهار. نهران باطنان ونهران ظاهران، فسألت جبريل فقال: أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات»^(١).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا أُسْرِي بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: انْتَهَى بِهِ إِلَى سَدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يَعْرَجُ مِنَ الْأَرْضِ فَيَقْبُضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يَهْبِطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيَقْبُضُ مِنْهَا، قَالَ: ﴿إِذِيعَشَى السِّدْرَةَ مَا يَعَشَى﴾ (١٦) ❖ [النجم: ١٦] قَالَ: فَرَأَيْتُ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ: فَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَلَاثًا: أَعْطَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأَعْطَى خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقْرَةِ، وَغَفَرَ لِمَنْ لَمْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمَقْحَمَاتِ^(٢).

❖ تفسير الران المذكور في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[المطففين: ١٤]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نَكْتَةٌ سُودَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صَقَلَ قَلْبَهُ فَإِنْ زَادَ زَادَتْ فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^(٣).

(١) البخاري (٢٢٠٧) و (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٢).

(٢) مسلم (١٧٣).

(٣) الترمذي (٣٣٣٤).

﴿ وكذا وصفه ﷺ لأشقى رجل في قبيلة ثمود:

ذلكم الذي عقر الناقة وقال الله عنه: ﴿ إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا ﴾ (١٢) ﴿

[الشمس: ١٢]

عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقره، فقال رسول الله ﷺ ﴿ إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا ﴾ (١٢) ﴿ انبعث (١) لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة» وفي رواية: «أبي زمعة عم الزبير بن العوام» (٢). ﴿ بيان بعض المراد بـ ﴿ أَلْمَاعُونَ ﴾:

عن عبد الله قال: «كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر» (٣) (٤).

﴿ بيانه صلوات الله وسلامه عليه ﴿ أَلْكُوْثَرُ ﴾ [الكوثر: ١].

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهَرِنَا، إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مَتَبَسِّمًا. فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْزَلَتْ عَلَيَّ آتِفًا سُورَةٌ» فَقَرَأُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ ﴾ (١) فَصَلَّ لِرَبِّكَ وَأَحْرَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكُوْثَرُ؟» فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ نَهْرًا وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ. عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ. هُوَ حَوْضٌ تَرْدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. آيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ. فَيَخْتَلِجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ.

(١) انبعث أي: قام ونهض.

(٢) البخاري (٤٩٤٢)، ومسلم (٢٨٥٥).

(٣) أبو داود (١٦٤١) بسند حسن.

(٤) وهذا كان في زمانهم، ولا ينبغي أن يدخل في الماعون الذي ذكر الله بقوله ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ (٧) ﴿ أشياء أخر تختلف باختلاف الأزمنة والأماكن، والله أعلم.

فأقول: ربِّ! إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي. فيقول: ما تدري ما أحدثوا بعدك»^{(١)(٢)}.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا عَرَجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَتَاهُ قَبَابُ اللَّوْلُؤِ مَجُوفًا فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكُوْثَرُ»^(٣).

✽ تَأْوَلُ النَّبِيُّ ﷺ بِعُضِّ الْآيَاتِ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(١) إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي».

وفي رواية عند البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» يَتَأْوَلُ الْقُرْآنَ^(٤).

✽ بعض المراد بـ ﴿عَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾^(٢) [الفلق: ٣].

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ اسْتَعِيْذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا فَإِنَّ هَذَا الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»^{(٥)(٦)}.

(١) مسلم (٤٠٠).

(٢) وقد قال بعض السلف الصالح رحمهم الله إن المراد بالكوثر الخير الكثير، ولما ذكر بالحديث قال: ما حاصله إن النهر والحوض من الخير الكثير الذي أعطاه الله نبيه ﷺ.

(٣) البخاري (٤٩٦٤).

(٤) البخاري (٤٩٦٧)، ومسلم (٤٨٣).

(٥) الترمذي (٣٣٦٦) بسند صحيح.

(٦) هذا ومن أهل العلم من فسّر الفاسق إذا وَقَبَ بالليل إذا دخل، قال: ومن متبوعات ذلك القمر

إذا ظهر واستدل بعضهم لذلك بقوله تعالى: ﴿أَقْرِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ

الْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

فصل في بيان آيات قد تفهم على غير وجهها فيبين

النبي ﷺ الوجه الصحيح للآيات ومعانيها

فمن ذلك:

﴿بَيَانُهُ لِلْإِعْتِزَالِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢] فقد يظن ظان أن الاعتزال مطلق كما ظنت اليهود، ولكن بين النبي ﷺ أن المراد اعتزال الجماع.

عن أنس؛ أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت. فسأل أصحاب النبي ﷺ، النبي ﷺ. فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] إلى آخر الآية، فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»^(١).

﴿وَكَذَا قَدْ يَظُنُّ ظَانٌ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿نِسَاءُكُمْ حَرَّتُ لَكُمْ فَأَتُوا حَرَّتَكُمْ أَنِّي سِئْتُمْ﴾﴾

[البقرة: ٢٢٣]

* يفيد أنه يجوز إتيان المرأة في الدبر فيخطئ بذلك خطأ كبيراً ويرتكب محرماً عظيماً فيبين النبي ﷺ المراد:

عن ابن سابق قال:

سألت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، قلت لها: إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحيي أن أسألك عنه؟ قالت: سل يا ابن أخي عما بدا لك. قال: أسألك عن إتيان النساء في أدبارهن. فقالت: حدثني

(١) مسلم في صحيحه (٣٠٢).

أم سلمة رضي الله عنها، قالت: كانت الأنصار لا تجبي، وكانت المهاجرون تجبي، فتزوج رجل من المهاجرين امرأة من الأنصار، فجباها، فأبت الأنصارية، فأتت أم سلمة، فذكرت ذلك لها، فلما أن جاء النبي صلى الله عليه وسلم استحت الأنصارية وخرجت، فذكرت ذلك أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ادعوها لي» فدعيت له، فقال لها: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْي شِئْتُمْ﴾ «صمامًا واحدًا» والصمام: السبيل الواحد^(١).

ومن هذا بيانه صلوات الله وسلامه عليه الخيط الأبيض من الخيط الأسود فقد ظن البعض أنه الخيط المعهود فدفع النبي صلى الله عليه وسلم هذا الظن وأوضح المراد.

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه: قلت يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود؟ أهما الخيطان؟ قال: «إنك لعريض القفا، إن أبصرت الخيطين» ثم قال: «لا بل هو سواد الليل وبياض الفجر»^(٢).

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: أَنْزَلَتْ ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ ولم ينزل ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصَّوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما فأنزل الله بعده ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فعلموا إنما يعني الليل من النهار^(٣).

(١) الدارمي (٢٥٦/١)، والترمذي مختصرًا (٢٩٧٩).

قلت: ولا شك ولا ريب أن جماع المرأة في دبرها حرام، وقد وردت في ذلك نصوص تصح بمجموع طرقها تحرّم إتيان المرأة في دبرها.

(٢) البخاري (٤٥٠٩)، ومسلم (١٠٩٠).

(٣) ومعنى قوله: «إنك لعريض القفا» أي إن الوساد لعريض.

❖ وكذا بيانه صلوات الله وسلامه عليه لقوله تعالى في شان الصفا والمروة:
﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]. فقد
يظن ظان أن السعي بينهما جائز فقط.

فعن عروة في قوله: ❖ ❖ ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ
اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] قلت: فوالله ما على أحد
جناح أن لا يطوف بهما فقالت عائشة: بس ما قلت يا ابن أخي إنها لو كانت
على ما أولتها عليه كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ولكنها إنما أنزلت أن
الأنصار كانوا قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند
المشلل وكان من أهل لها يتحرَّج أن يطوف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك
رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرَّج أن نطوف بالصفا والمروة في
الجاهلية فأنزل الله عز وجل: ❖ ❖ ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ
اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ قالت عائشة رضي الله عنها: ثم قد سنَّ رسول الله
ﷺ الطَّواف بهما فليس لأحد أن يدع الطَّواف بهما^(١).

❖ وكذا دفع الإشكال الذي ورد على البعض عند قوله تعالى: ❖ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ
فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ❖

[النساء: ١٠١]

= والمعنى: إذا كنت تضع الخيط الأبيض (الذي هو الأفق في اتجاه طلوع الشمس، والخيط
الأسود تضع كل ذلك تحت وسادتك فستكون الوسادة كبيرة جداً هي نتسع للخيط الأبيض
والخيط الأسود، ومن ثم سيكون قفاك الذي ينام على هذه الوسادة عريض جداً.

البخاري (١٩١٧).

(١) البخاري (١٦٤٣)، ومسلم (١٢٧٧).

فظاهر الآية الكريمة يفيد: أن القصر فقط يكون عند خوف الفتنة من أهل الكفر.

✽ لكن سنة رسول الله ﷺ أوضحت أن القصر لعموم المسافرين:

أخرج مسلم في صحيحه من طريق يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطّاب: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ✽ فقد آمن الناس!

فقال: عجبتُ مما عجبتَ منه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته» (١).

وعند البخاري من حديث حارثة بن وهب، قال: صلى بنا النبي ﷺ آمن ما كان بمنى ركعتين (٢).

✽ وقد خفى على بعض الصحابة المراد بالظلم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] حتى بينه لهم رسول الله ﷺ.

عن عبد الله ﷺ قال: لما نزلت ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ...﴾ ✽ الآية شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله أينما لم يظلم نفسه؟ قال: «ليس ذلك. إنما هو الشرك، ألم تسمعو ما قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴿يَبْنَى لَأُشْرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) [لقمان: ١٣]» (٣).

وقريبٌ من هذا الباب باب الإيضاح ودفع الإشكال ما ورد عن أنس بن

(١) مسلم (٦٨٦).

(٢) البخاري (١٠٨٣).

(٣) البخاري (٣٤٢٩)، ومسلم (١٢٤).

مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنْ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! يَحْشُرُ الْكَافِرَ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرَّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا، قَادِرًا عَلَى أَنْ يَمْشِيهِ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى. وَعِزَّةٌ رَبَّنَا ^(١)!

﴿﴾ وكذا ما ورد عنه صلوات الله وسلامه عليه من دفع الاشتباه الذي قد ورد على البعض من قوله تعالى لمريم عليها السلام: ﴿يَتَّخِذَ هَرُونَ﴾ [مريم: ٢٨] وقد كان بينها وبين نبي الله هارون زمنا طويلا.

عَنِ الْمُغْبِرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي: إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ ﴿يَتَّخِذَ هَرُونَ﴾. وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بِكَذَا وَكَذَا، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْمُونُ بِأَسْمَاءِ أَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ» ^(٢).

﴿﴾ ومن ذلك بيانه صلوات الله وسلامه عليه للحساب اليسير في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ^(٨) [الانشقاق: ٨] وكيف وأن ذلك أشكل على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من حوسب عذب» قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله أوليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ^(٨) قالت: فقال: «إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك» ^(٣).

(١) البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦).

(٢) مسلم (٢١٣٥).

(٣) البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦).

وللعلماء في تفسير العرض أقوال منها: أن المراد بالعرض: عرض الناس على الميزان. ومنها: أن ينظر في أعماله فيغفر له سيئها ويجازي على حسنها. وأصحها: عرض أعمال العبد عليه بين يدي الله ثم مغفرتها له، ودل على ذلك ما أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف؟ أي رب أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق: الذين كذبوا على ربهم».

وكذلك فالسنة توضح ما أجمل من القصص القرآني

❖ ومن ذلك إيضاح الإجمال المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

فقد أوضح ذلك رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه ابن حبان وأبو يعلى والطبري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللَّهِ لَمَا لَبِثَ فِي بَلَاءِهِ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدَوَانِ إِلَيْهِ وَيُرَوِّحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِسَاحِبِهِ: تَعْلَمُ وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ قَالَ لَهُ سَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْذُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمَهُ اللَّهُ، فَيَكْشِفُ مَا بِهِ، فَلَمَّا رَاحَ إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمْرًا عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ، فَأَرْجِعْ إِلَى بَيْتِي فَأَكْفُرْ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةً أَنْ

يذكر الله إلا في حقِّ قال: وكان يخرج إلى حاجته، فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده فلمَّا كان ذات يوم، أبطأ عليها، فأوحى الله إلى أيُّوب في مكانه ﴿أَرَكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢] فاستبطأته فبلغته، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء فهو أحسن ما كان، فلمَّا رآته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبيَّ الله هذا المبتلى، والله على ذلك ما رأيت أحدًا كان أشبه به منك إذ كان صحيحًا قال: فإنِّي أنا هو، وكان له أندران: أندر القمح، وأندر الشعير، فبعث الله سحابتين، فلمَّا كانت إحداهما على أندر القمح، أفرغت فيه الذهب حتَّى فاضت، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتَّى فاضت»^(١).

❁ وكذا الوارد في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

فقد ورد في تفسير ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيًّا سَتِيرًا لَا يَرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاءٌ مِنْهُ فَآذَاهُ مِنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتُرُ هَذَا التَّسْتُرُ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ وَإِمَّا آفَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يَبْرِئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ ثُمَّ اغْتَسَلَ فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بَثْوَبَهُ فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ فَجَعَلَ يَقُولُ: ثُوبِي حَجَرٌ ثُوبِي حَجَرٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي

(١) ابن حبان (٢٠٩١)، وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة الأنبياء ورفع غريب جدًا.

إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبرأه ممّا يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إنّ بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً فذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ (١).

* * *

(١) البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٧٧).

فصلٌ في أحاديث طوال وردت عند ذكر بعض الآيات

- كحديث الثلاثة الذين خلفوا.
 - وأحاديث الإسراء.
 - وأحاديث ذكرت فيها يأجوج ومأجوج.
 - وحديث الإفك.
 - وقصة أصحاب الأخدود.
- وها هي تلك الأحاديث:

قصة الثلاثة الذين خلفوا

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْفَلْسَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ [التوبة: ١١٨]

قال كعب بن مالك رضي الله عنه وهو يحدث حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أنني كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم أحداً تخلف عنها إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعادٍ ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة^(١) حين تواتقنا على الإسلام وما أحبُّ أن لي بها مشهد بدرٍ وإن كانت بدرٌ أذكر^(٢) في الناس منها كان من خبري أنني لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قطُّ حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوةً إلا ورى غيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرٍّ شديدٍ واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً^(٣) وعدواً كثيراً فجلى للمسلمين أمرهم^(٤) ليتأهبوا أهبة غزوهم^(٥) فأخبرهم بوجهه^(٦) الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرٌ ولا يجمعهم كتابٌ حافظٌ يريد الديوان قال كعب: فما رجلٌ

(١) الليلة التي كانت فيها بيعة العقبة.

(٢) أذكر أي: أشهر.

(٣) مفازاً: مسافات طويلة.

(٤) وضع لهم أمرهم غير تورية يقال: جلوت الشيء إذا كشفته.

(٥) ليتأهبوا أهبة غزوهم: أي ليستعدوا بما يحتاجون إليه في سفرهم ذلك.

(٦) فأخبرهم بوجهه: أي بمقصده.

يريد أن يتغيَّب إلاَّ ظنَّ أنه سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثُّمار والظُّلال وتجهَّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه فطفقت أعدو لكي أتجهَّز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً فأقول في نفسي أنا قادرٌ عليه فلم يزل يتمادى بي حتَّى اشتدَّ بالنَّاس الجُدُّ فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً فقلت: أتجهَّز بعده بيومٍ أو يومين ثمَّ ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهَّز فرجعت ولم أقض شيئاً ثمَّ غدوت ثمَّ رجعت ولم أقض شيئاً فلم يزل بي حتَّى أسرعوا وتفارط الغزو^(١) وهممت أن أرتحل فأدرتهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك فكنت إذا خرجت في النَّاس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفقت فيهم أحزني أني لا أرى إلاَّ رجلاً مغموصاً عليه النِّفاق^(٢) أو رجلاً ممَّن عذر الله من الضُّعفاء ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتَّى بلغ تبوك فقال وهو جالسٌ في القوم بتبوك: «ما فعل كعبٌ؟» فقال رجلٌ من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه ونظره في عطفه^(٣) فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلاَّ خيراً فسكت رسول الله ﷺ وقال كعب ابن مالك: فلمَّا بلغني أنه توجهَّ قافلاً حضرني همِّي وطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غداً؟ واستعنت على ذلك بكلِّ ذي رأيٍ من أهلي فلمَّا قيل: إنَّ رسول الله ﷺ قد أظلَّ قادمًا^(٤) زاح عني الباطل^(٥) وعرفت أني لن أخرج

(١) (وتفارط الغزو): أي تقدم الغزاة وسبقوا وفاتوا.

(٢) (مغموصاً عليه النفاق): أي متهما به.

(٣) (والنظر في عطفه): أي جانبه. وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه.

(٤) (أظل قادمًا): أي أقبل ودنا قدومه كأنه ألقى عليّ ظله.

(٥) (زاح عني الباطل): أي زال.

منه أبداً بشيءٍ فيه كذبٌ فأجمعت صدقه^(١) وأصبح رسول الله ﷺ قادمًا وكان إذا قدم من سفرٍ بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكّل سرائرهم إلى الله فجئتُه فلما سلّمت عليه تبسّم تبسّم المغضب ثم قال: «تعال» فجئتُ أمشي حتّى جلست بين يديه فقال لي: «ما خلّفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟» فقلت: بلى إنّي والله لو جلست عند غيرك من أهل الدُّنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذرٍ ولقد أعطيت جدلاً^(٢) ولكنّي والله لقد علمت لئن حدّثتك اليوم حديث كذبٍ ترضى به عنّي ليوشكن^(٣) الله أن يسخطك عليّ ولئن حدّثتك حديث صدقٍ تجد عليّ فيه^(٤) إنّي لأرجو فيه عفو الله لا والله ما كان لي من عذرٍ والله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسر منّي حين تخلّفت عنك فقال رسول الله ﷺ: «أمّا هذا فقد صدق فقم حتّى يقضي الله فيك» فقمّت وثار رجالٌ من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المتخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك فوالله ما زالوا يؤنّبونني^(٥) حتّى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ثمّ قلت لهم: هل لقي هذا معي أحدٌ؟ قالوا:

- (١) (فأجمعت صدقه): أي عزمت عليه يقال: أجمع أمره وعلى أمره وعزم عليه بمعنى.
- (٢) (أعطيت جدلاً): أي فصاحة وقوة في الكلام وبراعة بحيث أخرج عن عهدة ما ينسب إلى إذا أردت.
- (٣) (ليوشكن): ليسرعن.
- (٤) (تجد عليّ فيه): أي تغضب.
- (٥) (يؤنّبونني): أي يلومني أشد اللوم.

نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت: من هما؟
قالوا: مرارة بن الرِّبِيع العمريُّ وهلال ابن أميَّة الواقفيُّ فذكروا لي رجلين
صالحين قد شهدا بدرًا فيهما أسوةٌ فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله
ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا النَّاسُ
وتغيروا لنا حتَّى تنكَّرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرفها^(١) فلبثنا على ذلك
خمسین ليلةً فأما صاحباي فاستكانا^(٢) وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت
أشبَّ القوم وأجلدهم^(٣) فكنت أخرج فأشهد الصَّلَاة مع المسلمين وأطوف في
الأسواق ولا يكلمني أحدٌ وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد
الصَّلَاة فأقول في نفسي: هل حرَّك شفَّتيه بردُ السَّلَام عليَّ أم لا ثمَّ أصلي قريبًا منه
فأسارقه النَّظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليَّ وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني
حتَّى إذا طال عليَّ ذلك من جفوة النَّاس مشيت حتَّى تسورت^(٤) جدار حائط أبي
قتادة وهو ابن عمِّي وأحبُّ النَّاس إليَّ فسلمت عليه فوالله ما ردَّ عليَّ السَّلَام
فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله^(٥) هل تعلمني أحبُّ الله ورسوله؟ فسكت فعدت له
فنشده فسكت فعدت له فنشده فقال: الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى وتولَّيت
حتَّى تسورت الجدار قال: فيينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي^(٦) من أنباط أهل

(١) (فما هي بالأرض التي أعرفها) معناه: تغير كل شيء على حتى الأرض فإنها توحشت علي وصارت كأنها أرض لم أعرفها بتوحشها علي.

(٢) (فاستكانا): أي خضعنا..

(٣) (أشبَّ القوم وأجلدهم): أي أصغرهم سنًا وأقواهم.

(٤) (حتى تسورت): معنى تسورته علوته وصعدت سوره وهو أعلاه.

(٥) (أنشدك بالله): أي أسألك بالله وأصله من النشيد وهو الصوت.

(٦) (نبطي من نبط أهل الشام) يقال: النبط والأنباط والنبيط وهم فلاحو العجم.

الشَّامِ مَمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَيَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يَشِيرُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانٍ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدَ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بَدَارَ هَوَانٍ وَلَا مَضِيعَةً^(١) فَالْحَقُّ بِنَا نَوَاسِكَ^(٢) فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتَهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَمَّمْتُ^(٣) بِهَا التَّنُورَ فَسَجَرْتَهُ بِهَا^(٤) حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ امْرَأَتَكَ فَقُلْتُ: أَطْلُقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا بَلَّ اعْتَزَلْهَا وَلَا تَقْرِبْهَا وَأَرْسَلْ إِلَى صَاحِبِيِّ مِثْلَ ذَلِكَ فَقُلْتُ لَامْرَأَتِي: الْحَقِّي بِأَهْلِكَ فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ قَوْلَ كَعْبٍ: فَجَاءَتْ امْرَأَةُ هَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لَا وَلَكِنْ لَا يَقْرُبُكَ» قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مِنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَدْنَى لَامْرَأَةَ هَلَالَ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا اسْتَأْذَنْتُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا يَدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتَهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بِيوتِنَا فَبِينَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا

(١) (مضيعة): فيها لغتان أحدهما مضيعة، والثانية مضيعة. أي: موضع وحال يضيع فيه حَقُّكَ.

(٢) (نواسك): معناه نشاركك فيما عندنا.

(٣) (تيممت): معناه قصدت.

(٤) (فسجرتها): أي أحرقتها.

رحبت^(١) سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع^(٢) بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال: فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء فرجٌ وأذن^(٣) رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض إليّ رجلٌ فارساً وسعى ساعٍ من أسلم فأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشّرني نزعته له ثوبيّ فكسوته إياهما يبشراه والله ما أملك غيرهما يومئذٍ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً^(٤) يهنؤني بالتوبة يقولون لتهنك توبة الله عليك قال كعبٌ: حتّى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ حوله الناس فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتّى صافحني وهنّاني والله ما قام إليّ رجلٌ من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة قال كعبٌ: فلما سلّمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يومٍ مرّ عليك منذ ولدتك أمك» قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «لا بل من عند الله» وكان رسول الله ﷺ إذا سرّ استنار وجهه حتّى كأنّه قطعة قمرٍ وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع^(٥) من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسول الله

(١) (وضاقت على الأرض بما رحبت): أي بما اتسعت ومعناه ضاقت عليّ الأرض مع أنها متسعة والرحب: السعة.

(٢) (أوفى على جبل سلع): أي صعده وارتفع عليه وسلع: جبل بالمدينة معروف.

(٣) (أذن): أي أعلم.

(٤) (فوجاً فوجاً): الفوج الجماعة.

(٥) (أن أنخلع من مالي): أي أخرج منه وأتصدق به.

قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك» قلت: فإنِّي أمسك سهمي الذي بخير فقلت: يا رسول الله إن الله إنما نجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت فوالله ما أعلم أحدًا من المسلمين أبلاه (١) الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني ما تعمّدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذبًا وإنِّي لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت وأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١١) فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قطُّ بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرًّا ما قال لأحدٍ فقال تبارك وتعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَاتَّكَبَ اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (١١٦) قال كعب: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ وليس الذي ذكر الله ممَّا خلفنا عن الغزو وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمّن حلف له واعتذر إليه فقبل منه (٢).

* * *

(١) (أبلاه الله): أي أنعم عليه والبلاء والإبلاء يكون في الخير والشر لكن إذا أطلق يكون للشر غالبًا. فإذا أريد الخير قيد كما قيده هنا فقال أحسن مما أبلاني.

(٢) البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

حديث الإسراء

أخرج مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق (وهو دابةٌ أبيضٌ طويلٌ فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه) قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس، قال: فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل عليه السلام بإناءٍ من خمرٍ وإناءٍ من لبنٍ فاخترت اللبن فقال جبريل: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل ف قيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم، فرحّب بي ودعالي بخيرٍ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام ف قيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريّا صلوات الله عليهما فرحّبا ودعوا لي بخيرٍ ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل ف قيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بيوسف ﷺ وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحّب بي ودعالي بخيرٍ. ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل عليه السلام ف قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ. قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس، فرحّب ودعالي بخيرٍ قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ﴿٥٧﴾ [مريم: ٥٧]. ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل ف قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟

قال: محمَّدٌ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بهارون عليه السلام فرحَّب ودعالي بخيرٍ. ثمَّ عرج بنا إلى السَّماءِ السَّادسةِ، فاستفتح جبريل عليه السَّلَامُ قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمَّدٌ عليه السلام. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كلَّ يومٍ سبعون ألف ملكٍ لا يعودون إليه ثمَّ ذهب بي إلى السُّدرة المنتهى وإذا ورقها كأذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال. قال: فلَمَّا غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحدٌ من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إليَّ ما أوحى ففرض عليَّ خمسين صلاةً في كلِّ يومٍ وليلةٍ فنزلت إلى موسى عليه السلام فقال: ما فرض ربُّك على أمَّتِكَ؟ قلت: خمسين صلاةً قال: ارجع إلى ربِّك فاسأله التَّخفيف فإنَّ أمَّتِكَ لا يطيقون ذلك، فإنِّي قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربِّي فقلت: يا ربِّ خفف على أمَّتِي، فحطَّ عني خمسًا. فرجعت إلى موسى فقلت: حطَّ عني خمسًا قال: إنَّ أمَّتِكَ لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربِّك فاسأله التَّخفيف قال: فلم أزل أراجع بين ربِّي - تبارك وتعالى - وبين موسى - عليه السَّلَام - حتَّى قال: يا محمَّدُ إنَّهنَّ خمس صلواتٍ كلَّ يومٍ وليلةٍ لكلِّ صلاةٍ عشرٌ، فذلك خمسون صلاةً ومن همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبت له حسنةً، فإن عملها كتبت له عشرًا ومن همَّ بسيئةٍ فلم يعملها لم تكتب شيئًا فإن عملها كتبت سيئةً واحدةً. قال: فنزلت حتَّى انتهيت إلى موسى عليه السلام فأخبرته فقال: ارجع إلى ربِّك فاسأله التَّخفيف» فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فقلت قد رجعت إلى ربِّي حتَّى استحيت منه»^(١).

حديث فيه ذكر يا جوج وما جوج

وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُجِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ [الأنبياء: ٩٦]

عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكَلَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ، حَتَّى ظَنَّاهُ فِي نَاحِيَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرَ الدَّجَالَ أَخُوفَنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجُ، وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجُ، وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَكُلُّ أَمْرٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنَّهُ شَابٌّ جَعْدٌ قَطَطٌ، عَيْنُهُ عُنْبَةٌ طَافِيَةٌ، إِنَّهُ يَخْرُجُ خَيْلَةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَشِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ! اثْبُتُوا» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا لَبِثَهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشْهَرٍ، وَيَوْمٌ كَجَمْعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي هُوَ كَسَنَةٌ، أَيْكْفِينَا فِيهِ صَلَاةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالغَيْثِ اشْتَدَّ بِهِ الرِّيحُ، قَالَ: فَيَمُرُّ بِالْحَيِّ فَيَدْعُوهُمْ فَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تَمْطُرَ، وَالْأَرْضَ أَنْ تَنْبَتَ، وَتَرْوِحَ عَلَيْهِمْ سَارِحَتَهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرُوءًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيَصْبِحُونَ مَمْحُولِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرْبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كَنْزُوكَ، فَتَتْبَعُهُ كَنْزُوهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مَمْتَلئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزَلَتَيْنِ رَمِيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيَقْبَلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ بِضُحْكَ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطْرًا، وَإِذَا

رفعه تحدر منه جمانٌ كاللؤلؤ، فلا يحلُّ لكافرٍ يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لدٍّ، فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إنني قد أخرجت عبداً لي، لا يدان لأحدٍ بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كلِّ حدب ينسلون، فيمرُّ أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمرُّ آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه، مرّة، ماءً، ويحصر نبيُّ الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينارٍ لأحدكم اليوم، فيرغب نبيُّ الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النّغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفسٍ واحدة، ثمَّ يهبط نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبرٍ إلا ملاءهم زهمهم ونتاجهم، فيرغب نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثمَّ يرسل الله مطراً لا يكنُّ منه بيت مدرٍ ولا وبرٍ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزّلقة، ثمَّ يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردّي بركتك، فيومئذٍ تأكل العصابة من الرّمانة، ويستظلُّون بقحفها، ويبارك في الرّسل، حتى أنّ اللّقحة من الإبل لتكفي الفئام من النّاس، واللّقحة من البقر لتكفي القبيلة من النّاس، واللّقحة من الغنم لتكفي الفخذ من النّاس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبةً، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كلِّ مؤمنٍ وكلِّ مسلمٍ، ويبقى شرار النّاس، يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة»^(١).

حديث الإفك ونزول الآيات بتبرئة عائشة رضي الله عنها

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه فأيتهنَّ خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما نزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقامت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فإذا عقدٌ لي من جزع أظفار ^(١) قد انقطع فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط ^(٢) الذين كانوا يرحلون ^(٣) لي فاحتملوا هودجي ^(٤) فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت وهم يحسبون أنني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهنَّ اللحم إنما يأكلن العلقة ^(٥) من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وكنت جاريةً حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعدما استمرَّ الجيش فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيبٌ فأممت منزلي ^(٦) الذي

(١) (عقد من جزع أظفار): العقد نحو القلادة. الجزع: خرز يهاني وظفار: مبنية على الكسر تقول هذه ظفار ودخلت ظفار وإلى ظفار بكسر الراء بلا تنوين في الأحوال كلها. وهي قرية باليمن.

(٢) (الرهط): هم جماعة دون العشرة.

(٣) (يرحلون لي): ويقال يرحلون بي واللام أجود أي يجعلون الرحل لي على بعيري.

(٤) (هودجي): الهودج مركب من مراكب النساء.

(٥) (العلق): ويقال لها أيضًا: البلغة أي القليل.

(٦) (فأممت منزلي): أي قصدته.

كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ فيينا أنا جالسةً في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطلّ السُّلميّ ثمّ الذَّكوانيّ من وراء الجيش فأدلاج^(١) فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان^(٢) نائم فأتاني فعرفني حين رأي وكان يرآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه^(٣) حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي^(٤) ووالله ما كلّمني كلمةً ولا سمعت منه كلمةً غير استرجاعه حتّى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الرّاحلة حتّى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظّهيرة^(٥) فهلك من هلك وكان الذي تولّى الإفك^(٦) عبد الله بن أبيّ ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرًا والنّاس يفيضون في قول أصحاب الإفك^(٧) ولا أشعر بشيءٍ من ذلك وهو يريني^(٨) في وجعي أنّي لا أعرف من رسول الله ﷺ اللّطف^(٩) الذي كنت أرى منه حين أشتكى إنّما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم ثمّ يقول: «كيف تيكم؟»^(١٠) ثمّ ينصرف فذاك الذي يريني

(١) (فأدلاج): الإدلاج: هو السير آخر الليل.

(٢) (فرأى سواد إنسان): أي شخصه وشبّحه.

(٣) (فاستيقظت باسترجاعه): أي انتبهت من نومي بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٤) (فخمرت وجهي): أي غطيته.

(٥) (موغرين في نحر الظّهيرة): نازلين في شدة الحرارة وهو وقت القائلة.

(٦) (تولى الإفك) أو تولى كبره أي عظمه.

(٧) (يفيضون في قول أهل الإفك): أي يخوضون فيه. الإفك بكسر الهمزة وإسكان الفاء هذا هو

المشهور وحكى القاضي فتحهما جميعًا. قال: هما لغتان كنجس ونجس وهو الكذب.

(٨) (يرينني): بفتح أوله وضمه يقال: رابه وأرابه إذا أوهمه وشككه.

(٩) (اللطف): بضم اللام وإسكان الطاء ويقال بفتحهما معًا لغتان وهو البر والرفق.

(١٠) (كيف تيكم؟): هي إشارة إلى المؤنث كذلككم في المذكر.

ولا أشعر بالشرِّ حتَّى خرجت بعدما نقهت^(١) فخرجت معي أمُّ مسطحٍ قبل المناصع^(٢) وهو متبرِّزنا وكنا لا نخرج إلاَّ ليلاً إلى ليلٍ وذلك قبل أن نتأذَّى بالكنف^(٣) أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأمُّ مسطحٍ وهي ابنة أبي رهم ابن عبد منافٍ وأمُّها بنت صخر بن عامرٍ خالة أبي بكرٍ الصّدِّيقِ وابنها مسطح ابن أئاثة فأقبلت أنا وأمُّ مسطحٍ قبل بيتي وقد فرغنا من شأننا فعثرت أمُّ مسطحٍ في مرطها^(٤) فقالت: تعس^(٥) مسطحٌ فقلت لها: بس ما قلت أتسيين رجلاً شهد بدرًا؟ قالت: أي هتاه^(٦) أولم تسمعي ما قال؟ قالت: قلت وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً على مرضي فلمَّا رجعت إلى بيتي ودخل عليَّ رسول الله ﷺ تعني سلّم ثمَّ قال: «كيف تيكم» فقلت: أتأذن لي أن آتي أبواي؟ قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبواي فقلت لأُمِّي: يا أمّتاه ما يتحدّث النَّاسُ؟ قالت: يا بنية هوَّني عليك فوالله لقلّما كانت امرأةً قطُّ وضيئةً^(٧) عند رجلٍ يحبُّها ولها

(١) (نقهت): بفتح القاف وكسرهما لغتان حكاهما الجوهري في الصحاح وغيره والفتح أشهر . والنقاهة هي الإفافة من المرض . والناقه هو الذي أفاق من المرض وبرئ منه وهو قريب عهد به ولم يتراجع إليه كمال صحته .

(٢) (المناصع): هي مواضع خارج المدينة كانوا يتبرزون فيها .

(٣) (الكنف): هي جمع كنيف قال أهل اللغة الكنيف السائر مطلقاً .

(٤) (في مرضها): المرط الكساء من صوف وقد يكون من غيره .

(٥) (تعس): بفتح العين وكسرهما لغتان مشهورتان معناه عثر . وقيل: هلك . وقيل: لزمه الشر وقيل بعد وقيل: سقط بوجهه خاصة .

(٦) (أي هتاه): قال صاحب نهاية الغريب: تضم الهاء الأخيرة وتسكن . وهي نداء معناه يا هذه .

وقيل: يا امرأة وقيل: يا بلهاء . كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشرورهم .

(٧) (وضيئة): هي الجميلة الحسنة والوضاءة الحسن .

ضرائر^(١) إلا أكثرن عليها^(٢) قالت: فقلت: سبحان الله أولقد تحدّث النَّاسَ بهذا؟ قالت: فبكيت تلك اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يِرْقَالِي دَمْعٌ^(٣) وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ^(٤) حَتَّى أَصْبَحْتُ أَبْكِي فِدْعَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ ابْنَ زَيْدٍ رضي الله عنهما حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيَ^(٥) يَسْتَأْمُرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلِيٌّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوَدِّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْلَكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يَضِيقْ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءَ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَإِنْ تَسَأَلَ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقَكَ قَالَتْ: فِدْعَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِرَبِيرَةَ فَقَالَ: «أَيُّ بَرِيرَةَ هَلْ رَأَيْتَ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ؟» قَالَتْ بِرِيرَةَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتَ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمَصَهُ^(٦) عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السَّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينٍ أَهْلَهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنَ^(٧) فَتَأْكُلُهُ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَعْذَرَ^(٨) يَوْمَئِذٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلُولٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ: «يَا

(١) (ضرائر): جمع ضرة وزوجات الرجل ضرائر؛ لأن كل واحدة تتضرر بالأخرى بالغيرة والقسم وغيره. والاسم منه الضر. بكسر الضاد وقيل بضمها أيضًا.

(٢) (أكثرن عليها): أي أكثر القول في عيبها ونقصها.

(٣) (لا يرقأ): لا ينقطع.

(٤) (ولا أكتحل بنوم): أي لا أنام.

(٥) (استلبث الوحي): أي أبطأ ولبث ولم ينزل.

(٦) (أغمصه): أي أعيبها به.

(٧) (الداجن): الشاة التي تألف البيت ولا تخرج للمرعى والمعنى: أنه ليس فيها شيء مما تسألون عنه أصلاً ولا فيها شيء غيره إلا نومها على العجين.

(٨) (استعذر): يعني من يعذرنى: من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعاله ولا يلمني وقيل:

معناه من ينصرنى والعذير هو الناصر.

معشر المسلمين من يعذرني من رجلٍ قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي» فقام سعد بن معاذٍ الأنصاريُّ فقال: يا رسول الله أنا أعذرُك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرُك قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيّد الخزرج وكان قبل ذلك يعرف رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية^(١) فقال لسعدٍ: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضيرٍ وهو ابن عمِّ سعد بن معاذٍ فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافقٌ تجادل عن المنافقين فتشاور الحيان الأوس^(٢) والخزرج حتى همّوا أن يقتلوا ورسول الله ﷺ قائمٌ على المنبر فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمعٌ ولا أكتحل بنومٍ قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً ولا أكتحل بنومٍ ولا يرقأ لي دمعٌ يظنّان أنّ البكاء فالتق كبدِي قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليّ امرأةٌ من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت: فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئةً فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنبٍ^(٣) فاستغفري الله وتوبي إليه

(١) (احتملته الحمية): وفي رواية مسلم اجتعلته الحمية أي: استخفته وأغضبته وحملته على الجهل.

(٢) (تساور الحيان الأوس والخزرج): أي تناهضوا للنزاع والعصبية.

(٣) (وإن كنت ألممت بذنبٍ فاستغفري الله): معناه إن كنت فعلت ذنباً وليس ذلك لك بعبادة

فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلَى اللَّهِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي ^(١) حَتَّى مَا أَحْسَسُّ مِنْهُ قَطْرَةً فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أُدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: مَا أُدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السَّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ فَلَمَّا قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّي بَرِيئَةٌ لَا تَصَدِّقُونِي بِذَلِكَ وَلَمَّا اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لِتَصَدِّقَنِي وَاللَّهُ مَا أَجِدُ لَكُمْ مِثْلًا إِلَّا قَوْلَ أَبِي يُوسُفَ قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ ^(١٨) قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلَتْ فَاضْطَجَعَتْ عَلَيَّ فِرَاشِي وَقَالَتْ: وَأَنَا حَيْثُذِ اعْلَمُ أَنَّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مَبْرُئِي بِبِرَائَتِي وَلَكِنَّ اللَّهَ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزَلٌ فِي شَأْنِي وَحَيًّا يَتَلَى وَلِشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يَتَلَى وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يَبْرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا رَامَ ^(٢) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبَرْحَاءِ ^(٣) حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ ^(٤) مِثْلَ الْجِمَانِ ^(٥) مِنَ الْعَرَقِ وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَيْهِ قَالَتْ: فَلَمَّا سَرَّيَ ^(٦) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَرَّيَ عَنْهُ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَتْ أَوَّلَ

(١) (قلص دمعِي): أي ارتفع لاستعظام ما يعينني من الكلام.

(٢) (ما رام): أي ما فارق.

(٣) (البرحاء): هي الشدة.

(٤) (ليتحدر منه): أي ليتصبب.

(٥) (الجمان): الدر. شبهت قطرات عرقه ﷺ بحبات اللؤلؤ في الصفاء والحسن.

(٦) (فلما سرِّي): أي كشف وأزيل.

كلمة تكلم بها: «يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك» فقالت أمي: قومي إليه قالت: فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ...﴾ العشر الآيات كلها فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقربته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ (١) أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢)﴾ قال أبو بكر: بلى والله إنني أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً قالت عائشة: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب ابنة جحش عن أمري فقال: «يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟» فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري (٢) ما علمت إلا خيراً قالت: وهي التي كانت تساميني (٣) من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت (٤) أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك (٥). الحديث رواه البخاري مطولاً ومختصراً في غير موضع من الصحيح ورواه مسلم رقم (٢٧٧٠) والنسائي في عشرة النساء في الكبرى وفي التفسير.

(١) ﴿وَلَا يَأْتَلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ﴾: أي لا يخلفوا والألية اليمين.

(٢) (أحمي سمعي وبصري): أي أصون سمعي وبصري من أن أقول سمعت ولم أسمع وأبصرت ولم أبصر.

(٣) (وهي التي كانت تساميني): أي تفاخرنى وتضاهينى بجمالها ومكانها عند النبي صلى الله عليه وسلم وهي مفاعلة من السمو وهو الارتفاع.

(٤) (وظفقت أختها تحارب لها): أي جعلت تتعصب لها فتحكى ما يقوله أهل الإفك.

(٥) البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

قصة أصحاب الأخدود

عن صهيب؛ أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملكٌ فيمن كان قبلكم وكان له ساحرٌ فلما كبر قال للملك: إنني قد كبرت فابعث إليّ غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهبٌ فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى السّاحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى السّاحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت السّاحر فقل: حسبي أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حسبي السّاحر، فبينما هو على كذلك إذ أتى على دابةٍ عظيمةٍ قد حبست النَّاسَ، فقال: اليوم أعلم السّاحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر السّاحر فاقتل هذه الدّابة حتّى يمضي النَّاسَ، فرماها فقتلها ومضى النَّاسَ فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وأنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدلّ عليّ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي النَّاسَ من سائر الأدواء، فسمع جليسٌ للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرةً فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إنني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله تعالى، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فأمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربّي قال: ولك ربٌ غيري؟ قال: ربّي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذّبه حتّى دلّ على الغلام فجاءه بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل!

فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الرَّاهِب، فجيء بالرَّاهِب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشَقَّه حتى وقع شَقَّاه، ثمَّ جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشَقَّه به حتى وقع شَقَّاه، ثمَّ جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتُم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل بأصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقورٍ فتوسَّطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه، فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل بأصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: ما هو؟ قال: تجمع النَّاس في صعيدٍ واحدٍ، وتصلبني على جذعٍ، ثمَّ خذ سهماً من كنانتي، ثمَّ ضع السَّهم في كبد القوس، ثمَّ قل: باسم الله ربَّ الغلام، ثمَّ ارمني، فإنَّك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع النَّاس في صعيدٍ واحدٍ، وصلبه على جذعٍ، ثمَّ أخذ سهماً من كنانته، ثمَّ وضع السَّهم في كبد القوس، ثمَّ قال: باسم الله ربَّ الغلام ثمَّ رماه فوق السَّهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السَّهم فمات، فقال النَّاس: آمناً برَبِّ الغلام، آمناً برَبِّ

الغلام، آمناً برَبِّ الغلام، فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرٌ قد آمن النَّاسُ فأمر بالأخدود في أفواه السِّكِّ فحدَّت وأضرم فيها النِّيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل له: اقتحم ففعلوا، حتَّى جاءت امرأةٌ ومعها صبيٌّ لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها: الغلام يا أمَّاه اصبري فإنَّك على الحقِّ»^(١).

* * *

وهذه آيات تلاها رسول الله ﷺ في مواطن فأبانت تلاوته
لها في تلك المواطن عن معاني هذه الآيات

قوله تعالى: ﴿ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينًا ﴾ [البقرة: ٢٣٨]

عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة يعلم أحدنا أخاه في حاجته.
حتى نزلت: ﴿ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينًا ﴾ [٢٣٨] فأمرنا بالسكوت^(١).

وكذا بيانه ﷺ لحال الذين في قلوبهم زيغ وكيف يعرفوا

عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ... ﴾ [آل عمران: ٧]. فقال: «يا عائشة إذا رأيت الذين
يجادلون فيه فأولئك الذين عناهم الله فاحذروهم»^(٢).

وفي رواية عند البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله
ﷺ هذه الآية ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ
مُتَشَبِهَاتٌ... ﴾ إلى قوله: ﴿ أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ ﴾ [٧] قالت: قال رسول الله ﷺ:
«إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»^(٣).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [آل عمران: ٧٧]

عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتطع مال امرئ مسلم

(١) البخاري (٤٥٣٤)، ومسلم (٥٣٩).

(٢) ابن ماجه حديث (٤٧) بسند صحيح.

(٣) البخاري (٤٥٤٧).

بيمينٍ كاذبةٍ لقي الله وهو عليه غضبان» وقال عبد الله: ثم قرأ رسول الله ﷺ مصداق ذلك من كتاب الله جل ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ.....﴾ الآية (١).

قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالا فلم يؤدِّ زكاته مثل له (٢) ماله شجاعا (٣) أقرع (٤) له زبيبتان (٥) يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - يقول: أنا مالك أنا كنزك» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ إلى آخر الآية (٦).

ومن ذلك تلاوته ﷺ لقوله تعالى: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ آبْوَابُ السَّمَاءِ...﴾ [الاعراف: ٤٠]

ما أخرجه الإمام أحمد بسند صحيح من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر... فذكر الحديث وفيه في شأن العبد المؤمن.... أن النبي ﷺ قال: «ثمَّ يجيء ملك الموت، عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوانٍ». قال: «فتخرج تسيل كما تسيل

(١) البخاري (٧٤٤٥)، ومسلم (١٣٨).

(٢) مثل: صور له ماله في صورة.

(٣) شجاع: الحية الذكور.

(٤) أقرع: تساقط شعر رأسه من شدة السم الذي به.

(٥) قيل: الزبيبتان اللتان في الشدقتين، وقيل: لحمتان على رأسه مثل القرنين قد امتلأتا سماً.

(٦) البخاري (٤٥٦٥).

القطرة من في السَّقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عينٍ حتَّى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسكٍ وجدت على وجه الأرض» قال: «فيصعدون بها، فلا يمرُّون - يعني بها - على ملائكة، إلا قالوا: ما هذا الرُّوح الطَّيِّب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمُّونه بها في الدُّنيا، حتَّى ينتهوا بها إلى السَّماء الدُّنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم فيشيعه من كلِّ سماءٍ مقربوها إلى السَّماء التي تليها، حتَّى ينتهي به إلى السَّماء السَّابعة، فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارةً أخرى».

* وقال ﷺ في شأن العبد الكافر....:

«ثمَّ يجيء ملك الموت، حتَّى يجلس عند رأسه، فيقول: آتتها النَّفس الخبيثة، اخرجني إلى سخطٍ من الله وغضبٍ. قال: ففترَّق في جسده، فيتزَعها كما يتزَع السَّفُود من الصُّوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عينٍ حتَّى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفةٍ وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرُّون بها على ملائكة، إلا قالوا: ما هذا الرُّوح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمَّى بها في الدُّنيا، حتَّى ينتهي به إلى السَّماء الدُّنيا، فيستفتح له، فلا يفتح، ثمَّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتابه في سجِّين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرْحًا. ثمَّ قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ

فَتَحَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيحٍ ﴿٣١﴾ [الحج: ٣١] فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟» (١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الاعراف: ١٧٢]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلاً» قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَنُهَلِكُهُمْ بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ (٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢]

عن سمرّة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا: «أتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ وشرط كأقبح ما أنت راءٍ قالوا لهم: اذهبوا فقعدوا في ذلك النهر، فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قالوا لي: هذه جنة عدن وهذا منزل قالوا: وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسنٌ وشرطٌ منهم قبيحٌ فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم» (٣).

(١) أحمد (٤/٢٩٥).

(٢) أحمد في المسند بسند صحيح (١/٢٧٢).

(٣) البخاري (٤٦٧٤).

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ﴾ [هود: ١٠٢]

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١).

قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ

قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبا: ٢٣]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسَلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ - قَالَ عَلِيٌّ: وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ يَنْفِذُهُمْ ذَلِكَ - فَإِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا: لِلَّذِي قَالَ: الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرْقُو السَّمْعِ وَمُسْتَرْقُو السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ - وَوَصَفَ سَفِيَانٌ بِيَدِهِ هَكَذَا وَفَرَجَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِهِ الْيَمَنِى نَصَبَهَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ - فَرَبَّمَا أَدْرَكَ الشَّهَابُ الْمُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيَحْرِقُهُ وَرَبَّمَا لَمْ يَدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ إِلَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ حَتَّى يَلْقَوْهَا إِلَى الْأَرْضِ - وَرَبَّمَا قَالَ: سَفِيَانٌ: حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْأَرْضِ - فَتَلْقَى عَلَى فَمِ السَّاحِرِ أَوْ الْكَاهِنِ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مَائَةٌ كَذِبَةٍ فَيَصَدِّقُ فَيَقُولُونَ أَلَمْ يَخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا يَكُونُ كَذَا وَكَذَا فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعْتَ مِنَ السَّمَاءِ» (٢).

(١) البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

(٢) البخاري (٤٧٠١).

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لِيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمَ السَّمِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» وَقَالَ اقْرَأُوا: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [١٠٥] ^(١).

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٤٠]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ» قَالَ: «فِي الدُّنْيَا» ^(٢).

وكذا قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ...﴾ [الأنبياء: ٤٧]

فيمكن فهم ومعرفة بعض الشيء عن الموازين مما ورد عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رَعْوَسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مَدُّ الْبَصْرِ ثُمَّ يَقُولُ أَتَنْكُرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظْلَمَكَ كَتَبْتِي الْحَافِظُونَ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفْلكَ عَذْرُ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظَلَمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتُخْرَجُ بَطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنَكَ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ. قَالَ فَتَوْضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ

(١) البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

(٢) ابن حبان موارد الظمان (١٧٥٠).

فطاشت السَّجَلَاتُ وَثَقَلَتِ الْبَطَاقَةُ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ» (١).

قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]

وكذا قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حِفَاةَ عِرَاءٍ غَرَلًا» ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١٠٤) ثُمَّ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ يَجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتِ الشَّمَالِ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي؟ فَيَقَالُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿شَهِيدٌ﴾ فَيَقَالُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَيَّ أَعْقَابَهُمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ» (٢).

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ﴾ [الحج: ٢]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدِيكَ فَيَنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعثًا إِلَى النَّارِ قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ أَرَاهُ قَالَ: تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا وَيُشِيبُ الْوَالِدُ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» (٣).

(١) الترمذي (٢٦٣٩) بسند صحيح.

(٢) البخاري (٤٧٤٠)، ومسلم (٢٨٦٠).

(٣) البخاري (٤٧٤١)، ومسلم (٣٧٦).

قوله تعالى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُنفُسِهِمْ﴾ [الاحزاب: ٦]

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مؤمنٍ إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرءوا إن شئتم: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُنفُسِهِمْ﴾ فأيما مؤمنٍ ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا فإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني وأنا مولاه» (١).

صيغة للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا داخل تحت قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الاحزاب: ٥٦]

عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ» (٢).

المراد بقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ

طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٢٩]

عن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوساً ليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ: «﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾» (٣).

(١) البخاري (٤٧٨١).

(٢) البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧)، وهناك صيغ كثيرة متعددة في هذا الباب.

(٣) البخاري (٤٨٥١)، ومسلم (٦٣٣).

قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّ مَمْدُودٌ ﴾ [الواقعة: ٣٠]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُبَلِّغُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ الرَّابِّ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ وَظَلَّ مَمْدُودٌ ﴾» (١).

بعض ما يكون ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ» (٢).

قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ ﴿ فَالْمَهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس: ٧-٨]

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ: أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ أَشْيَاءٌ قَضَى عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرٍ مَا سَبَقَ؟ أَوْ فِيمَا يَسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيَّهُمْ وَثَبَّتَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ شَيْءٌ قَضَى عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ قَالَ: فَقَالَ: أَفَلَا يَكُونُ ظَلَمًا؟ قَالَ: فَفَزَعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا وَقُلْتُ: كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ وَمَلَكَ يَدَهُ. فَلَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يَسْأَلُونَ. فَقَالَ لِي: يَرْحَمُكَ اللَّهُ! إِنَّي لَمْ أَرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَحْزُرَ عَقْلَكَ. إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مَزِينَةِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ أَشْيَاءٌ قَضَى عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ مَا سَبَقَ أَوْ فِيمَا يَسْتَقْبَلُونَهُ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيَّهُمْ وَثَبَّتَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: «لَا. بَلْ شَيْءٌ قَضَى عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي

(١) البخاري (٤٨٨١)، ومسلم (٢٨٢٦).

(٢) البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢).

كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨] ^(١).

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَى ﴿٥﴾﴾ [الليل: ٥]

عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مَخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمَخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ وَمَا مِنْ نَفْسٍ مِنْفُوسَةٍ إِلَّا كَتَبَ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلَّا كَتَبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً» قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنُدْعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنْهَا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيَصِيرُ إِلَى أَهْلِ السَّعَادَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ قَالَ: «أَمَّا أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيَسِّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَيَسِّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾.....﴾ «الآيات (٢)».

وأحياناً يذكر النبي ﷺ أمراً من الأمور أو معنى من المعاني ولا يذكر آيته، ولكن يمكن تنزيل ما قاله عليه صلوات الله وسلامه على آيته من الآيات، فمن ذلك.

قوله تعالى: ﴿يَمْحُكُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَرِيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يَرِي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ» ^(٣).

(١) مسلم (٢٦٥٠).

(٢) البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٧).

(٣) البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤).

وقد يفهم من هذا بيان عدد الأمم إجمالاً

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: «إنكم تتمون سبعين أمةً أنتم خيرها وأكرمها على الله»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله تسعةً وتسعين اسماً - مائة إلا واحداً - من أحصاها دخل الجنة»^(٢).

بيان المقام المحمود المذكور في قوله تعالى:

﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْعِرْقَ نِصْفَ الْأَذَانِ فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِأَدَمَ ثُمَّ بِمُوسَىٰ ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فَيَشْفَعُ لِيُقْضَىٰ بَيْنَ الْخَلْقِ فَيَمْشِي حَتَّىٰ يَأْخُذَ بِحَلْقِ الْجَنَّةِ فَيَوْمُئِذٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَحْمُودًا»^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كُنِينٍ ۝١١﴾ [الانفطار: ١٠، ١١]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال: «هل

(١) الترمذي (٣٠٠١) بسند حسن وابن ماجه (٤٢٨٧) وغيرهما.

(٢) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٣) البخاري (١٤٧٥).

تدرون ممّ أضحك؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «من مخاطبة العبد ربّه يقول: يا ربّ ألم تجرني من الظلم؟ قال: فيقول: بلى قال: فيقول: فإنّي لا أجزى على نفسي إلا شاهداً منّي. قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً. وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطقي. قال: فتتلق بأعماله: ثمّ يخلى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعداً لكنّ وسحقاً فعنكنّ كنت أناضل»^(١).

ذكر المراد بالأثار، ويمكن تنزيله على قوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ ﴾ [يس: ١٢] أي: آثار الخاطئ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَلْتُ الْبَقَاعَ حَوْلَ الْمَسْجِدِ: فَأَرَادَ بَنُو سَلْمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قَرْبِ الْمَسْجِدِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قَرْبَ الْمَسْجِدِ» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ فَقَالَ: «يَا بَنِي سَلْمَةَ! دِيَارَكُمْ تَكْتُبُ آثَارَكُمْ دِيَارَكُمْ تَكْتُبُ آثَارَكُمْ دِيَارَكُمْ تَكْتُبُ آثَارَكُمْ»^(٢).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينًا ﴿١١﴾ ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١١]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «مَنْ مَخَاطَبَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ

(١) مسلم (٢٩٦٩).

(٢) مسلم (٦٦٥).

يقول: يا ربِّ ألم تجرني من الظلم؟ قال: بلى قال: فيقول: فإنِّي لا أجزى على نفسي إلا شاهدًا مني. قال: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا. وبالكرام الكاتبين شهودًا، قال: فيختم على فيه فيقال لأركانہ: انطقي. قال: فتتطق بأعماله: ثمَّ يخلَّى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعدًا لكنَّ وسحقًا فعنكنَّ أجادل» (١).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٢٠]

عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال يلقي في النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع الله تبارك وتعالى قدمه فيها فتقول: قط» (٢).

«ويبقى أهل النار فيطرح منهم فيها فوجٌ ثمَّ يقال: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد؟. ثمَّ يطرح فيها فوجٌ منهم ثمَّ يقال: هل امتلأت؟. فتقول: هل من مزيد؟. ثمَّ يطرح فيها فوج فيقال: هل امتلأت فتقول: هل من مزيد حتى إذا أوعبوا فيها وضع الرحمن قدمه فيها وأزوى بعضها إلى بعض ثمَّ قال: قط قالت: قط فإذا أدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال: أوتى بالموت ملبيًا فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار ثمَّ يقال: يا أهل الجنة. فيطلعون خائفين ثمَّ يقال: يا أهل النار. فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة فيقال لأهل الجنة وأهل النار: هل تعرفون هذا؟ فيقول: هؤلاء وهؤلاء قد عرفناه هو الموت الذي وكَّل بنا.

(١) مسلم (٢٩٦٩).

(٢) البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٨٤).

فيضجع فيذبح ذبحاً على السُّور الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ثُمَّ يُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ لَا مَوْتَ، يَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ لَا مَوْتَ» (١).

وقوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنْشَقَ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَقْتَيْنِ فَرَقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ وَفَرَقَةً دُونَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَشْهَدُوا» (٢).

تفسير العزيزين في قوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: ٣٧]

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ مَتَفَرِّقُونَ فَقَالَ: «مَا لَكُمْ عِزِينَ» (٣).

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُونَهَا» (٤).

فصل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الترمذي (٦٩١) بسند حسن.

(٢) البخاري (٣٤٩).

(٣) الطبري.

(٤) مسلم، وقد اختلف في رفعه ووقفه.

لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة فإنه قد عرف تفسيره وما أريد بذلك من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم؛ ولهذا قال الفقهاء: الأسماء ثلاثة أنواع: نوعٌ يعرف حده بالشَّرع كالصَّلَاة والزَّكَاة ونوعٌ يعرف حده باللُّغة كالشَّمْس والقمر ونوعٌ يعرف حده بالعرف كلفظ القبض ولفظ المعروف في قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم: اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان: أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده؛ فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات، والآيات البيِّنات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم، فيه نبأ من قبلهم، وخبر ما بعدهم، وحكم ما بينهم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، فلا يستطيع أن يزيغه إلى هواه، ولا يحرف به لسانه، ولا يخلق عن كثرة الترداد، فإذا ردّ مرة بعد مرة، لم يخلق، ولم يمل كغيره من الكلام، ولا تنقضي عجائبه، ولا تشيع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.

فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به؛ ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياسٍ ولا بذوقٍ ووجدٍ ومكاشفةٍ

ولا قال قطُّ قد تعارض في هذا العقل والنقل فضلاً عن أن يقول: فيجب تقديم العقل. والنقل - يعني القرآن - والحديث وأقوال الصَّحابة والتَّابعين - إمَّا أن يفوِّض وإمَّا أن يؤوِّل. ولا فيهم من يقول: إنَّ له ذوقاً أو وجداً أو مخاطبةً أو مكاشفةً تخالف القرآن والحديث؛ فضلاً عن أن يدَّعي أحدهم أنَّه يأخذ من حيث يأخذ الملك الَّذي يأتي الرِّسول وأنَّه يأخذ من ذلك المعدن علم التَّوحيد والأنبياء كلُّهم يأخذون عن مشكاته. أو يقول: الوليُّ أفضل من النَّبيِّ ونحو ذلك من مقالات أهل الإلحاد فإنَّ هذه الأقوال لم تكن حدثت بعد في المسلمين. وإنَّما يعرف مثل هذه إمَّا عن ملاحدة اليهود أو النَّصارى فإنَّ فيهم من يجوز أن غير النَّبيِّ أفضل من النَّبيِّ كما قد يقوله في الحواريين فإنَّهم عندهم رسلٌ وهم يقولون: أفضل من داود وسليمان؛ بل ومن إبراهيم وموسى وإن سمَّوهم أنبياء إلى أمثال هذه الأمور. ولم يكن السَّلف يقبلون معارضة الآية إلاَّ بآية أخرى تفسِّرها وتنسخها؛ أو بسنة الرِّسول ﷺ تفسِّرها. فإنَّ سنة رسول الله ﷺ تبيِّن القرآن وتدلُّ عليه وتعبر عنه وكانوا يسمُّون ما عارض الآية ناسخاً لها فالنَّسخ عندهم اسمٌ عامٌّ لكلِّ ما يرفع دلالة الآية على معنى باطلٍ وإن كان ذلك المعنى لم يرد بها وإن كان لا يدلُّ عليه ظاهر الآية؛ بل قد لا يفهم منها وقد فهمه منها قومٌ فيسمُّون ما رفع ذلك الإبهام والإفهام نسخاً وهذه التَّسمية لا تؤخذ عن كلِّ واحدٍ منهم^(١).

فصل في أسباب النزول

ويتضمن هذا الفصل بياناً لما يلي:

- لا يلزم أن يكون لكل آية سبب نزول.
- أسباب النزول ما وأثرها في تفسير كتاب الله عز وجل.
- وسبب النزول داخل في تفسير الآية ولكن لا ينفي ما سواه.
- تعدد أسباب النزول للآية الواحدة.
- نزول عدة آيات في واقعة واحدة، وبسبب واحد.
- وأحياناً يكون قول الصحابي نزلت الآية في كذا تفسيراً منه للآية، وليس سبباً للنزول.
- وأحياناً يتأخر نزول بعض ألفاظ الآيات.
- وفعل الصحابة أمراً بعد نزول الآية لا يعد سبباً من أسباب النزول ومن أسباب النزول، ما هو ضعيف لا يثبت سنده.
- وكثيراً ما تنزل الآية الكريمة إجابةً على سؤال وجه لرسول الله ﷺ وقد تنزل بياناً لعلة أمر أو بياناً لحكم من الأحكام أو لفض نزاع وقضاء وقد تنزل الآيات لرفع الحرج في مسألة من المسائل.
- نزولها لبيان فضائل بعض الصحابة.
- وقد تنزل ذمّاً لأقوام.
- وقد تنزل لفض نزاع وبيان وجوه الحق فيه.
- وقد تنزل للإخبار بأمرٍ قد حدث.

❁ وهذا شيء من تفصيل ما ذكر:

□ لا يلزم أن يكون لكل آية سبب نزول تقدمها:

فكثير من الآيات لم يتقدمها سبب نزول، بل وهي أغلب الآيات، فأغلبها لم تنزل بسبب متقدم، وإن كانت نزلت للعمل بها ولتدبرها ولاعتقاد ما فيها ولغير ذلك، وهذا المذكور شأن أكثر آيات الكتاب العزيز كما أسلفت.

وأيضاً فهناك الكثير جداً من أسباب النزول التي لا تصح والتي لا يقوم لها سند، فعليه ينبغي أن تتحرى الصحة في أسباب النزول ولا يحتج إلا بالصحيح منها.

□ أسباب النزول وأثرها في تفسير كتاب الله عز وجل:

معرفة أسباب نزول الآيات تساعد في تفسيرها وبيانها وتجلية معانيها، لذا لزم البحث في أسباب النزول ومعرفة بعض ما يتعلق بها من أحكام وقواعد، وصولاً إلى الوجه الصحيح من وجوه التفسير، فهذه بعض الملاحظات والأحكام والقواعد المتعلقة بأسباب النزول فأقول، وبالله تعالى التوفيق.

□ إن سبب نزول الآية الكريمة وكما أنه يدخل في تفسير الآية

ومعانيها لكنه لا يمنع من دخول غيره من المعاني في تفسير الآية فكثيراً ما ينتظم معنى الآية الكريمة سبب النزول، وينتظم غيره من المعاني كذلك.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿ [إبراهيم: ٢٧] نزلت في التثبيت عند السؤال في القبر أخرج النسائي بسند صحيح عن البراء عن النبي ﷺ قال: ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ قال: «نزلت في عذاب القبر يقال له من ربك فيقول ربِّي الله ودينى دين محمد ﷺ فذلك قوله: ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (١)».

ولكن هذا لا ينفي التثبيت في الدنيا كذلك بأن يحيا الشخص على الإسلام والإيمان وقول لا إله إلا الله ويموت على ذلك أيضًا.

* وهذا مثال آخر لكون معنى الآية لا يقتصر على سبب نزولها:

أخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦] نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة. فقطعاً ليس معنى الآية بقاصرٍ على انتظار صلاة العشاء بل يدخل فيها قيام الليل كذلك (٢).

□ وقد تتعدد أسباب النزول للآية الواحدة:

* فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُجِبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

نزلت في المنافقين ونزلت في اليهود.

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ

(١) النسائي (٤/١٠).

(٢) الترمذي (٤/١٦١).

الله ﷺ إلى الغزو وتخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وأحبوا أن يحمدا بما لم يفعلوا فنزلت:

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ (١).

وأخرج البخاري ومسلم من طريق علقمة بن وقاص:

أخبره أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له: لئن كان كلُّ امرئٍ فرح بما أوتي وأحبَّ أن يحمدا بما لم يفعل معذباً لنعذبَنَّ أجمعون فقال ابن عباس: ما لك ولهذه الآية؟ إنما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إيَّاه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألتهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ كذلك حتى قوله: ﴿ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾.

* ومن ذلك ما ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ لِمَ نَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾

[التحريم: ١] فقد نزل في تحريم النبي ﷺ العسل على نفسه ونزل في تحريمه مارية أيضاً على نفسه.

أخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها:

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبِ ابْنَةِ جَحْشٍ وَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنَّ آتَيْنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقَلَّ: إِنِّي لِأَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرٍ أَكَلْتُ مَغَافِيرَ فَدَخَلَ عَلَيَّ إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ: «لَا

بأس شربت عسلاً عند زينب ابنة جحشٍ ولن أعود له» فنزلت: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى: ﴿إِنْ نُبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ لعائشة وحفصة ﴿وَإِذَا أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ لقوله: «بل شربت عسلاً»^(١).

وأخرج الهيثم بن كليب في مسنده كما في تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٨٦ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي ﷺ لحفصة: «لا تخبري أحداً، وإنَّ أمَّ إبراهيم عليّ حرامٌ». فقالت: أتحرّم ما أحلَّ الله لك؟ قال: «فوالله لا أقربها». قال: فلم يقربها حتّى أخبرت عائشة. قال فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾

[التحریم: ٢]

قال الحافظ ابن كثير بعد ذكره بسنده: وهذا إسنادٌ صحيحٌ، ولم يخرج به أحدٌ من أصحاب الكتب الستّة، وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج.

□ وقد تحدث واقعةً واحدة فتنزل فيها عدة آيات:

* فمن ذلك قصة أبي طالب عم رسول الله ﷺ فقد نزلت فيها آيتان، إحداهما: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] والأخرى قوله تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ﴾

[التوبة: ١١٣]

أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ لعمة عند الموت: «قل لا إله إلا الله أشهد لك بها عند

(١) البخاري (٢٩٣/١١)، ومسلم (٧٥/١٠).

الله». فأبى فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية. وأخرجه من طريق أخرى تنتهي إلى يزيد بن كيسان وفيه قال لولا أن تعيرني قريش يقولون إنما حملة على ذلك الجزع لأقررت بها عينك فأنزل الله الآية (١).

وأخرج البخاري ومسلم من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «يا عمّ قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرنّ لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله تعالى فيه ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية (٢).

□ ومن نزول عدة آيات في واقعة واحدة:

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحطٌ وجهدٌ حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ

(١) مسلم (١/٢١٦).

(٢) البخاري (٣/٤٦٥)، ومسلم (١/٢١٤).

أَيْمٌ ﴿١١﴾ قال: فأتى رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت قال: «لمضر إنك لجريء» فاستسقى لهم فسقوا فنزلت: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ ﴿١٥﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية فأنزل الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَبِّطُشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ ﴿١٦﴾ قال: يعني يوم بدر^(١).

وعند مسلم جاء إلى عبد الله رجلٌ فقال: تركت في المسجد رجلاً يفسر القرآن برأيه، يفسر هذه الآية ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٠﴾ قال: يأتي الناس يوم القيامة دخانٌ فيأخذ بأنفاسهم. حتى يأخذهم منه كهيئة الزكام، فقال عبد الله: من علم علماً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم فإن من فقه الرجل أن يقول: لما لا علم له به، الله أعلم إنما كان هذا.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١] وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] * أخرج البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أنه قدم ركبٌ من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زرارة فقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر: ما أرد إلا خلافي فقال عمر: ما أردت خلافاً فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ حتى انقضت^(٢).

(١) البخاري (١/١٩٢)، ومسلم (١٧/١٤١).

(٢) البخاري (٩/١٤٧).

* وعند البخاري أيضًا من طريق ابن أبي مليكة قال:

كاد الخيران أن يهلكا أبو بكرٍ وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخيه بني مجاشع وأشار الآخر برجلٍ آخر قال نافع: لا أحفظ اسمه فقال أبو بكرٍ لعمر: ما أردت إلا خلافي قال: ما أردت خلافاً فارتفعت أصواتهما في ذلك ^(١).

* وفي بعض المواطن يكون قول الصحابي إن الآية نزلت في كذا بياناً منه لسبب نزولها وقطعاً منه بذلك، وأحياناً يكون ذلك فهمًا منه للآية وتفسيرًا منه لها، أي كأنها تعني كذا، ولذا فقد ورد في بعض المواطن اختلاف بين بعض الصحابة في سبب نزول الآية.

فمن الأول قول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩] إنها نزلت في أهل الكتاب ^(٢).

وكقول أنس رضي الله عنه أن هذه الآية: ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضي الله عنهما ^(٣).

* ومن ذلك ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما من أنه كره الإخصاء وقال فيه نزلت: ﴿وَلَا أُمْرَهُمْ فَلْيَغَيِّرْتُ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

فهذا - فيما أرى والله أعلم يشبهه - أن يكون تفسيراً من ابن عباس رضي الله عنهما

للآية.

(١) البخاري (١٠/٢١٢).

(٢) البخاري في خلق أفعال العباد ص ٥٤ بسند صحيح.

(٣) البخاري (١٠/١٤٢).

* ومن ذلك اختلاف بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا وَأَبْتَعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] وهل نزلت في القراءة في الصلاة أم أنها نزلت في الدعاء أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾.

قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختفٍ بمكة فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله لنبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿وَلَا تُخَافُتْ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿وَأَبْتَعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١).

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أنزل ذلك في الدعاء (٢).

وهذا اختلاف بين بعض الصحابة رضي الله عنهم في نزول آية كريمة وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، وهو كما أسلفت أشبه أن يكون تفسيراً من كل منهما للآية وحملاً لها على وجه من الوجوه.

أخرج البخاري من طريق زيد بن وهب قال: مررت بالرَّبِذَةِ فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشَّامِ فاختلفت أنا ومعاوية في ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب فقلت: نزلت فينا وفيهم فكان

(١) البخاري (١٠/١٩)، ومسلم (٤/١٦٥).

(٢) البخاري (١٠/٢٠)، ومسلم (٤/١٦٥).

بيني وبينه في ذلك وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني فكتب إليّ عثمان أن اقدم المدينة فقدمتها فكثر عليّ النَّاسُ حَتَّى كَانَهُمْ لَمْ يَرُونِي قَبْلَ ذَلِكَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُثْمَانَ فَقَالَ لِي: إِنْ شِئْتَ تَنْحَيْتُ فَكُنْتُ قَرِيبًا فَذَلِكَ الَّذِي أَنْزَلَنِي هَذَا الْمَنْزَلَ. وَلَوْ أَمَرُوا عَلِيَّ حَبَشِيًّا لَسَمِعْتَ وَأَطَعْتَ^(١).

هذا، وقد ينزل جزءٌ من الآية ثم بعد ذلك، ولسبب ما تنزل ألفاظٌ آخر منها للدفع التباسٍ أو لرفع حرجٍ أو لغير ذلك.

* فَمَنْ ذَلِكَ تَأَخَّرَ نَزُولُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فَلَمَّا فَهَمَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ الْآيَةَ: قَبْلَ نَزُولِ ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ عَلَيَّ وَجِهَ أَخْطَاوًا فِيهِ نَزَلَ قَوْلُ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾.

فَفِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: أَنْزَلَتْ ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ وَلَمْ يَنْزَلْ ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فَكَانَ رِجَالٌ إِذَا أَرَادُوا الصَّوْمَ رَبَطُوا أَحَدَهُمْ فِي رِجْلِهِ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ وَالْخَيْطَ الْأَسْوَدَ وَلَمْ يَزَلْ يَأْكُلُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رُؤْيُهُمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدَ ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ فَعَلِمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ^(٢).

* وَمِنْ ذَلِكَ تَأَخَّرَ نَزُولُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥] عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٩٥].

فَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَا يَسْتَوِي

(١) البخاري (٤/١٥).

(٢) البخاري (٥/٣٥)، ومسلم (٧/٢٢٠).

الْقَعْدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ زَيْدًا فَجَاءَهُ بِكَتْفٍ فَكَتَبَهَا وَشَكَا ابْنَ أُمَّ مَكْتُومٍ ضَرَارَتَهُ فَنَزَلَتْ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَعْدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ﴾ (١).

هذا، ولا يُعَدُّ سبباً من أسباب النزول فعلُ الصحابيِّ أمراً بعد نزول الآية: فمثلاً ما صنعه أبو طلحة من تصدقه ببيرحاء - بستان له بالمدينة - بعد نزول قوله تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٩٢] فإنه لا يُعَدُّ سبباً من أسباب النزول.

□ ومن أسباب النزول ما هو ضعيف الإسناد جداً:

وهذا شأن كثير جداً من أسباب النزول كالوارد في شأن ثعلبة بن حاطب عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [التوبة: ٧٥].

ومنها ما هو مختلف في ثبوته، والشأن في ذلك شأن الأحاديث المختلفة في ثبوتها من عدمه ومنها الثابت الصحيح.

□ وقد تنزل الآية الكريمة كجواب على سؤال:

فمن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم:

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشُّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا وَزَنُوا وَأَكْثَرُوا فَاتُوا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لِحَسَنٍ لَوْ تَخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمَلْنَا كَفَّارَةً فَنَزَلَ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ ونزل: ﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ

أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴿١﴾ ولا مانع أن تكون الآية نزلت للسببين معاً والله أعلم (١).

ومن ذلك سؤال جابر رضي الله عنه كيف يقضي في ماله ونزول آية المواريث ففي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يعوداني ماشيين. فأغمي عليّ. فتوضأ ثم صبّ عليّ من وضوئه. فأفقت. قلت يا رسول الله! كيف أقضي في مالي؟ فلم يردّ عليّ شيئاً. حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] (٢).

□ ومن نزولها إجابةً على سؤال:

ما أخرجه أحمد بسندٍ صحيح عن أنس رضي الله عنه أنها نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم مرجعه من الحديبية وأصحابه يخالطون الحزن والكآبة وقد حيل بينهم وبين مساكنهم، ونحروا الهدى بالحديبية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (١) إلى قوله تعالى: ﴿صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (٢) [الفتح: ١-٢] قال: «لقد أنزلت عليّ آيتان هما أحب إلي من الدنيا جميعاً»، قال: فلما تلاهما قال رجل هنيئاً مريئاً يا رسول الله قد بين لك ما يفعل بك فما يفعل بنا؟ فأنزل الله عز وجل الآية التي بعدها: ﴿يَدْخُلِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية (٣).

* ومن ذلك سؤال اليهود عن الروح ونزول قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ

الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

(١) البخاري (١٠/١٧٠)، ومسلم (٢/١٣٩).

(٢) مسلم (١١/٥٥).

(٣) أحمد (٣/١٣٤).

أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله (وهو ابن مسعود) رضي الله عنه قال: بينا أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في ضرب المدينة وهو يتوكأ على عسيبٍ معه فمرَّ بنفرٍ من اليهود فقال بعضهم لبعضٍ: سلوه عن الرُّوح وقال بعضهم: لا تسألوه لا يجيء فيه شيءٌ تكرهونه فقال بعضهم: لنسألنَّه، فقام رجلٌ منهم فقال: يا أبا القاسم ما الرُّوح؟ فسكت فقلت: إنَّه يوحى إليه فقلت فلما انجلى عنه قال: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] قال الأعمش: هكذا في قراءة تنا^(١).

* ومن ذلك سؤال الصحابة عن الصنيع الذي يصنعه اليهود مع المرأة إذا حاضت ونزول الآية وبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لها.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت. فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاعْتَزِلُوا الْنِسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] إلى آخر الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اصنعوا كلَّ شيءٍ إلا النكاح» فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرَّجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه. فجاء أسيد بن حضيرٍ وعباد بن بشرٍ فقالا: يا رسول الله! إنَّ اليهود تقول كذا وكذا. فلا نجتمعن؟ فتغيَّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما. فخرجا فاستقبلهما هديَّةً من لبنٍ إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فأرسل في آثارهما. فعرفا أن لم

يجد عليهما.

* ومن ذلك سؤال كعب بن عجرة عن ماذا يصنع بالقمل الذي أصابه وهو محرم وملاً رأسه ونزول الآية ببيان الكفارة في ذلك:

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: وقفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ورأسي يتهافت قملاً فقال: «يؤذيك هوامك» قلت: نعم، قال: «فاحلق رأسك - أو احلق -» قال: في نزلت هذه الآية: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] إلى آخرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق بين ستة أو انسك مما تيسر»^(١).

* ومن ذلك سؤال الرجل الذي أصاب من امرأة قبله، ونزول الآية ببيان الكفارة:

أخرج البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَلِيلٍ إِنْ أَحْسَنْتَ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]. فقال الرجل: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألي هذا؟ قال: «لجميع أمتي كلهم»^(٢).

* ومن ذلك توقف الصحابة عن القول في إخوانهم الذي ماتوا قبل تحول القبلة ولم يكونوا قد صلوا إلى الكعبة ولا صلاةً حتى نزلت الآية:

أخرج البخاري من حديث البراء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت

(١) البخاري (٣٨٧/٤)، ومسلم (١١٩/٨).

(٢) البخاري (١٤٨/٢)، ومسلم (٧٩/١٧).

المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صَلَّى أول صلاة صلاحًا صلاة العصر وصَلَّى معه قومٌ فخرج رجلٌ ممَّن كان صَلَّى معه فمرَّ على أهل المسجد وهم راکعون قال: أشهد بالله لقد صَلَّيت مع النَّبِيِّ ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكان الذي مات على القبلة قبل البيت رجالٌ قتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

□ وقد تنزل الآية بيانًا لعلامة أمر من الأمور:

فمن ذلك بيان العلة من عدم إرسال الآيات أخرج أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا وأن ينحى الجبال عنهم فيزدرعون فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلکوا كما أهلکت من قبلهم قال: «لا بل أستأني بهم». فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلَؤُنَّ وَأَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩] (٢).

وكذا ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر ممَّا تزورنا؟» فنزلت: ﴿وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَبْكِينُ أَيْدِينَا وَمَا خَلَفْنَا﴾ (٣).

* * *

(١) البخاري (٩/١٠٧).

(٢) أحمد (١/٨٠٠).

(٣) البخاري (١٠/٤٣).

□ وقد تنزل بياناً لحكم:

* كالوارد في قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً...﴾ [النور: ٣].
أخرج الترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: كان رجلٌ يقال له مرثد بن أبي مرثد وكان رجلاً يحمل الأسرى من مكّة ويأتي بهم المدينة قال: وكانت امرأةٌ بغى بمكّة يقال لها عناق وكانت صديقةً له وإنّه كان وعد رجلاً من أسارى مكّة يحمله قال: فجئت حتّى انتهيت إلى ظلّ حائطٍ من حوائط مكّة في ليلة مقمرة.
قال: فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلّي بجانب الحائط فلما انتهت إلى عرفنتني فقالت: مرثد فقلت: مرثد. فقالت: مرحباً وأهلاً هلمّ فبت عندنا الليلة.

فقلت: يا عناق حرّم الله الزّنا.

قالت: يا أهل الخيام هذا الرّجل يحمل أسراكم.

قال: فتبعني ثمانيةً وسلكت الخدمة فانتهيت إلى كهفٍ أو غارٍ فدخلت فجاءوا حتّى قاموا على رأسى وعماهم الله عنى.

قال: ثمّ رجعوا ورجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلاً ثقيلاً حتّى انتهيت إلى الآخر عنه أكبله فجعلت أحمله ويعيننى حتّى قدمت المدينة فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أنكح عناقاً فأمسك رسول الله ﷺ ولم يردّ علىّ شيئاً حتّى نزلت: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «يا مرثد الزّانى لا ينكح إلا زانيةً أو

مشاركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشركٌ فلا تنكحها».

هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ لا يعرف إلا من هذا الوجه (١).

□ وكذا تنزل لفض نزاع وقضاء كآية الملاعنة:

أخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد أن عويمراً أتى عاصم ابن عديٍّ وكان سيّد بني عجلان فقال: كيف تقولون في رجلٍ وجد مع امرأته رجلاً أيقّلته فتقتلونه أم كيف يصنع؟ سل لي رسول الله ﷺ عن ذلك فأتى عاصمُ النَّبِيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله فكره رسول الله ﷺ المسائل فسأله عويمرٌ فقال: إن رسول الله ﷺ فكره المسائل وعابها قال عويمرٌ: والله لا أنتهي حتّى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك فجاء عويمرٌ فقال: يا رسول الله رجلٌ وجد مع امرأته رجلاً أيقّلته فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك» فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة بما سمى الله في كتابه فلاعنها ثم قال: يا رسول الله إن حبستها فقد ظلمتها فطلقها فكانت سنةً لمن كان بعدهما في المتلاعنين ثم قال رسول الله ﷺ: «انظروا فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الألتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمراً إلا قد صدق عليها وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرّة فلا أحسب عويمراً إلا قد كذب عليها» فجاءت به على النَّعْتِ الَّذِي نَعْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ من تصديق عويمرٍ فكان بعد ينسب إلى أمّه (٢).

(١) الترمذي (٤/١٥٢).

(٢) البخاري (١٠/٦٤)، ومسلم (١٠/١٢٠).

□ وقد تنزل الآية لرفع الحرج عن المؤمنين في بعض الأمور التي

يتخرجون فيها:

* فمن ذلك تخرجهم من التجارة في موسم الحج ونزول الآية الكريمة لإباحة ذلك.

ففي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية فلما كان الإسلام تأثموا من التجارة فأنزل الله تعالى: (ليس عليكم جناح في مواسم الحج) قرأ ابن عباس هكذا^(١).

* ومن ذلك رفع الحرج عن من جاء من الحج فدخل البيت من بابه أخرج البخاري ومسلم من حديث البراء رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية فينا كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه غير بذلك فنزلت: ﴿وَأَيُّسَ الرِّبَّيَّانَ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الرِّبَّيَّانَ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]^(٢).

* ومن ذلك تخرج بعضهم من السعي بين الصفا والمروة فنزل ما يرفع الحرج عن ذلك.

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه أنه سئل عن الصفا والمروة فقال: كنا نرى... من أمر الجاهلية فلما كان الإسلام

(١) البخاري (٢٢٤/٥).

(٢) الآية ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ولكنها في قراءة ابن عباس: (ليس عليكم جناح في مواسم الحج...).

(٣) البخاري (٣٧٠/٤)، ومسلم (١٦١/١٨).

أَمْسَكْنَا عَنْهُمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَصْفَاءَ وَالْمُرْوَةَ مِنْ سَعَابِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] ولا مانع من أن الآية نزلت في الجميع^(١).

* ومن ذلك تخرجهم من جماع نساءهم وإفشاءهم إلى السماء ونزول الآية في ذلك.

فَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَادِ بْنِ جَعْفَرٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ: ﴿الْأَيْمَانُ يَنْتَوْنَ صُدُورَهُمْ﴾ [هود: ٥] قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْهَا فَقَالَ: أَنَسَاءُ كَانُوا يَسْتَخْفُونَ أَنْ يَتَخَلَّوْا فَيَفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ وَأَنْ يَجَامِعُوا نِسَاءَهُمْ فَيَفْضُوا إِلَى السَّمَاءِ فَنَزَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ^(٢).

* ومن ذلك تخرجهم من الاستمتاع بالسبايا المشركات، لكونهن كن متزوجات قبل السبي ونزول الآية لرفع هذا الحرج.

فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، بَعَثَ جَيْشًا إِلَى أَوْطَاسٍ، فَلَقُوا عَدُوًّا، فَقَاتَلُوهُمْ. فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ، وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا، فَكَانَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحَرَّجُوا مِنْ غَشْيَانَهُنَّ مِنْ أَجْلِ أَزْوَاجِهِنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] أَيِ فَهِنَّ لَكُمْ حَلَالٌ إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ^(٣).

* * *

(١) البخاري (٢٤٢/٩)، ومسلم (٢٤/٩).

(٢) البخاري (٤٢٠/٩).

(٣) مسلم (٣٥/١٠).

□ ومن نزولها لرفع الحرج وتفريج كربته:

ما أخرجه البخاري من حديث البراء رضي الله عنه قال: كان أصحاب سحما رضي الله عنهم إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يرمه حتى يمسي وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا ولكن أنطلق فأطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فجاءته امرأته فلما رآته قالت: خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] ففرحوا بها فرحاً شديداً ونزلت: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ (١).

وهذه ضائقة حدثت للمسلمين فأنزل الله فيها الفرج والمخرج، وذلك بإنزال آية التيمم أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماءٍ وليس معهم ماءٌ فأتى وليس معهم ماءٌ فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال: حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماءٍ وليس معهم ماءٌ؟ فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر وقال: ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح

على غير ماءٍ فأنزل الله آية التيمم فتييمموا فقال أسيد بن الحضير: ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكرٍ؟ قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فأصبنا العقد تحته^(١).

□ وقد تنزل دفاعاً عن رسول الله ﷺ:

فمن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث جندب بن سفيان قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقيم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إنني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قريبك منذ ليلتين أو ثلاثة فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣)﴾^(٢).

□ وقد تنزل الآيات لبيان فضائل بعض الصحابة رضي الله عنهم أو لإقرار صنيع صنعوه:

فمن ذلك:

نزول قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(٣) ثناءً على صهيب الرومي رضي الله عنه.

أخرج الحاكم في مستدرکه من طريق عكرمة قال:

لما خرج صهيبٌ مهاجراً تبعه أهل مكة فثقل كناتته، فأخرج منها أربعين سهماً، فقال: «لا تصلون إليَّ حتى أضع في كل رجلٍ منكم سهماً، ثم أصير بعد إلى السيف فتعلمون أنني رجلٌ، وقد خلقت بمكة قينتين فهما لكم».

(١) البخاري (٤٤٨/١)، ومسلم (٥٨/٤).

(٢) البخاري (٣٣٩/١٠)، ومسلم (١٥٦/١٢).

قال: وحدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس نحوه ونزلت على النبي ﷺ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] الآية فلما رآه النبي ﷺ قال: «أبا يحيى ربح البيع» قال: وتلا عليه الآية (١).

وهذه آية قد نزلت تصديقاً لصحابي وثناءً عليه أخرج البخاري ومسلم من حديث زيد بن أرقم قال: كنت في غزاةٍ فسمعت عبد الله بن أبيي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ولئن رجعنا من عنده ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ فذكرت ذلك لعمِّي أو لعمر فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبيي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فكذبني رسول الله ﷺ وصدَّقه فأصابني همٌّ لم يصبني مثله قطُّ فجلست في البيت فقال لي عمِّي: ما أردت إلى أن كذبتك رسول الله ﷺ ومقتك فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ﴾ فبعث إليَّ النبي ﷺ فقرأ فقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدٌ» (٢).

وآيات سورة النور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِآيَاتِكِ...﴾ [النور: ١١] نزلت تبرئةً لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وتوجيهًا لأهل الإيمان وتحذيرًا.

* * *

(١) الحاكم في المستدرک (٣/٣٩٨).

(٢) البخاري (١٠/٢٩٦)، ومسلم (١٧/١٢٠).

□ وقد تنزل تنويهاً وبياناً لفضيلته حازها شخص أو شرف بها:

فمن ذلك تزويج زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونزول ذلك من فوق سبع سموات أخرج ابن سعد في الطبقات من حديث أنس قال: نزلت في زينب بنت جحش ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] قال: فكانت تفخر على نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقول: زوجكن أهلكن وزوجني الله من فوق سبع سموات^(١).

□ ومن نزولها تحمل فضيلة نزول آية المجادلة التي سمع الله قولها:

ما أخرجه أحمد في مسنده من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١] إلى آخر الآية^(٢).

وكذا نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾

[النساء: ٨٣] وفيها ثناءً على عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالْحَصِيِّ، وَيَقُولُونَ طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْحِجَابِ.

(١) ابن سعد (٨/١/ص ٧٣).

(٢) أحمد (٤٦/٦) بسند صحيح.

قَالَ عُمَرُ: فَقُلْتُ: لِأَعْلَمَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ. فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ بَعْدَ اسْتِثْنَائِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَطَلَّقْتَهُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَالنَّاسَ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى. يَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ، أَفَأَنْزَلَ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّكَ لَمْ تَطْلُقْتَهُنَّ؟ قَالَ: «نَعَمْ. إِنْ شِئْتُ». فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ فَقُمْتُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي لَمْ يَطْلُقْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ، وَنَزَلَتِ الْآيَةُ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] فَكُنْتُ أَنَا اسْتَنْبَطْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ. وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آيَةَ التَّخْيِيرِ (١).

وَكَذَا نَزُولُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء:

١٠٠] لِبَيَانِ فَضِيلَةِ نَالِهَا صَحَابِي رَغَبَ فِي الْخَيْرِ.

أَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ كُظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٨] وَكَانَ بِمَكَّةَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ضَمْرَةٌ مِنْ بَنِي بَكْرٍ وَكَانَ مَرِيضًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ: أَخْرِجُونِي مِنْ مَكَّةَ فَإِنِّي أَجِدُ الْحَرَّ، فَقَالُوا: أَيْنَ نَخْرُجُكَ؟ فَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٠٠] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ (٢).

* * *

(١) مسلم (١٠/٨٢).

(٢) الطبري (٥/٢٤٠).

□ وقد تنزل الآية الكريمة ذمًا لأقوام وصنيعهم:

فمن ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يومًا: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن قال عبد الله: فأنا رأيتاه متعلقًا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبَا اللَّهِ وَءَايَاتِهِ، وَرَسُولِهِ، كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥] (١).

وكذا ما أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا: مرأيي، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] الآية (٢).

□ ومن نزولها ذمًا لقوم وتحذيرًا لهم:

ما ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧] وذلك لما سألت اليهود رسول الله ﷺ من صاحبك؟ قال: «جبريل عليه السلام». قالوا: جبريل ذاك الذي ينزل

(١) ابن أبي حاتم (٦٣/٤) بسند صحيح.

(٢) البخاري (٢٥/٤).

بالحرب والقتال والعذاب عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان فأنزل الله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَتْ عُدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧] إلى آخر الآية (١).

* ومن نزولها عتابًا وتحذيرًا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْهَوْا أَنْفُسُهُمْ إِلَيْهَا...﴾ [الجمعة: ١١].

أخرج البخاري في صحيحه وكذا مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت غير تحمل طعامًا، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْهَوْا أَنْفُسُهُمْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ (٢).

ومن ذلك نزول قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: ٤٨] الآية أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (٤٨) ﴿إِنَّا كَلَّمْنَا بِقَدْرِ﴾ (٤٩) [القمر: ٤٨، ٤٩].

□ وقد تنزل الآية لفصل في نزاع وبيان وجوه الحق فيه:

أخرج البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصًا من ذهب فأحلفهما

(١) أخرجه أحمد (٢٧٤ / ١) بسند حسن.

(٢) البخاري (٧٥ / ٣)، ومسلم (١٥٠ / ٦).

رسول الله ﷺ ثم وجدوا الجام بمكة فقالوا: ابتعناه من تميم وعدي فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما وأن الجام لصاحبهم قال: وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ...﴾ [المائدة: ١٠٦] (١).

* ومن نزولها لرفع اختلافٍ ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال:

لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَحَدٍ رَجَعَ نَاسٌ مَمَّنْ خَرَجَ، وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَرَقَتَيْنِ فَرَقَةً تَقُولُ: نَقَاتْلُهُمْ وَفَرَقَةً تَقُولُ: لَا نَقَاتْلُهُمْ فَنَزَلَتْ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ وقال: «إِنَّهَا طَبِيبَةٌ تَنْفِي الذُّنُوبَ كَمَا تَنْفِي النَّارَ خَبَثَ الْحَدِيدِ» (٢).

□ وقد تنزل الآيات الكريمة للنهي عن فعل شيء:

فمن ذلك ما أخرجه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال:

سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ مِنَ الرَّكْعَةِ الْأُولَى مِنَ الْفَجْرِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ الْعَنِ فَلَانًا وَفَلَانًا» بعد ما يقول: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ - إلى قوله: -
﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٢٨).

وَعَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: كَانَ

(١) البخاري (٦/٣٣٩).

(٢) البخاري (٨/٣٥٩)، ومسلم (١٧/١٢٣).

رسول الله ﷺ يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ - إلى قوله: - ﴿فَإِنَّهُمْ ظَلِمُوا﴾^(١).
 □ ومن نزولها كتوجيه وإرشاد:

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(١١) قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفثيه فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما رأيت رسول الله ﷺ يحركهما فقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفثيه فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(١٦) إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ^(١٧) قال: جمعه له في صدره وتقرأه فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليه السلام استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه^(٢).

وما أخرجه البخاري ومسلم كذلك من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت أمامي فلم أر شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فرأيت شيئاً فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا علي ماءً بارداً» قال: «فدثروني وصبوا علي ماءً بارداً» قال: «فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾^(١) ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا﴾^(٢)

(١) البخاري (٨/٣٦٨).

(٢) البخاري (١/٣٢)، ومسلم (٤/١٦٥).

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ ﴿١﴾.

وكذا ما أخرجه الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أنزلت: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿١﴾ [عبس: ١] في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من عظماء المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: «أترى بما أقول بأسًا». ففي هذا نزل ﴿٢﴾.

□ ومن نزولها كتوجيه وإرشاد:

ما أخرجه الطبري في تفسيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المرأة تكون مقلاتًا فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿٣﴾.

□ ومن نزولها لبيان وجه الصواب في مسألة:

ما أخرجه مسلم من حديث النعمان بن بشير قال: كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أَبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَسْقِيَ الْحَاجَّ، وَقَالَ آخَرٌ: مَا أَبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ، إِلَّا أَنْ أَعْمَرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ. وَقَالَ آخَرٌ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) البخاري (٣٠٣/١٠)، ومسلم (٢/٢٠٦).

(٢) الترمذي (٤/٢٠٩) وهو صحيح لشواهده.

(٣) الطبري (٣/٢٤).

أفضل ممَّا قَلْتُمْ، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صَلَّيت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [التوبة: ١٩] الآية إلى آخرها.

وحدَّثني عبد الله بن عبد الرحمن الدَّارِمِيُّ. حدَّثنا يحيى بن حَسَّان. حدَّثنا معاوية. أخبرني زيدٌ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلَامٍ قَالَ: حدَّثني النُّعْمَانُ بن بشيرٍ قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ بمثل حديث أبي توبة (١).

□ ومن نزولها نهياً عن فعلٍ خاطئ:

ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:

كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانةٌ. فتقول: من يعيرني تطوفاً؟ تجعله على فرجها. وتقول: اليوم يبدو بعضه أو كلُّه فمابدا منه فلا أحله

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف: ٣١] (٢).

□ ومن نزولها كتصحيحٍ لخطأٍ ولإرشاد:

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رجلٌ في غنيمَةٍ له فلحقه المسلمون فقال: السَّلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته فَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ إلى

(١) مسلم (٢٥/١٣).

(٢) مسلم (١٦٢/١٨).

قوله: ﴿عَرَضَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا﴾ تلك الغنيمة (١).

كذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢]
ونزولها ثناءً على بعض الصحابة وتوجيهها للتصرف السديد الرشيد في المسائل.

أخرج مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: فيَّ

نزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢].

قال: نزلت في ستّة: أنا، وابن مسعودٍ منهم، وكان المشركون قالوا: تدني

هؤلاء؟!!!

وفي رواية أخرى:

كنا مع النبي صلّى الله عليه وآله ستّة نفر، فقال المشركون: للنبي صلّى الله عليه وآله اطرده هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعودٍ، ورجلٌ من هذيلٍ، وبلالٌ، ورجلان لست أسمييهما، فوقع في نفس رسول الله صلّى الله عليه وآله ما شاء الله أن يقع. فحدّث نفسه. فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (٢).

□ ومن نزولها توجيهًا وإرشادًا:

ما أخرجه مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفْتُ أُمَّ سَعْدٍ أَنْ لَا تَكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ. قَالَتْ: زَعَمْتُ؛ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِالْوَالِدِ،

(١) البخاري (٣٢٧/٩)، ومسلم (١٨/١٦١).

(٢) مسلم (١٨٧/١٥).

وَأَنَا أُمَّكَ، وَأَنَا أَمْرُكَ بِهَذَا.

قَالَ: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد. فقام ابنٌ لها يقال له: عمارة. فسقاها. فجعلت تدعو على سعدٍ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ في القرآن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ [العنكبوت: ٨] وفيها: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

قَالَ: وَأَصَابَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَنِيمَةٌ عَظِيمَةٌ، فَإِذَا فِيهَا سَيْفٌ فَأَخَذْتَهُ، فَأَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: أَنْفَلْنِي هَذَا السَّيْفَ، فَأَنَا مِنْ قَدِ عَلِمْتَ حَالَهُ، فَقَالَ: «رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ»، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَلْقِيَهُ فِي الْقَبْضِ لَامْتَنِي نَفْسِي، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: أَعْطِنِيهِ. قَالَ: فَشَدَّ لِي صَوْتَهُ «رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ» قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال: ١].

قَالَ: وَمَرَضْتُ فَأَرْسَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَانِي، فَقُلْتُ: دَعْنِي أَقْسِمُ مَالِي حَيْثُ شِئْتُ. قَالَ: فَأَبَى. قُلْتُ: فَالْنُّصْفَ. قَالَ: فَأَبَى، قُلْتُ: فَالْثُلُثَ، قَالَ: فَسَكَتَ، فَكَانَ، بَعْدَ الثُّلُثِ جَائِزًا. قَالَ، وَأَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، فَقَالُوا: تَعَالِ نَطْعَمُكَ وَنَسَقُكَ خَمْرًا. وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَحْرَمَ الْخَمْرَ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُمْ فِي حَشٍّ - وَالْحَشُّ الْبَسْتَانُ - فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْوِيٍّ عِنْدَهُمْ، وَزُقٌّ مِنْ خَمْرٍ، قَالَ: فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ، قَالَ: فَذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عِنْدَهُمْ، فَقُلْتُ: الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لِحْيِي الرَّأْسِ فَضْرَبَنِي بِهِ فَجَرَحَ بَأَنْفِي، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتَهُ، فَأَنْزَلَ

الله عزَّ وجلَّ فيَّ - يعني نفسه - شأن الخمر: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠] (١).

□ وقد تنزل الآية الكريمة للإخبار بأمر حدث لا يعلمه الناس

فأخبرهم الله به:

فمن ذلك ما أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتُغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلَةً﴾ [الإسراء: ٥٧]. قال: كان نفرٌ من الإنس يعبدون نفرًا من الجنِّ، فأسلم النفر من الجنِّ، واستمسك الإنس بعبادتهم. فنزلت: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتُغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلَةً﴾

[الإسراء: ٥٧]

ثم ساقه من طريق أخرى إلى ابن مسعود وفيه: فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون فنزلت (٢).

□ ومن نزول الآيات إخبارًا بأمر قد حدث:

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:

انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفةٍ من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظٍ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث فاضربوا

(١) مسلم (١٥/١٨٥).

(٢) مسلم (١٨/١٦٤).

مشارك الأَرْض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الَّذِي حدث فانطلقوا
فضربوا مشارق الأَرْض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الَّذِي حال بينهم
وبين خبر السَّمَاء قال: فانطلق الَّذِينَ توجَّهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ
بنخلة وهو عامدٌ إلى سوق عكاظٍ وهو يصليُّ بأصحابه صلاة الفجر فلَمَّا
سمعوا القرآن تسمَّعوا له فقالوا: هذا الَّذِي حال بينكم وبين خبر السَّمَاء
فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إننا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدي إلى
الرُّشد فآمنَّا به ولن نشرك بربِّنا أحدًا وأنزل الله عزَّ وجلَّ على نبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ
أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ (١).

ومن ذلك ما أخرجه أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:

قال رسولُ الله ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ، جَعَلَ اللهُ عِزًّا وَجَلًّا
أرواحهم في أجواف طيرٍ خضرٍ ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتهوي إلى
قناديل من ذهبٍ في ظلِّ العرش، فلَمَّا وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم، وحسن
منقلبهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا، لئلا يزهدوا في الجهاد،
ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عزَّ وجلَّ: أنا أبلغهم عنكم» فأنزل الله عزَّ
وجلَّ هؤلاء الآيات على رسوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ
أَحْيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٦٩] (٢).

* * *

(١) البخاري (٢٩٦/١٠)، ومسلم (١٦٧/٤).

(٢) أحمد (٢٦٥/١).

□ ومن نزولها أيضًا لبيان أحوال قوم قد ماتوا:

ما أخرجه الطبري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:

قال نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا. حتى إذا

ثملوا، عبث بعضهم ببعض.

فلما أن صحوا جعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته فيقول: فعل

بي هذا أخي فلان! وكانوا إخوة، ليس في قلوبهم الضغائن والله لو كان بي

رءوفًا رحيمًا ما فعل بي هذا! حتى وقعت في قلوبهم الضغائن، فأنزل الله

تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠-٩١)!

فقال ناس من المتكلفين: هي رجسٌ وهي في بطن فلان قتل يوم بدر، وقتل

فلان يوم أحد! فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا

طَعَمُوا﴾ (المائدة: ٩٣). الآية^(١).

وأيضًا ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: كنت

ساقى القوم في منزل أبي طلحة وكان خمرهم يومئذ الفضيخ فأمر رسول الله ﷺ

مناديًا ينادي ألا إن الخمر قد حرمت قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج

فأهرقها، فخرجت فهرقتها فجرت في سلك المدينة فقال بعض القوم: قد

قتل قوم وهي في بطونهم فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا﴾ الآية^(٢).

(١) الطبري (٧/٣٤).

(٢) البخاري (٦/٣٦)، ومسلم (١٣/٣٤٩).

□ ومن نزولها ببيان حكم أقوامٍ قد ماتوا أو قتلوا:

ما أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي السهم يرمي به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِيْ أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية (١).

□ وقد تنزل تصديقاً لقضاء قضاء النبي صلى الله عليه وآله أو لقول قائله:

فمن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه:

عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: «من حلف على يمينٍ يقطع بها مال امرئٍ مسلمٍ هو عليها فاجرٌ؛ لقي الله وهو عليه غضبان» فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] الآية فجاء الأشعث فقال: ما حدثكم أبو عبد الرحمن؟ في أنزلت هذه الآية كانت لي بئرٌ في أرض ابن عمٍ لي فقال لي: «شهودك؟» قلت: ما لي شهودٌ قال: «فيمينك» قلت: يا رسول الله إذا يحلف فذكر النبي صلى الله عليه وآله هذا الحديث فأنزل الله ذلك تصديقاً له (٢).

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه:

سَأَلْتُ أَوْ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نَدًّا وَهُوَ خَلْقُكَ» قلت: ثم أيُّ؟ قال: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشِيَةً أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قلت: ثم أيُّ؟ قال: «أَنْ تَزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ» قال: ونزلت هذه الآية

(١) البخاري (٩/٣٣١).

(٢) البخاري (٥/٤٣٠)، ومسلم (٢/١٥٨).

تصديقاً لقول رسول الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾^(١)

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من طريق عروة قال:

خاصم الزبير رجلٌ من الأنصار في شريح من الحرة فقال النبي ﷺ: «اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك» فقال الأنصاري: يا رسول الله إن كان ابن عمّتك فتلون وجهه ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك» واستدعي النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه النصاري وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة قال الزبير: فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]^(٢).

وهناك بعض الأحاديث الطوال التي تضمنت أسباب نزول بعض الآيات، وفي نفس الوقت فسرت بها الآيات أحسن تفسير.

كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في حديث كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خلفوا، وفيهم نزلت الآيات: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا...﴾ [التوبة: ١١٨] فقد قال ابن كثير رحمه الله: تضمن تفسير الآية بأحسن الوجوه وأبسطها.

وكذا الحديث الطويل الوارد في آية التخيير وسبب نزولها فهو مبينٌ

(١) البخاري (١٠٩/١٠)، ومسلم (٨٠/٢).

(٢) البخاري (٣٢٣/٩)، ومسلم (١٠٧/١٥).

للآية أتم بيانٍ وأجمل بيان.

وكذا من هذه الأحاديث ما ورد من أسباب نزول آيات الملاعنة فإنها مفسرةٌ لآيات الملاعنة أحسن تفسير وموضحة لها أحسن الإيضاح. ومن هذه الأحاديث الطوال كذلك المتضمنة أسباب النزول حديث الإفك فقد فصلت فيه قصة الإفك أحسن تفصيل، وبينت كذلك أجمل البيان.

□ وقد تنزل الآية ناسخة لآية أخرى:

كقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] نسخ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب. فقالوا: أي رسول الله! كلّفنا من الأعمال ما نطبق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطبقها، قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك

المصير. فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم فأنزل الله في إثرها: ﴿ءَأَمَنَ
الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾
[البقرة: ٢٨٥] فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا
يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ
نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: «نعم» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال: «نعم» ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: «نعم»
﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾
قال: «نعم»^(١).

□ وقد تنزل تصديقًا لقضاء قضى به رسول الله ﷺ:

بعض الأحاديث الطوال وقد تنزل ناسخة لأمر.

* * *

الأصل الثالث من أصول التفسير

التفسير بأقوال الصحابة رضي الله عنهم

إذ هم أعلم الناس بالقرآن بعد رسول الله ﷺ، فقد تلاه رسول الله ﷺ عليهم، وعلمهم إياه وأرشدهم به فعملوا به وامتثلوه خير امتثال، وفضلاً عن ذلك فهم خير القرون كما قال: ﷺ «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..»^(١) وفي رواية: «خير الناس قرني»^(٢).

وفي الثالثة: «خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم»^(٣).

وفضلاً عن ذلك فقد أثنى الله عز وجل عليهم بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا

[الفتح: ٢٩]

وقال تعالى: ﴿لَنَكِينُ الرَّسُولِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

وَأَوْلِيَّكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ [التوبة: ٨٨].

والنصوص في هذا كثيرة جداً، وليس المقام بمقام استقصاء لها إنما

فقط إشارات إلى فضلهم وعلمهم وورعهم، وقد قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ

وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

(١) البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٢) البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٣) مسلم (٢٥٣٤).

فتقواهم لله عزَّ وجل سبب من علمهم ومجاورتهم رسول الله ﷺ سببٌ في علمهم، وجهادهم مع رسول الله ﷺ وصحبتهم له سبب في علمهم ودعاء رسول الله ﷺ واستغفاره لهم سبب في علمهم.

فكان من الجدير إذا أن تُقبل على علمهم وعلى تفاسيرهم ﷺ وأرضاهم.

ومن هؤلاء الصحابة الأجلاء الذين عرفوا بالتفسير وأكثروا من ملازمة رسول الله ﷺ:

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

قال عنه أبو موسى الأشعري - في بيان كثرة ملازمته للنبي ﷺ -
قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حيناً ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجلٌ من أهل بيت النبي ﷺ لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي ﷺ^(١).

ولقد قال ابن مسعود رضي الله عنه، عن نفسه فيما أخرجه البخاري ومسلم: والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله عزَّ وجل إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله، إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه^(٢).

(١) البخاري (٣٧٦٣)، ومسلم (٢٤٦٠).

(٢) البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٢).

وفي رواية عند البخاري ومسلم من طريق شقيق بن سلمة قال:
خطبنا ابن مسعود فقال: «والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعةً
وسبعين سورة والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله،
وما أنا بخيرهم».

قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون فما سمعت رادًا يقول
غير ذلك^(١).

وعند البخاري من طريق مسروق قال: ذكر عبد الله عند عبد الله بن
عمرو فقال ذاك: رجل لا أزال أحبه بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود، فبدأ به، وسالم مولى أبي
حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل»^(٢).

* وعند الإمام مسلم من طريق أبي الأحوص قال: شهدت أبا موسى
وأبا مسعود حين مات ابن مسعود فقال أحدهما لصاحبه: أترأه ترك بعده
مثله، فقال: إن قلت ذاك، إن كان ليؤذن له إذا حجبنا ويشهد إذا غبنا^(٣).

* وقال فيه عمر رضي الله عنه: «كنيف ملئ فقها»^(٤).

وأخرج النسائي بسند صحيح من طريق أبي ظبيان قال قال لنا ابن
عباس: أي القراءتين تقرؤون، قلنا: قراءة عبد الله، قال: إن رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٠)، ومسلم (٢٤٦٢).

(٢) البخاري (٣٧٥٨)، ومسلم (٢٤٦٤).

(٣) مسلم (٢٤٦١).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٢٢٨٦) بسند صحيح.

كان يعرض القرآن في كل عام مرة، وإنه عرض عليه في العام الذي قبض فيه مرتين فشهد عبد الله بن مسعود ما نسخ^(١).

* ولقد قال له رسول الله ﷺ: «إذنك عليّ أن يرفع الحجاب وأن تستمع سوادي حتى أنهاك» أخرجه مسلم^(٢).

* وهو صاحب النعلين والوساد والمطهرة، أي أنه كان يحمل لرسول الله ﷺ نعليه وهذا دليل على طول ملازمته، ثم إن فضائله كثيرة جداً^(٣).

فمثل هذا الصحابي الجليل جديرٌ بأن يؤخذ عنه التفسير وجدير بأن يقدّم قوله على قول الكثيرين رضي الله عنه وأرضاه.

* ومن هؤلاء الصحابة الأفاضل الأجلاء العلماء بالتفسير.

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

ذلكم الحبر الكريم الذي دعا له رسول الله ﷺ بالفقه في الدين وتعلم

التأويل لقد قال رسول الله ﷺ: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»^(٤).

وقال ﷺ وقد ضمّ ابن عباس إليه وقال: «اللهم علمه الحكمة»^(٥).

ولقد قال ابن مسعود رضي الله عنه في شأنه: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس»^(٦).

(١) النسائي في فضائل الصحابة (١٥٤).

(٢) مسلم (٢١٦٩)، وقوله: سوادي أي: سراري أي: سرّي.

(٣) البخاري (٣٧٦١).

(٤) حسن أخرجه (١/٣٢٨)، ولفظة: «اللهم فقهه في الدين» أخرجه البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧).

(٥) البخاري (٣٧٥٦).

(٦) صحيح عن ابن مسعود، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٢٦٩)، وأحمد في فضائل =

وفي رواية أخرى عنه: «لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشه منا رجلٌ»^(١).

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجلُّه ويوقره، ويدخله مجلسه مع كبار الصحابة.

أخرج البخاري من حديث:

ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدرٍ فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناءٌ مثله؟ فقال عمر: إنَّه ممَّن قد علمتم فدعا ذات يومٍ فأدخله معهم فما رثيت دعاني يومئذٍ إلا ليريهم منِّي قال: «ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾» فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباسٍ؟ قلت: لا قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلمه الله له ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ - وذلك علامة أجلك - ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول^(٢).

وقد أخرج الترمذي بسندٍ صحيح:

عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «لَمَّا تَوَفَّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قلت لرجلٍ من الأنصار يا فلان هلمَّ فلنسأل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنهم اليوم كثيرٌ». فقال:

=الصحابة (١٨٦٣).

(١) ابن أبي شيبه (١٢٢٦٨) بسندٍ صحيح.

(٢) البخاري (٤٩٧٠).

واعجباً لك يا ابن عباس، أترى النَّاسَ يحتاجون إليك، وفي النَّاسِ من أصحاب النَّبِيِّ ﷺ من ترى؟ فترك ذلك، وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرَّجُلِ فآتيه، وهو قائلٌ^(١)، فأتوسد رداي على بابه، فتسفي الرِّيحَ على وجهي التُّرابَ، فيخرج، فيراني، فيقول: يا ابن عمِّ رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحقُّ أن آتيك. فأسأله عن الحديث. قال: فبقي الرَّجُلُ حتَّى رأني، وقد اجتمع النَّاسُ عليَّ، فقال: «كان هذا الفتى أعقل منِّي»^(٢).

وقال مجاهد بن جبر (وهو من أئمة التابعين) في شأنه: كان ابن عباس إذا فسَّر الشيء رأيت عليه نوراً^(٣).

وأخرج عبد الله بن أحمد بسنده إلى يزيد بن الأصم قال:
خرج معاوية حاجاً وخرج معه ابن عباس فكان لمعاوية موكب ولا ابن عباس موكب ممن يسأل عن الفقه^(٤).

وعنده أيضاً بسندٍ صحيح عن شقيق قال:

كان ابن عباس على الموسم فخطب فافتتح سورة النور فجعل يقرأ ثم يفسر فقال شيخ من الحي: سبحان الله ما رأيت كلاماً يخرج من رأس رجل لو سمعته الترك لأسلمت^(٥).

(١) يعني في وقت قيلولته (نومه ظهراً).

(٢) الدارمي في السنن (١/١٤١-١٤٢).

(٣) صحيح من قول مجاهد، أخرجه عبد الله بن أحمد في فضائل الصحابة (١٩٣٥).

(٤) فضائل الصحابة لعبد الله بن أحمد (١٩٤٧) بسندٍ صحيح.

(٥) عبد الله بن أحمد في فضائل الصحابة (١٩٤٨)، والحاكم (٣/٥٣٧).

وأخرج الطبراني بسندٍ حسنٍ عن ابن بريدة الأسلمي قال:
شتم رجل ابن عباس فقال ابن عباس: إنك لتشتمني وفي ثلاث خصال،
إني لآتي على الآية من كتاب الله عز وجل فلوددت أن جميع الناس يعلمون
ما أعلم منها، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه
فأفرح به ولعلي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من
بلاد المسلمين فأفرح وما لي به من سائمة^(١).

فجدير بنا أن نقف على أقوال ابن عباس ونتأملها ونقدمها على قول
غيره، وكيف لا والرسول ﷺ دعا له بالفقه في الدين وتعلم التأويل.
ومن هؤلاء الصحابة الأجلاء الذين لهم أقوال كثيرة في التفسير أيضاً:

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ذلكم الرجل الذي أعطاه الرسول ﷺ الراية قائلاً: «لأعطين الراية رجلاً
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه»^(٢).

ذلكم الرجل الذي دعاه رسول الله ﷺ مع فاطمة وحسناً وحسيناً قائلاً:
«اللهم هؤلاء أهلي»^(٣).

الذي قال له رسول الله ﷺ: «أذهب فإن الله سيثبت لسانك ويهدي
قلبك»^(٤).

(١) المعجم الكبير (١٠٦٢١).

(٢) البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦)، وقد روي من عدة وجوه.

(٣) مسلم (١٨٧١)، في طرق حديث (٢٤٠٤).

(٤) أحمد بسندٍ صحيح بطرقه وشواهده (المسند ١/٨٨).

ذلكم الذي قال له رسول الله ﷺ: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون إلا أنه ليس نبي بعدي»^(١).

لقد قال فيه عمر رضي الله عنه: «أقضانا علي»^(٢).

يعني: أعلمنا بالقضاء علي.

فضائله ومناقبه كثيرة جداً.

فحريُّ بنا أن نقبل على أقواله في التفسير وأن تقدم على كثير من الأقوال.

ثم هنالك من الصحب الكرام:

أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وأرضاهم وأسكنهم فسيح الجنان.

مناقبهم لا تكاد تحصى، وإن كانت أقوالهم في التفسير قليلة محصورة وهنالك أيضاً معاذ بن جبل إمام العلماء بالحلال والحرام وزيد بن ثابت عالمٌ بالفرائض وغيرهم من الصحابة جمٌ غفير.

فلما سبق حريُّ بنا وجديرٌ أن نقبل على أقوالهم تلك الأقوال المسددة والآراء الموفقة.

ثم لا يخفى أن القرآن الكريم نزل بلغتم، قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾

[الشعراء: ١٩٥]

وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]

فأقوالهم في التفسير - بلا شك - في الجملة أولى من أقوال غيرهم، وهذا

(١) البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٢) البخاري (٤٤٨١).

لا يمنع أن يجتهد أحدهم في تفسير آية فيجانبه الصواب في تفسيرها، كما صدر من عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه في تفسير الخيط الأبيض من الخيط الأسود عندما نزل قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فعمد إلى خيطٍ أبيض وخيطٍ أسود وربط هذا في رجل وهذا في رجل (١).

أو وضع تحت الوسادة كما في بعض الروايات وظلَّ يأكل ويشرب حتى يبين له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المراد بياض النهار وسواد الليل (٢).

وقد يخفى بعض المعاني على بعض الصحابة كما خفى على عائشة رضي الله عنها معنى الحساب اليسير، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨] لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من نوقش الحساب عذب» فذكرت الآية قائلة ألم يقل الله: ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك العرض» (٣).

وكما خفى على بعض الصحابة معنى الظلم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْآمَنُونَ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] فقالوا: وأينا لم يظلم نفسه يا رسول الله. فقال: «ليس بالظلم الذي تذهبون إليه ألم تقرأوا قول العبد الصالح (لقمان) ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣)»

[لقمان: ١٣]

إلى غير ذلك من الآيات أو الألفاظ التي التبس معانيها على بعض

الصحابة رضي الله عنهم.

ولكن مع هذا فهم في الجملة أفهم كتاب الله عز وجل من غيرهم
للأسباب التي قدمنا ذكرها.

ولا يمنع - في الجملة أيضًا - أن يكون هناك تابعي وفقه الله في فهم آية
ورزقه ما لم يرزق صحابياً فسر الآية بتفسير لم يصب فيه، وهذا وإن كان
قليلاً لكنه على آية حال أمر وارد والله أعلم.

هذا، ومن الدليل على أن أقوال الصحابة رضي الله عنهم ليس لها حكم المرفوع في
التفسير أنك تجد في كثير من الأحيان للصحابة أكثر من قول في تفسير الآية،
وأحياناً يكون بين الأقوال تعارض أو اختلاف.

بل قد تجد للصحابي نفسه أكثر من قول في تفسير الآية الكريمة.
وهذه أمثلة لما ورد عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم في فهم
الآيات وتأويلها.

* تفسير سلمة بن الأكوع رضي الله عنه لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ
طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] وتفسير ابن عباس لها.
أخرج البخاري بسنده إلى سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أنه قال لما نزلت:
﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ كان من أراد أن يفطر ويفتدي
حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها^(١).

قلت: فعلى هذا فمعنى الآية الكريمة: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ
مَسْكِينٍ﴾ كان في أول فرض الصيام فكان من شاء أفطر وأطعم مكان كل

يوم مسكيناً فنسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] فأصبح لزاماً على المقيم الصحيح أن يصوم فعلى ذلك فمعنى الآية الكريمة: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ أي: يستطيعون صيامه ﴿فَدْيَةٌ﴾ أي: جزاء إن هم أفطروا ﴿طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ مكان كل يوم أفطره.. ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]

أما ابن عباس رضي الله عنهما فقد ورد عنه في تفسيرها.

قول آخر، فقد أخرج الطبري عنه قال: كان الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة وهما يطيقان الصوم رخص لهما أن يفطرا إن شاءا ويطعما لكل يوم مسكيناً ثم نسخ ذلك بعد ذلك: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وثبت للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة إذا كانا لا يطيقان الصوم والحبلى والمرضع إذا خافتا^(١).

* وعن عائشة رضي الله عنها في تفسير قوله تعالى:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ [النساء: ٣] وفي قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبْنَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]

ما أخرجه البخاري ومسلم من طريق عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ﴾ فقالت: يا ابن أختي هذه

(١) صحيح وله طرق بمعناه، انظر الطبري (٢٧٥٢، ٢٧٥٣، ٢٧٥٤).

اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهنَّ إلا أن يقسطوا لهنَّ ويبلغوا لهنَّ أعلى سنتهنَّ في الصِّدَاق فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهنَّ قال عروة: قالت عائشة: وإنَّ النَّاسَ اسْتَفْتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ [النساء: ١٢٧] قالت عائشة: وقول الله تعالى في آيةٍ أُخْرَى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧] رغبة أحدكم عن يتيمة حين تكون قليلة المال والجمال قالت: فنهوا أن ينكحوا من رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهنَّ إذا كنَّ قليلات المال والجمال^(١).

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها، وكان لها عذق^(٢) وكان يمسكها عليه^(٣) ولم يكن لها من نفسه شيء فنزلت فيه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ﴾^(٤).

* وورد عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ^(١٥٧) [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

(١) البخاري (حديث (٤٥٧٦)، ومسلم (٣٠١٨).

(٢) المراد به: النخلة.

(٣) أي أنه لم يكن يرغب فيها كزوجة ولكنه أراد النخلة فقط.

(٤) البخاري (٤٥٧٣)، ومسلم (٢٣١٤).

قال: نعم العدلان ونعم العلاوة، ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ (١).
 وأقول، وبالله التوفيق: العدلان هما ﴿صَلَّاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ وهما
 بمنزلة الحملين (الثقلين) يوضع كل واحد منهما في ناحية من الجمل،
 والعلامة وهي ما يوضع على السنام والمعنى: أن الصلوات من الرب
 تعادل قولهم: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ والرحمة تعادل قولهم: ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة:
 ١٥٦] فأعطوا ما يعادل قولهم ثم زيدوا بعلامة وهي: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُهْتَدُونَ﴾ (١٥٧) [البقرة: ١٥٧]

والمعنى: أنهم أعطوا ثواب أعمالهم وزيدوا أيضاً.

* ومن الوارد عن الصحابة في التفسير كذلك ما ورد عن عمر وابن عباس
 ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (١) [النصر: ١] وقد
 تقدم ما حاصله أن ابن عباس قال في تفسيرها: هو أجل رسول الله ﷺ
 أعلمه الله إياه إذا جاء نصر الله، والفتح فتح مكة فذاك علامة أجلك فسبح
 بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً.

قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم (٢).

وهذا بابٌ واسع جداً لو استقصيناه لتتجت عنه مجلدات عظام.
 وإنما أشرت إشارات فقط وبالله التوفيق.

* * *

(١) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب الجنائز (مع الفتح ٣/ ٢٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٩٤).

هل تفسير الصحابي له حكم المرفوع إلى رسول الله ﷺ؟

الوجه الذي أراه حقاً في ذلك أن تفسير الصحابي الذي ليست فيه إشارة إلى أن النبي ﷺ قاله، ليس له حكم المرفوع إلى رسول الله ﷺ وقد استثنى بعض العلماء ما كان سبباً للنزول، لنزول الآية الكريمة كأن يقول الصحابي فعلنا كذا فنزل قوله تعالى كذا، فقالوا: لأن الصحابي ناقل حينئذٍ، وهو ثقة فلا يرد قوله ويكون سبب النزول المذكور داخلاً في الآية الكريمة وقال آخرون أيضاً:

تفسير الصحابي الذي ليس للرأي ولا للاجتهاد فيه مجال له حكم المرفوع كالحديث عن أهوال القيامة وأحوالها والأمور الغيبية ونحو ذلك، وأن يكون من روى ذلك ليس من المعروفين برواية الإسرائيليات. واعترض على هذا بأنه وإن لم يكن معروفاً برواية الإسرائيليات إلا أنه قد يكون أخذها عنهم ولا نستطيع الجزم بأن رسول الله ﷺ قد قالها والأسلم - والله أعلم - أن الذي قاله الصحابي نذكره عن الصحابي ولا نتكلف رفعه إلى رسول الله ﷺ.

هذا، وقد وردت بعض الآثار في التفسير عن صحابة رسول الله ﷺ تشعر بأن لها حكم المرفوع إلى النبي ﷺ كالوارد في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْفَعُونَ ﴾ (١١٩)

أخرج مسلمٌ عن مسروق قال:

سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ

عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [١٣٩] [العمران: ١٦٩].

قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها

قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك

القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعةً فقال: هل تشتهون شيئاً؟^(١) قالوا: أي

شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا. ففعل ذلك بهم ثلاث مرات،

فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في

أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة

تركوا»^(٢).



(١) قال النووي رحمه الله (٥ / ١ / ٣٣): قوله ﷺ: «فقال لهم الله تعالى: هل تشتهون شيئاً؟» هذا

مبالغة في إكرامهم وتعظيمهم، إذ قد أعطاهم الله ما لا يخطر على قلب بشر، ثم رغبهم في سؤال الزيادة، فلم يجدوا مزيداً على ما أعطاهم، فسألوه حين رأوه أنه لا بد من سؤال أن يرجع أرواحهم إلى أجسادهم ليجاهدوا ويبدلوا أنفسهم في سبيل الله تعالى، ويستلذوا بالقتل في سبيله تعالى. والله أعلم.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٨٨٧).

المفسرون من التابعين

هذا، وصحابة رسول الله ﷺ الذين عرفوا بالتفسير انتقلوا للأمصار وتعلم منهم أهل الأمصار.

• فابن مسعود رضي الله عنه انتقل إلى الكوفة وأخذ عنه أهلها كعلقمة ومسروق بن الأجدع وغيرهما ومن بعدهم أخذوا عنهم كإبراهيم النخعي، وقتادة وهو من أشهر المفسرين، والحسن البصري ومرة الطيب الهمداني، والضحاك وغيرهم.

• وابن عباس رضي الله عنهما كان بمكة، وأخذ عنه مجاهد بن جبر وسعيد بن جبيرة وعطاء وعكرمة وغيرهم.

• وعلماء المدينة من الصحابة في التفسير أخذ عنهم زيد بن أسلم وأبو العالية الرياحي وغيرهما.

• وكان من المفسرين بمصر يزيد بن أبي حبيب والليث بن سعد، وأبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني وغيرهم.

• وكان بالشام من المفسرين عمر بن عبد العزيز وعبد الرحمن بن غنم الأشعري ورجاء بن حيوة وغيرهم.

• وكان باليمن من المفسرين طاووس بن كيسان رحمه الله تعالى وغيره. وثم مفسرون آخرون اشتهروا بالتفسير لا يتسع المقام لذكرهم وقد ملئت بأقوالهم كتب التفاسير.

تعريف الإسرائيليات

الإسرائيليات: هي الأخبار المنسوبة إلى بني إسرائيل والتي يتناقلونها ويتداولونها، ومنها أخبار يذكرونها عن الله عز وجل أو عن أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وعن الجنة والنار والقبر والحساب والثواب والعقاب والشمس والقمر والنجوم والجبال، وأخبار يفسرون بها الآيات إلى غير ذلك.

أما عن بني إسرائيل، فإسرائيل عليه السلام هو نبي الله يعقوب صلوات الله وسلامه عليه، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [آل عمران: ٩٣] وبنو إسرائيل هم: يوسف عليه السلام وإخوته ونسلهم وذرياتهم، ويدخل فيهم نبي الله موسى عليه السلام وأخوه هارون كذلك فمن بعدهم أيضًا من نسلهم وذرياتهم، ومنهم داود عليه السلام وابنه سليمان عليه السلام، وكذا الموجودون في مدينة رسول الله ﷺ وحولها وذرياتهم، ومن بني إسرائيل صفية بنت حيي أم المؤمنين رضي الله عنها فهي إسرائيلية ولا تزال منهم إلى الآن طائفة. ولا شك أن منهم الصالحون، ومنهم دون ذلك.

قال تعالى في ذرية إبراهيم وإسحاق - والذين منهم إسرائيل عليه السلام وذريته -: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ [الصفات: ١١٣]

هذا، ومن الإسرائيليين من أسلم وصدق برسالة النبي ﷺ في زمان

رسول الله ﷺ وصدق بالرسول عليه الصلاة والسلام كعبد الله بن سلام
رضي الله عنه وغيره.

هذا، وقد كثر الأنبياء في بني إسرائيل، فكما قال النبي ﷺ: «كانت بنو
إسرائيل تسوسهم أنبياءهم، كلما هلك نبي خلفه آخر...».
وأيضاً فقد أنزل الله عز وجل لبني إسرائيل كتباً على أنبيائهم عليهم
الصلاة والسلام.

كالتوراة التي نزلت على موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا
التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ
وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾ [المائدة: ٤٤] (١).
• وأنزل الزبور على داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا
﴿٥٥﴾ [الإسراء: ٥٥].

• والإنجيل أنزله الله على عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ
الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦].
وتم كتب آخر وأسفار أجمل القول فيها وأجمل ذكرها في كتاب الله عز وجل.
وأيضاً فقد اشتهر التلمود، وهي مجموعة وصايا ومواعظ وشروح
وتفاسير يتناقلها الإسرائيليون وقد دونوها ووصفوها في كتاب أطلقوا عليه
التلمود.

(١) وقد ذكر الله سبحانه مما أنزل على موسى عليه السلام الألواح وصحف موسى فهل التوراة
والألواح وصحف موسى ثلاث مسميات لشيء واحد وهو التوراة؟! أم أنها ثلاث مسميات
لثلاثة أشياء أوتاهها موسى عليه السلام. ففي ذلك وجهان للعلماء.

هذا، وقد أنزل الله عزَّ وجل كتابه الكريم على نبيه الأمين محمد عليه أفضل صلاة وأتم تسليم وذكر فيه طائفة من الأخبار عن بني إسرائيل، وستر عليهم ولم يفضحهم بكل ما صنعه الطغاة منهم، بل ذكر بعضه وعفا عن بعض - أي ستر عن بعض - قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥] أي: ويستر على كثير مما فيه فضائح لكم سترًا عليكم وإن كانوا قد ذكروا ببعض العقوبات التي حلَّت بأجدادهم وأسلافهم كالذين مسخوا إلى قردة وخنازير بسبب عصيانهم وعنادهم!

وذكروا أيضًا بالتيه الذي ضرب عليهم كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦] وغير ذلك.

لكن ستر الله عليهم ولم يبين عقوبات آخر أهلها بهم، وقد قال عزَّ وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُضُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦] ولم يقل كل الذي هم فيه يختلفون.

هذا، وقد أخبرنا الله عزَّ وجل في كتابه الكريم المنزل على نبيه الأمين أن أهل الكتاب قد بدلوا وحرفوا وغيروا في المنزل من عند الله كالتوراة والإنجيل، فقال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦] وقال: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١].

وقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا

هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ [آل عمران: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩] ، ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٨﴾

[آل عمران: ٧٨]

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء
وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث تقرؤونه محضاً لم يشب
وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم
الكتاب وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً.. الأثر^(١).

هذا، وقد ذكر نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه فيما ثبت عنه
بالسند الصحيح طائفة من الأخبار عن بني إسرائيل، وهذا بلا شك مقبول
ما دام السند قد صحَّ به فرسولنا صلوات الله وسلامه عليه لا ينطق عن
الهُوَى.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ﴿٤﴾ [النجم: ٣-٤].

ومما ذكره النبي ﷺ في هذا الصدد حديث الثلاثة أصحاب الغار الذين
انطبقت على فم غارهم صخرة وتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم^(٢)،
وحديث الأقرع والأبرص والأعمى الذين ابتلاهم الله عزَّ وجلَّ^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٧٣٦٣).

(٢) وقد أخرجه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

هذا، وإذا كان هذا شأن فريق من الذين أوتوا الكتاب، وأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه وينسبون إلى الله ما لم يقله عن عمدٍ وعن قصد كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] فهذا الفريق الذي استجاز التحريف والتبديل، عمد إلى نسبة أقوال قالها البشر ولم يقلها الله عزَّ وجلَّ.

فنسبوا إلى الله ما لم يقله.

ونسبوا إليه فعل ما لم يفعله.

ونسبوا إلى رسل الله أقوالاً لم يقولوها.

وأفعالاً لم يفعلوها، فطعنوا بها في الأعراض، أعراض من الأنبياء والمرسلين، وشوهوا بها صورهم وسيرهم، بل ووصفوا رب العباد عزَّ وجلَّ وتعالى عما يقولون، وصفوه بشر الأوصاف فهم الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] وهم الذين قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ وَلِيُعْنُوا إِيَّاهُ قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

فكان لزاماً، وبعد الذي ذكر - أن نتفطن وأن نتنبه لهذه الإسرائيليات، وننظر الصحيح منها ويعتمد، ونبين الباطل المفترى المكذوب فيرفض حتى لا تلتبس الأقوال وتضيق الأديان وتتضارب الأفهام.

والذي يعينني في هذا المقام الإسرائيليات التي فسَّر بها البعض آيات الكتاب العزيز فأقول، وبالله التوفيق:

إن أهل العلم لهم ثلاث اتجاهات في هذا، كما هو المعهود في كثير من

المسائل يكون هناك طرفان ووسط فريق يرفض الإسرائيليات تمامًا ولا يرويها ولا يذكرها على سبيل الاستشهاد بها.

وفريق يتوسع في إيرادها، بل وفي إيراد ما ضعف سنده أيضًا منها. أما الوسط فيرى ذكرها وقبول الصحيح الذي يشهد له الكتاب العزيز والسنة المباركة، ورفض المخالف لذلك وبيان وهانه وضعفه.

أما عن تقسيم الإسرائيليات:

فينبغي ابتداءً أن أذكر بأن هناك أخبارًا كثيرةً في شأن بني إسرائيل ذكرت في الكتاب العزيز وفي السنة المباركة الثابتة الصحيحة، فكل الآيات التي فيها ذكر بني إسرائيل داخله في الباب، وكذا أخبار نبي الله موسى عليه السلام مع قومه وكذا أنبياء بني إسرائيل، فيدخل في ذلك قصة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧].

ويدخل في ذلك قصة القرية التي كانت حاضرة البحر، والتي اعتدى أهلها في السبت. كما في قوله تعالى: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ...﴾ [الأعراف: ١٦٣].

ويدخل في ذلك قصة طالوت وجالوت المذكورة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [البقرة: ٢٤٦].

ويدخل في ذلك قصة موسى مع الخضر، وقصة قارون وكذلك قصة موسى عليه السلام مع السامري وغير ذلك من القصص والأخبار.

وكذلك الأحكام والتكاليف منها شيء كثير كقوله تعالى: ﴿وَكَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ...﴾ [المائدة: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿فِيُظَلِّمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِيتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠].

وكقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمْ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

وكذلك المذكور في شأن بني إسرائيل عموماً كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥].
إلى غير ذلك.

فكل هذا ليس بداخل في الذي نريده من البحث هاهنا، إذ كل هذا المذكور مسلمٌ به ولا مناص ولا محيد عن قبول تلك الأخبار بل لزاماً أن تقبل وتصدق فهي من القرآن والإيمان بها إيمان بالقرآن وتكذيبها تكذيب للقرآن.

وأيضاً فهناك عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ في هذا الصدد أخرج البخاري كمّاً كبيراً منها ما أخرجه البخاري^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:
أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصٌ وَأَقْرَعٌ وَأَعْمَى بَدَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَاتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ

(١) حديث (٣٤٦٤).

إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ وجلدٌ حسنٌ قد قدرني النَّاسُ قال: فمسحه فذهب عنه فأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا فقال: أيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل أو قال: البقر - هو شكٌّ في ذلك إنَّ الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل وقال الآخر: البقر - فأعطي ناقهٗ عشراء فقال: يبارك لك فيها وأتى الأقرع فقال: أيُّ شيء أحبُّ إليك قال: شعرٌ حسنٌ ويذهب هذا عني قد قدرني النَّاسُ قال: فمسحه فذهب وأعطي شعرا حسنا قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر قال: فأعطاه بقرةٗ حاملا وقال: يبارك لك فيها وأتى الأعمى فقال: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: يردُّ الله إليَّ بصري فأبصر به النَّاسُ قال: فمسحه فردَّ الله إليه بصره قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنم فأعطاه شاةً والدَّا فأنج هذا ن ولد هذا فكان لهذا وادٍ من إبلٍ ولهذا وادٍ من بقرٍ ولهذا وادٍ من غنمٍ ثمَّ إنَّه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجلٌ مسكينٌ تقطَّعت به الجبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلاَّ بالله ثمَّ بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغيراً أتبلِّغ به في سفري فقال له: إنَّ الحقوق كثيرةٌ فقال له: كأنني أعرفك ألم تكن أبرص يقدرك النَّاسُ؟ فقيرا فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابرا عن كابرٍ فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا فردَّ عليه مثل ما ردَّ عليه هذا فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت وأتى الأعمى في صورته فقال: رجلٌ مسكينٌ وابن السبيلٍ وتقطَّعت به الجبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلاَّ بالله ثمَّ بك أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاةً أتبلِّغ بها في سفري وقال له: قد كنت أعمى فردَّ الله بصري وفقيرا فقد أغناني

فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته الله فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتكم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبك».

ومنها حديث ابن عمر رضي الله عنهما:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بينما ثلاثة نفرٍ ممَّن كان قبلكم إذ أصابهم مطرٌ فأووا إلى غارٍ فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعضٍ: إنَّه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصَّدق فليدع كلُّ رجلٍ منكم بما يعلم أنَّه قد صدق فيه فقال واحدٌ منهم: اللهمَّ إن كنت تعلم أنَّه كان لي أجيرٌ عمل لي على فرقٍ من أرزٍ فذهب وتركه وأني عمدت إلى ذلك الفرق فزرعته فصار من أمره أنني اشتريت منه بقراً وأنه أتاني يطلب أجره فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فسقها فقال لي: إنَّما لي عندك فرقٌ من أرزٍ فقلت له: اعمد إلى تلك البقر فإنَّها من ذلك الفرق فساقها فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنا فانساخت عنهم الصَّخرة فقال الآخر: اللهمَّ إن كنت تعلم أنَّه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كلَّ ليلةٍ بلبنٍ غنمٍ لي فأبطأت عنهما ليلةً فجئت وقد رقدوا وأهلي وعيالي يتضاغون من الجوع فكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي فكرهت أن أوظهما وكرهت أن أدعهما فيستكنا لشربتهما فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنا فانساخت عنهم الصَّخرة حتى نظروا إلى السماء فقال الآخر: اللهمَّ إن كنت تعلم أنَّه كان لي ابنة عمٍّ من أحبِّ النَّاس إليَّ وأني راودتها عن نفسها فأبت إلا أن آتيها بمائة دينارٍ فطلبتها حتى قدرت فأتيها بها فدفعتها إليها فأمكننتني من نفسها فلما قعدت بين رجلها فقالت: اتَّق الله ولا

تفضَّ الخاتم إلا بحقه فمتمت وتركت المائة دينارٍ فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنا ففرِّج الله عنهم فخرجوا»^(١).

وما أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «كان في بني إسرائيل رجلٌ قتل تسعةً وتسعين إنساناً ثم خرج يسأل فأتى راهباً فسأله فقال له: هل من توبةٍ؟ قال: لا فقتله فجعل يسأل فقال له رجلٌ: ائت قرية كذا وكذا فأدر كره الموت فناء بصدرة نحوها فاخصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقرّبي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وقال: قيسوا ما بينهما فوجد إلى هذه أقرب بشبرٍ فغفر له»^(٢).

وما أخرجه البخاري أيضاً من حديث:

أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «بينما كلبٌ يطيف بركبةٍ كاد يقتله العطش إذ رأته بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته فغفر لها به»^(٣).

وأورد البخاري أحاديثٍ أخرى في باب ما ذكر عن بني إسرائيل في كتاب

الأنبياء من صحيحه، ومنها حديث:

أبي هريرة رضي الله عنه قال: صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصُّبح ثم أقبل على النَّاسِ فقال: «بينما رجلٌ يسوق بقرةً إذ ركبها فضربها فقالت: إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث» فقال النَّاسُ: سبحان الله بقرةٌ تكلم؟ فقال: «فإنِّي أومن

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٥).

(٢) البخاري (٣٤٧٠).

(٣) البخاري (٣٤٦٧).

بهذا أنا وأبو بكرٍ وعمر» - وما هما ثمَّ - «وبينما رجلٌ في غنمه إذ عدا الذَّبُّ فذهب منها بشاةٍ فطلب حتَّى كأنَّه استنقذها منه فقال له الذَّبُّ: هذا استنقذتها مِنِّي فمن لها يوم السَّبْعِ يوم لا راعي لها غيري؟» فقال النَّاسُ: سبحان الله ذبُّ يتكلَّم؟ قال: «فإني أومن بهذا أنا وأبو بكرٍ وعمر» وما هما ثمَّ^(١).

وحديث أبي هريرة أيضًا:

قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: «اشترى رجلٌ من رجلٍ عقارًا له فوجد الرَّجُلَ الَّذِي اشترى العقار في عقاره جرَّةً فيها ذهبٌ فقال له الَّذِي اشترى العقار: خذ ذهبك مِنِّي إنَّما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب وقال الَّذِي له الأرض: إنَّما بعتك الأرض وما فيها فتحاكما إلى رجلٍ فقال الَّذِي تحاكما إليه: ألكما ولدٌ قال أحدهما: لي غلامٌ وقال الآخر: لي جاريةٌ قال: أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدَّقا»^(٢).

وحديث أبي سعيد الخدري كذلك:

عن النَّبِيِّ ﷺ: «أنَّ رجلاً كان قبلكم رَغِسَهُ اللهُ مالاً فقال لَبْنِيهِ لَمَّا حَضَرَ: أَيُّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قالوا: خَيْرُ أَبٍ قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَإِذَا مِتُّ فَأَحْرَقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُونِي فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتِكَ فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ»^(٣).

وأورد أحاديثٍ أُخْرَى كَثِيرَةً مِنْ هَذَا النَّوْعِ فِي هَذَا الصَّدَدِ.

(١) البخاري (٣٤٧١).

(٢) البخاري (٣٤٧٢).

(٣) البخاري (٣٤٧٨).

فهذه الأحاديث وغيرها ليست هي المرادة بالبحث:

إنما المراد بالبحث الإسرائيليات التي رواها الصحابة والتابعون فمن بعدهم في تفسير آيات الكتاب العزيز ، وكذا التي رواها بعض أهل الكتاب الذين أسلموا.

فهذه على ثلاثة أقسام:

• القسم الأول: منها الموافق لكتاب الله عزَّ وجل ولسنة رسوله ﷺ الثابتة الصحيحة ويذكر للاستشهاد به ولإقامة الحجة على أهل الكتاب به، وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٣﴾﴾

[آل عمران: ٩٣].

• ووجه هذا أن بني إسرائيل في زمان رسول الله ﷺ كانوا يكذبون ويقولون ما عوقب آباؤنا ولا أجدادنا ولم يحرمه الله عليهم من شيء، بل كانت الأشياء المحرمة كالوارد في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾

[الأنعام: ١٤٦].

كانت هذه الأشياء محرمة من زمن يعقوب عليه السلام: (الذي هو إسرائيل) وما بغينا وما حرم علينا شيء، فكذبهم الله بقوله: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۗ﴾

[آل عمران: ٩٣]

فنزلت التوراة وفيها تحريم بعض الأشياء على بني إسرائيل بسبب
 بغيهم، وهذا مثبت في التوراة التي لم تحرف ولم تغيّر ولم تبدل ومن ثمّ
 قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَآتَلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٣﴾ [آل عمران: ٩٣].
 ومن هذا الباب طلب النبي ﷺ التوراة للاحتجاج على اليهود بما فيها
 من رجم الزانين اللذين زنيا.

فأقول، وبالله تعالى التوفيق إن هذا القسم من الإسرائيليات الموافق
 لكتاب الله عزّ وجلّ ولسنة رسول الله ﷺ وصح به السند إلى قائله، وقائله
 لا يعرف بالكذب فهذا مقبول ويحدّث به.

والشاهد لذلك قول النبي ﷺ: «بلغوا عني ولو آية وحدّثوا عن بني
 إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

• القسم الثاني: ما علم بطلانه، ودلّ على بطلانه كتاب الله عزّ وجلّ
 وكذا سنة رسول الله ﷺ، فعلمنا بذلك كذبه ومخالفته للقواعد الكلية في
 الشريعة، ولمخالفته ما دل عليه كتاب الله عزّ وجلّ ودلّت عليه سنة رسول
 الله ﷺ، فهذا بلا شك مرفوض ولا ينقل ولا يتداول ولا يحدث به كتلك
 الإسرائيليات التي فيها طعن في الأنبياء واتهامهم افتراءً وكذباً فهذا لا
 يحدث به ففي التحديث به ضررٌ عظيم.

ويلحق بهذا القسم ما كانت الأحاديث والآثار التي أسانيدھا تالفة
 ومكذوبة وموضوعة فلا يجوز التحديث بمثل هذا إلا مع بيان بطلانه
 وكذبه وافتراءه.

أما القسم الثالث من الإسرائيليات فهو الذي لا يصدقه شيء من الكتاب العزيز صراحةً ولا يكذبه فمن أهل العلم من رأى الإعراض عنه؛ لأن كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ فيهما غنية وكفاية. واحتجوا لذلك بما أورده البخاري في صحيحه^(١).

وعن معاوية رضي الله عنه كذلك أنه حدث رهطاً من قريش بالمدينة وذكر كعب الأبحار فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب، أخرجه البخاري^(٢).
ومن أهل العلم من جَوَّز إيرادها وذكرها مع عدم تصديقها وتكذيبها، وذلك لقول النبي ﷺ: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»^(٣).
ولقول النبي ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم...»^(٤).

أمثلة للإسرائيليات

هذا، وكثير من الإسرائيليات المذكورة في كتب التفاسير إنما هي في أبواب القصص:

* كالوارد في قصة آدم عليه السلام مع حواء عليها السلام ومن الذي أغوى صاحبه بالأكل من الشجرة ومن الذي وسوس له الشيطان أولاً واسم

(١) البخاري (مع الفتح ١٣/٣٤٥، حديث ٧٣٦٣).

(٢) البخاري (٧٣٦١).

(٣) البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٤) البخاري (٧٣٦٢).

الشجرة التي أكل منها.

* وكالوارد في قصة ابن آدم الأول وكيف قتل أخاه وماذا فعل آدم عليه السلام بعد القتل وكذا ماذا فعلت حواء عليها السلام، وكيف كان الدفن.

* وكالوارد في صفة سفينة نوح عليه السلام.

* وكالوارد في قصة نبي الله يوسف الصديق عليه السلام، وخاصة عند

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهٖ﴾ [يوسف: ٢٤] وتفسير الهمّ وتفسير البرهان.

* وكالوارد في قصة ذي القرنين، وكذلك الوارد في وصف يأجوج

ومأجوج وصفة خلقهم.

* وكالوارد في قصة أصحاب الكهف وقبائلهم وعشائرهم وكالوارد في

اسم الشجرة التي حكم الله موسى عندها وكالوارد في صفة القوم الجبارين في زمن موسى عليه السلام.

* وكالوارد في صفة التيه المضروب على بني إسرائيل.

* وكالوارد في قصة طالوت وجالوت من التفصيل في ذلك.

* وكالوارد في قصة قتيل بني إسرائيل والجزء المضروب به من البقرة.

* وكالوارد في صفة التابوت والسكينة وكيف جاء التابوت.

* وكالوارد في قصة داود عليه السلام عند دخول الخصوم عليه ولماذا

دخلوا.

* وكالوارد في صفة ملك سليمان عليه السلام وصفة عرش ملكة سبأ

وصفة الهدية المهداة من ملكة سبأ لسليمان عليه السلام، وكذلك الجسد الملقى على كرسي سليمان عليه السلام.

* وكالوارد في صفة المائدة التي أنزلها الله عز وجل على عيسى عليه السلام لما دعا لقومه بها .

* وكالوارد في قصة أيوب عليه السلام من التفاصيل .

* وكالوارد من التفاصيل في الإفساد الذي سيفسده بنو إسرائيل مرتين .

إلى غير ذلك من القصص والتفاصيل التي فيها .

* وكذلك من الإسرائيليات أخبار تذكر في صفة يوم القيامة وصفة الجنة والنار وعمر الدنيا وكم مضى منها وكم بقى وكذا أخبار تتعلق ببدء الخلق وصفة الخلق كتفسير ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

إلى غير ذلك .

وكلها كما ترى أخبارٌ ليس لها كبير تأثيرٍ في الأحكام بل ويمكن الاستغناء بالقرآن الكريم والسنة الصحيحة عنها جميعاً لما اعترأها من خرافات وترهات وأباطيل ومخالفات في كثير من الأحيان .

وكذا فليس من ورائها كبير طائل، فما فائدة تسمية كلب أهل الكهف مثلاً أو تسمية قبائلهم وعشائرهم وتحديد بلادهم والخوض فيما لا دليل عليه من ذلك؟

وكذا ما فائدة تسمية الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام أو الشجرة التي كلم الله موسى عندها أو الشجرة الأخرى الملعونة في القرآن، ما فائدة

ذلك ولم يذكرها الله سبحانه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ﴿٦٤﴾ [مریم: ٦٤]، وكذا لم يذكرها نبي الله ﷺ، وكذا فإنه لم يجمع عليها العلماء، بل إنها أخبارٌ متناقضة في كثير من الأحيان ففي الباب الواحد ترى عدة أخبار. وكذا فكثيرٌ منه لا يثبت سنده إلى قائله .

ولولا حديث النبي ﷺ: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» لكان الحكم يخر في شأن هذه الإسرائيليات، وعلى كل فليس قوله صلوات الله وسلامه عليه عليه حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج بمجوز أن تحدث عنهم ما يكذبه الله عز وجل في القرآن الكريم أو يخالف ما في الكتاب العزيز وكذا فإنه ليس بمجوز لنا أن نتحدث بشيء يخالف سنة النبي ﷺ. والله أعلم.

عُلَمَاءُ عُرِفُوا بِرَوَايَةِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ

هذا، وقد عرف بعض العلماء من الصحابة والتابعين برواية الإسرائيليات منهم عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه فيذكر أنه وجد زاملتين من زوامل أهل الكتاب فكان يحدث بما فيهما في بعض الأحيان وكذلك فقد كان يحدث بشيء من ذلك عبد الله بن سلام رضي الله عنه الذي كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه وكذا تميم الداري رضي الله عنه الذي كان نصرانياً فأسلم.

وكذلك ممن عرفوا بذلك كعب الأحبار ووهب بن منبه ومحمد بن

كعب وغيرهم.

وغير هؤلاء أيضاً كثير.

الأصل الرابع من أصول التفسير

تفسير القرآن الكريم بما تقتضيه لغة العرب

فقد نزل القرآن الكريم بهذه اللغة، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ

عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾ [الشعراء: ١٩٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ٢].

وقوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧].

وقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [طه: ١١٣].

وقال سبحانه: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر: ٢٨].

وقال عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الشورى: ٧].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣].

وقال سبحانه: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِمَا نَزَّلْنَا مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ﴾ [الأحقاف: ١٢].

وكتاب الله عز وجل يفسر بالغالب المشهور من فقه العرب لا بالنادر

المهجور، إلا إذا دعت ضرورة إلى غير ذلك.

قال الإمام الشاطبي: إِنَّمَا يَصِحُّ فِي مَسَلِكِ الْأَفْهَامِ وَالْفَهْمِ مَا يَكُونُ عَامًّا

لجميع العرب، فلا يتكلف فيه فوق ما يقدرون عليه بحسب الألفاظ

والمعاني، فَإِنَّ النَّاسَ فِي الْفَهْمِ وَتَأْتِي التَّكْلِيفُ فِيهِ لَيْسُوا عَلَى وَزَانٍ وَاحِدٍ

وَلَا مُتَقَارِبٍ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَتَقَارَبُونَ فِي الْأُمُورِ الْجُمْهُورِيَّةِ وَمَا وَالِهَا.

فيلزم أن ينزل فهم الكتاب والسنة، بحيث تكون معانيه مشتركة لجميع

العرب، ولذلك أنزل القرآن على سبعة أحرف^(١).

واشتركت فيه اللغات حتى كانت قبائل العرب تفهمه.

وقال الطبري رحمه الله:

إنما يوجه الكلام إلى الأغلب المعروف في استعمال الناس من معانيه، دون الخفي، حتى تأتي بخلاف ذلك مما يوجب صرفه إلى الخفي من معانيه حجة يجب التسليم لها من كتاب، أو خبر عن الرسول ﷺ، أو إجماع من أهل التأويل اهـ^(٢).

وقال في موضع آخر:

إن الكلام إذا تنوزع في تأويله، فحملة على الأغلب الأشهر من معناه أحق وأولى من غيره، ما لم تأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها اهـ^(٣).

وقال الطبري رحمه الله في تفسير التنور:

وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله: ﴿التَّنُورُ﴾، قول من قال: «هو التنور الذي يخبز فيه»، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها. وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به، لإفهامهم معنى ما خاطبهم به^(٤). اهـ.

(١) الموافقات (٢/ ٨٥-٨٦).

(٢) تفسير الطبري (ط. شاکر) (٧/ ٥٠٩).

(٣) الطبري (٧/ ٢٢١).

(٤) الطبري (١٢/ ٤٠).

وقال ابن القيم رحمه الله:

للقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه، فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ بل أعظم، فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي يعجز عنها قدر العالمين، فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به، بل غيرها أعظم منها وأجل وأفخم، فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي فتدبر هذه القاعدة، ولتكن منك على بال، فإنك تنتفع بها في معرفة ضعف كثير من أقوال المفسرين وزيفها وتقطع أنها ليست مراد المتكلم تعالى بكلامه، وسنزيد هذا إن شاء الله تعالى بياناً وبسطاً في الكلام على أصول التفسير، فهذا أصل من أصوله بل هو أهم أصوله اهـ^(١).

ومن الذي يتنزل عليه ما ذكر تفسير البرد في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا

بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبا: ٢٤].

فالبرد على ما اشتهر من كلام العرب ما تبرد به الأجسام والأجواف والأجواء من ماءٍ باردٍ أو هواء بارد ونحو ذلك.

لكن ذهب بعض المفسرين إلى أن البرد هو النوم واحتج لذلك بما ورد

في بعض الأشعار.

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٢٧-٢٨).

بردت مرأشفا عليّ فصدني عنها وعن قبلاتها البر

وهذا، وإن كان له وجهٌ لكن تفسيره البرد بالمشهور أولى من تفسيره بالنادر المهجور.

ومن ذلك كلمة (قال):

فالغالب من استعمالها أنها قول باللسان وقد تأتي ويراد بها شيء آخر، أي يراد بها الحركة أو العمل كقول القائل قال برجله، قال بيده فلا تخرج عن مسماها إلا إذا قيدت وكذلك فالغالب من استعمالها أنها تكون نطقاً مسموعاً، وإذا كانت في النفس قيدت، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ نُوَلَّا يَعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨].

ومما يدخل في هذا الباب باب تعدد معاني الكلمة الواحدة معاني الهداية.

فالهداية أو الهدى يأتيان بمعان منها:

* هداية الدلالة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٢)

[الشورى: ٥٢] أي: إنك لتدل وترشد إلى الصراط المستقيم.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا نُمُودٌ فَهَدَيْتَهُمْ﴾ [فصلت: ١٧] أي: فدللناهم إلى

طريق الحق فاستحبوا العمى على الهدى.

وأيضاً ﴿وَهَدَيْتَهُ التَّجْدِينَ﴾ [البلد: ١٠] بينا له طريق الخير وطريق

الشر.

* أما الهداية بالمعنى الآخر فهداية التوفيق، ومنها إنك لا تهدي من

أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين.

فهداية التوفيق من الله عز وجل لا يملكها أحدٌ سواه.

* وكلمة (الآل):

قد تطلق على الأهل أحياناً (الزوجة).

وقد تطلق على أهل بيت الرجل عموماً.

وقد تطلق على الأتباع.

وآل رسول الله ﷺ لأهل العلم فيهم أقوال:

أحدهما: من حرّمت عليهم الصدقة لقول رسول الله ﷺ: «إنا آل محمد

لا نأكل الصدقة إنما هي أوساخ الناس»^(١).

وأحياناً تطلق الآل على الأتباع، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ

فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ [غافر: ٤٦]

وقد تطلق على الأزواج والذرية ففي الحديث: «اللهم صل على محمد

وأزواجه وذريته»^(٢)، وفي الحديث الآخر: «اللهم صل على محمد وعلى آل

محمد»^(٣)، فهذا يفسر ما قبله.

وأحياناً تطلق على الأتقياء من أمته.

* ومن هذا الباب (كلمة):

فهذه تطلق على الكلمة الواحدة (اللفظة الواحدة) كما يقول القائل:

تكلّمت كلمة واحدة (يريد لفظة واحدة)، وقالت قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في

(١) أخرجه البخاري ()، ومسلم ().

(٢) أخرجه مسلم (٤٠٧)، والبخاري (٦٣٦٠).

(٣) أخرجه مسلم (٤٠٥).

حديث الإفك في شأن صفوان بن المعطل السلمي: فوالله ما تكلم بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه أي (قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون) فتطلق الكلمة على اللفظة أحياناً وعلى مجموعة الكلمات أحياناً.

قال تعالى: ﴿ حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

فجعل كل الذي قاله (كلمة) وكما يقول القائل (سألقي كلمة). ويريد مجموعة كلمات وكما في قول العلماء إن كلمة التقوى هي: (لا إله إلا الله). وكثيراً ما يتعدد المراد بالكلمة الواحدة أي أن الكلمة الواحدة في الكتاب العزيز قد تأتي بأكثر من معنى ويفهم معناها من السياق الذي وردت فيه.

* فمن ذلك كلمة (أمة):

قد تأتي بمعنى ملة.

قال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [البقرة: ٢١٣].

أي على ملة واحدة، قيل: هي الكفر ونحوها قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّوْنَا يَكُونُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [الزخرف: ٣٣].

أي على ملة واحدة وهي الكفر.

وقوله تعالى - على قول كثير من المفسرين -: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً

وَاحِدَةً ﴾ [الأنبياء: ٩٢] أي ملتكم ملة واحدة وهي الإيمان.

* وقد تأتي بمعنى جماعة من الناس:

كما في قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقد تأتي بمعنى مدة زمنية:

كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥].

وقد تأتي وتطلق على الرجل الحنيف العاقل.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠].

هذا، وإن كان يمكن رد المعاني إلى بعضها، وهي الشيء الكثير.

ومن ذلك كلمة العزة: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾

[المنافقون: ٨]

وقال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

فمن معانيها هنا القهر والغلبة والعلو والرفعة.

أما قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ شِقَاقِي﴾ [ص: ٢].

فمعناها: في حمية واستكبار عن قبول الحق.

* ومن ذلك كلمة (العدل):

في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾

[النساء: ١٢٩]

فالعدل في الآية الأولى المراد به: العدل في المبيت، وكذا (عند كثير من

أهل العلم) في الإنفاق .

والعدل في الآية الثانية العدل في المحبة القلبية والجماع، فهذا لا يستطاع.

* ومن ذلك كلمة السيئة قد تطلق على الكفر:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

﴿٢٧﴾ [يونس: ٢٧]

ولا خلود إلا مع الكفر.

وقد تطلق على الكبيرة:

قال تعالى في شأن قوم لوط: ﴿ وَمَنْ قَبُلْ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود: ٧٨]

وقد تطلق على الصغيرة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا

نُهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١]

وإن كان يمكن رد المعاني إلى معنى واحد وهو ما يسيء صاحبه.

* ومن ذلك كلمة (التقوى).

ذكر البعض لها معان:

أحدها: أن التقوى: التوحيد وهو الذي يتقى به من العذاب.

وقال آخرون: التقوى الخوف من الجليل والرضا بالقليل والعمل

بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل.

وقال آخرون: العمل الصالح.

وقال آخرون: هي لا إله إلا الله وكل ذلك راجع إلى معنى واحد وهو ما يتقى به من العذاب فأعظم ذلك لا إله إلا الله (التوحيد).
ومما يتقى به من العذاب الصلاة والصدقة وصالح الأقوال والأعمال.

درء التعارض

وقد يظهر للبعض أن هناك تعارضاً بين بعض الآيات فعلية بالرجوع إلى أهل العلم في ذلك ومراجعة أقوال المفسرين في ذلك.
فقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ [الزمر: ٥٣].
قد يبدو لشخص أنه يتعارض مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فإذا روجع أهل العلم في ذلك علمت ما يلي:
أولاً: أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ [الزمر: ٥٣] على بابه، وفي كل الذنوب حتى الشرك إذا تاب منه العبد قبل موته غفر له.
قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾

[الأنفال: ٣٨]

وقال تعالى في شأن النصارى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

أما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ ففي من مات على الشرك والعياذ

وتمَّ وجه آخر حاصله إن الله يغفر الذنوب جميعًا بعد الممات لكن
تحمل الذنوب على ما دون الشرك والله أعلم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].

قد يبدو متعارضًا لشخصٍ مع قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤].

ووجه الجمع أن قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ لا تشنوا عليها ولا

تطروها ولا تبالغوا في مدحها.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [١] أي: من طهرها من عيوبها

بالاستغفار والعمل الصالح.

وكالوارد في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة: ١].

وقوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ [البروج: ٢].

فأقسم الله به فقد يظن ظان أن هناك تعارضًا والصحيح أن لا

تعارض.

فقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [القيامة: ١].

ليس بنفي للقسم، ف (لا) هنا ليست النافية، فقيل: إنها لتقوية الكلام كما

يقول الشخص لا والله ما أكلت وهو يقصد والله ما أكلت ومن العلماء من

قال: إنها صلة وأن هناك من نفوا أشياء في مواطن آخر كمن نفى البعث

فأجيبوا بقوله تعالى: ﴿لَا﴾ أي: ليس الأمر كما قلتم، ثم ابتداء كلام جديد

بقوله: ﴿أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [١] أي: أقسم على ما ذكرت بيوم القيامة.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]

وقولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [٢٣: الأنعام].

حاصله أن الكتمان يكون في مواطن، وعدم الكتمان يكون في مواطن آخر.

ومن صور درء التعارض:

أن الآيات قد تنزل منزلة الاختصاص.

فقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾

[البقرة: ١١٤]

يفيد أنه لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١].

يفيد أنه لا أحد أظلم من المفترين على الله كذبًا.

وكذا قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِعَايَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ [الأنعام: ١٥٧].

يفيد أنه لا أحد أظلم من المكذب إلى غير ذلك من الوارد في هذا

الباب.

وبيان ذلك لدرء التعارض.

فإما أن يقال: إنهم جميعًا في الظلم سواء.

أو يقال: إنه ليس من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها

اسمه.

وليس من المفترين أظلم ممن افتري على الله كذبًا.

وليس من المكذبين أظلم من كذب بآيات الله وصرف عنها.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وقوله تعالى في شأن المكذب بنزول المائدة على عيسى عليه السلام: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥]

[المائدة: ١١٥]

فإما أن يقال: لا أعذبه أحد من العالمين في زمانهم أو يقال: أعذبه بنوع عذاب خاص به والله أعلم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا حُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ﴾

[البقرة: ٢٥٤]

ظاهره نفي الشفاعة مطلقاً.

ولكن ثم آيات أثبتتها فيكون المطلق هنا قد قيّد، أي: لا شفاعة للكاذبين.

ولا شفاعة إلا بإذن الله.

ولا شفاعة إلا لمن ارتضاه الله.

ولا شفاعة إلا فيمن أذن الله بالشفاعة له.

قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ

يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٦٦﴾ [النجم: ٢٦].

ولهذا أمثلة كثيرة جداً في الكتاب العزيز، وفي السنة وفي لغة العرب.

فنقول مثلاً:

البخاري أمير المؤمنين في الحديث.

وشعبة أمير المؤمنين في الحديث.

سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث.

وغير هؤلاء كثير.

فإما أن ينزل على المكان أو الزمان.

فالبخاري أمير المؤمنين في الحديث في زمانه أو في مكانه وكذا شعبة

وكذا سفيان. والله أعلم.

وقد يأتي الخبر بصورة الأمر - فعلى بعض الوجوه للمفسرين.

في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢].

أي: لا ترتابوا فيه ولا تشكوا فيه، وقيل لا ريب أنه منزل من عند الله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [العمران: ٩٧].

أي: آمنوا أيها الناس من دخل الحرم.

وجمع أقوال المفسرين في تفسير الكلمة أو الآية له أثرٌ عظيم في فهم

المراد، حتى لا يشذ الشخص تبعاً لمفسرٍ قد شذ، ثم إن جمعها يزيد

المعنى إيضاحاً.

فقوله تعالى: ﴿وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الأنعام: ٧٠].

ما معنى تبسل:

ترى لأهل العلم أقوالاً في ذلك:

أحدها: تحبس.

الثاني: تسلم.

الثالث: ترتن.

فالمعنى يكتمل ويتضح في ذهن القارئ إذا دار في فلك المعاني المذكورة، ويفهم أن المعنى: أن النفس مرتبطة بعملها، وإن اختلفت تعبيرات العلماء في ذلك. والله أعلم.

كثيراً ما تحتمل الآية وألفاظها وجوهاً متعددةً للمفسرين لكن تكون هناك قرينة في الآية الكريمة ترجح وجهاً من الوجوه.

كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

احتملت عدة احتمالات:

منها: أن يتسبب الشخص في إهلاك نفسه عن قصد وعمدٍ كالمتحر مثلاً.

ومنها: أن يحمّل الشخص نفسه ما لا يطيق.

ومنها: أن يعرض الشخص نفسه للهلاك.

ومنها: أن يظن الشخص أنه لن يغفر له، فيأس من رحمة الله فيترك

الاستغفار فيهلك.

ومنها: أن يتخلف عن الإنفاق في سبيل الله فيهلك.

ومنها: أن يتخلف عن الجهاد في سبيل الله فيهلك.

إلى غير ذلك من الأقوال لكن تكون هناك قرينة في الآية ترجح وجهًا مع احتمالية قبول الوجوه الأخر والعمل بعمومها:

فقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] يقوى قول من قال: إن الإلقاء باليد إلى التهلكة هو عدم الإنفاق في سبيل الله والتخلف عن إعلاء كلمة الله.

ومن ثمَّ جاء عن أبي أيوب الأنصاري شيء في هذا الباب.

فقد أخرج الترمذي من طريق أسلم أبي عمران التُّجَيْبِيُّ قال كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنَ الرُّومِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَهُمْ أَوْ أَكْثَرَ وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عَقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ وَعَلَى الْجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بْنُ عَبِيدٍ فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا سُبْحَانَ اللَّهِ يَلْقَى بِنَفْسِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَتَأْوُلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلُ وَإِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ فَلَوْ أَقْمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قَلَنَاهُ: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الْإِقَامَةُ عَلَى الْأَمْوَالِ وَإِصْلَاحُهَا وَتَرْكُنَا الْغَزْوَ فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دَفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ.

وأخرج البخاري من حديث حذيفة رضي الله عنه ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا

بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّلَافُوتِ ﴿ [البقرة: ١٩٥] قال: نزلت في النفقة (١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ

يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١١٤﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

قيل: إنها في أهل البدع.

وقيل: إنها في كل من عمل عملاً باطلاً ويظن أنه على خير.

وقيل: إنها في اليهود والنصارى.

وقيل: إنها في أهل الشرك.

إلى غير ذلك من الأقوال.

لكن الآيات التي بعدها قد توضح المراد، وهي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١١٥﴾ ﴿

[الكهف: ١٠٥]

فهذا يفيد أنها في الكفار.

اختلاف التنوع واختلاف التضاد

وكثيراً ما يبدو للشخص أن هناك اختلاف بين المفسرين في معنى آية من الآيات أو كلمة من الكلمات، ولكن راجع إلى معنى واحد فهذا يطلق عليه البعض اختلاف التنوع، ولكن أيضاً كثيراً ما يكون هنالك اختلاف تضاد أي أنه لا يمكن الجمع بين أقوال المفسرين، فقول أحدهم يحمل خلافاً لقول الآخر.

(١) البخاري (٤٥١٦).

وكمثالٍ لاختلاف التنوع اختلافهم في بيان المراد بـ (الحسنة) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنبُؤَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾

[النحل: ٤١]

فمن قائل: إن الحسنة في الدنيا: هي الزوجة الصالحة.

ومن قائل: إنها المنزل الحسن.

ومن قائل: إنها الرزق الحسن الواسع.

ومن قائل: إنها الذرية الصالحة.

ومن قائل: إنها الجاه والمنصب والسمعة الحسنة.

إلى غير ذلك من الأقوال.

وكلها حق إلا أن الخلل قد يتأتى في قصر الحسنة على بعض

المذكورات.

وقد قال فريق من أهل العلم في تفسير قول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا آئِنَا فِي

الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١].

إن حسنة الدنيا تشمل كل متاع طيب حلال فيها.

وإن حسنة الآخرة هي الجنة ورضوان الله عز وجل والله أعلم.

* ومن اختلاف التنوع:

اختلافهم في تفسير الصراط المستقيم.

فمن قائل: إنه الإسلام.

ومن قائل: إنه القرآن.

ومن قائل: إنه الثبات على الدين.

ومن قائل: أنه الطاعة.

وكل ذلك راجع إلى معنى واحد.

*ومن اختلاف التنوع:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وهذا من اختلاف التنوع فالتهلكة معناها: الهلاك.

والمراد بها هنا لأهل العلم فيه أقوال:

أحدها: ترك الإنفاق في سبيل الله^(١) (فإن ترك الإنفاق يؤدي إلى

التهلكة).

الثاني: ترك الجهاد في سبيل الله والانشغال بإصلاح الأموال وجمعها^(٢).

الثالث: القنوط من رحمة الله (فيرتكب الرجل المعصية أو الكبيرة

ويأس من رحمة الله ويسلم نفسه للهلكة)^(٣).

(١) تقدم أن البخاري أخرج من حديث حذيفة رضي الله عنه (٤٥١٦) في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] قال: نزلت في النفقة. وأخرجه الطبري (٣١٤٥) ولفظه هو ترك النفقة في سبيل الله.

(٢) تقدم ذلك في حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

(٣) أخرج الطبري (٣١٦٧) بإسناد صحيح عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] قال: هو الرجل يصيب الذنوب فيلقي بيده إلى التهلكة يقول: لا توبة لي.

وفي رواية (٣١٦٩): هو الرجل يذنب الذنب فيقول: لا يغفر الله له.

وأخرج الطبري نحوه عن عبيدة أيضاً، فأخرج بإسناد صحيح (٣١٧٤) عن ابن سيرين قال:

سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال: هو الرجل يذنب الذنب فيستسلم ويلقي بيده إلى

التهلكة، ويقول: لا توبة له - يعني قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

الرابع: أن المراد بـ (التهلكة): عذاب الله.

الخامس: المراد عموم ما يؤدي إلى التهلكة.

واختار الطبري رحمه الله العموم فقال:

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إِنَّ اللَّهَ جَل ثناؤه أمر
بالإنفاق في سبيله بقوله: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٥] -، وسبيله:
طريقه الذي شرعه لعباده وأوضحه لهم. ومعنى ذلك: وأنفقوا في إعزاز
ديني الذي شرعته لكم، بجهد عدوكم الناصبين لكم الحرب على الكفر
بي، ونهاهم أن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة فقال: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

[البقرة: ١٩٥]

وذلك مثلُ والعرب تقول للمستسلم للأمر: «أعطي فلان بيديه»،
وكذلك يقال للممكن من نفسه مما أريد به: «أعطي بيديه».

فمعنى قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، ولا تستسلموا للهلكة، فتعطوها

أزمتكم فتهلكوا.

والتارك النفقة في سبيل الله عند وجوب ذلك عليه، مستسلم للهلكة
بتركة أداء فرض الله عليه في ماله. وذلك أن الله جل ثناؤه جعل أحد سهام
الصدقات المفروضات الثمانية «في سبيله»، فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ
لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ إلى قوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة: ٦٠]
فمن ترك إنفاق ما لزمه من ذلك في سبيل الله على ما لزمه، كان للهلكة
مستسلمًا، وبيديه للهلكة ملقيًا.

وكذلك الآس من رحمة الله لذنوب سلف منه، ملق بيده إلى التهلكة، لأن الله قد نهى عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وكذلك التارك غزو المشركين وجهادهم، في حال وجوب ذلك عليه، في حال حاجة المسلمين إليه، مضيعٌ فرضاً، ملق بيده إلى التهلكة.

فإذا كانت هذه المعاني كلها يحتملها قوله: ﴿وَلَا تُقْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، ولم يكن الله عز وجل خص منها شيئاً دون شيء، فالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله نهى عن الإلقاء بأيدينا لما فيه هلاكنا، والاستسلام للهلكة - وهي العذاب - بترك ما لزمنا من فرائضه. فغير جائز لأحد من الدخول في شيء يكرهه الله منا، مما نستوجب بدخولنا فيه عذابه.

غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن الأغلب من تأويل الآية: وأنفقوا، أيها المؤمنون، في سبيل الله، ولا تتركوا النفقة فيها، فتهلكوا باستحقاقكم - بترككم ذلك - عذابي.

وكذلك الاختلاف في معنى الإحسان في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ الذي يظهر أن الإحسان هنا عامٌ فيدخل فيه جميع أنواع الإحسان كالإحسان بالمال والإحسان بالجاء بالشفاعات ونحو ذلك، والإحسان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع، وقضاء حوائج الناس: من تفريج كرباتهم وإزالة شدائدهم وعبادة مرضاهم وتشجيع جنائزهم وإرشاد ضالهم وإعانة من يعمل عملاً صحيحاً مشروعاً...، ويدخل فيه ما ورد في حديث

النبي ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»^(١) كما أشار إلى ذلك السعدي رحمه الله في تفسيره ويدخل فيه أيضاً العفو عن الناس كما في قوله تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] ويدخل فيه إحسان الظن بالله تعالى ويدخل فيه أيضاً الإحسان في القتل والذبح كما قال النبي ﷺ: «إن الله كتب الإحسان في كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح...»^(٢) الحديث. والله تعالى أعلم.

ومن اختلاف التضاد اختلافهم في تفسير الذي بيده عقدة النكاح في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْهَدُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. هل الذي بيده عقدة النكاح هو ولي المرأة فله أن يتنازل عن صداق موليته؟

أم أن الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج، وعفوه يتمثل في أنه يترك لها الصداق كاملاً وقد أوضحت ذلك بما فيه كفاية في كتاب التسهيل لتأويل التنزيل. وبالله التوفيق.

ومن ذلك اختلافهم في معنى قوله تعالى: ﴿فَنَادَيْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]. وهو اختلاف من وجهين:

اختلاف في تعيين المنادى، واختلاف في معنى ﴿سَرِيًّا﴾.

(١) أخرجه مسلم حديث (رقم ٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم حديث (١٩٥٥) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه مرفوعاً.

فالمنادى: من العلماء من قال: إنه جبريل عليه السلام، ومنهم من قال: إنه المسيح عيسى عليه السلام.

﴿سَرِيًّا﴾: هي: سيِّداً عظيماً أم نهرًا وجدولاً.

على قولين أيضًا أو وضحتهما في كتابي التسهيل لتأويل التنزيل. وكذا اختلافهم في معنى القرء في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ

بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

هل القرء هو الحيض؟ أم أن القرء هو الطُّهر؟.

وبكل قد قال بعض العلماء.

وأحياناً يرد معنى الكلمة إلى أصلها اللغوي وأحياناً يبني التفسير على

المعنى الاصطلاحي المشهور عند العرب.

فعلى سبيل المثال كلمة الغائط في قوله تعالى: ﴿أَوْجَاءَ أَحَدٍ مِّنْكُمْ مِّنَ

الغَائِطِ﴾ [النساء: ٤٣].

معنى الغائط: المكان المنخفض ومنه قيل الغوطة، ومكان غويط ونحو

ذلك، ولكن كانت العرب إذا أراد أحدهم أن يقضي حاجته (يتبرز) يذهب

إلى مكان منخفض (غويط) يقضي فيه حاجته حتى يستتر به ثم بعد أطلق

على من رجع عن قضاء الحاجة أنه رجع من الغائط.

وكمثال آخر في هذا الصدد (الشفاعة): ويشفع فمعناها: ضد الوتر

ويوتر، فشفع معناها: انضم إلى شخص فصيره شفعاً بعد أن كان وترًا

ليقوى أمره ويعزز طلبه ونحو ذلك.

ثم أطلقت بعد ذلك على الوساطة واشتهرت بذلك، وليس بين ذلك وبين المعنى الأصل تعارض فأزيد إيضاحاً.

قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَقَنْدِلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤].

ثم قال بعد ذلك: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾

[النساء: ٨٥]

أي: من ينضم إلى رسول الله ﷺ فيصيرُه في القتال شفعا بعد أن كان وترًا فله نصيب من الأجر.

وكذا من ينضم إلى الكافر الفاسق في قتاله فيصيره شفعا بعد أن كان وترًا فله كفل من العذاب. والله أعلم.

التضمين

وهل تتناوب حروف الجر في المعاني أم لا بل يأخذ الفعل معنى فعل آخر: (أي: يتضمن معنى فعل آخر).

وكإيضاح لذلك هل تأتي (إلى) بمعنى: (مع) و(مع) بمعنى (إلى) أو (على) بمعنى (في) والعكس ونحو ذلك أم لا؟

وكما قالوا: وبالمثال يتضح المقال.

فأقول، وبالله التوفيق.

قوله تعالى: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦].

هل معناها: عينا يشرب منها عباد الله .

أو أن معناها: عينا يروى بها عباد الله .

فيكون يشرب بمعنى: يروى وأبقى حرف الجر على ما هو عليه من

المعنى الموضوع له .

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ﴾ [ص: ٢٤] .

هل معناها لقد ظلمك بسؤال نعجتك مع نعاجه .

أو معناها لقد ظلمك بضم نعجتك إلى نعاجه (دون تغيير لحرف

الجر) .

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْتَهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٧] .

هل معناه ونصرناه على القوم الذين كذبوا بآياتنا .

أما أن معناه ونجيناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا .

ويبقى (من) على بابه الموضوع له .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] .

هل معناه سأل سائل عن عذاب واقع .

أم أن معناه أخبر سائل بعذاب واقع .

وقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] .

هل معناها: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ على جدوع النخل أم أن معناها ولأدخلنكم

(من شدة الصلب) في جدوع النخل .

وفي هذه المذكورات ونحوها وجهان لأهل العلم كثيرا ما يتناقلها

المفسرون.

والظاهر، والله أعلم أنه أحياناً يقوى التضمين أي أن الفعل يأخذ معنى فعل آخر ويتضمنه وأحياناً يقوى القول بأن حروف الجر تتناوب والله تعالى أعلم.

وكمثال آخر لبيان ما يتضمنه اللفظ، وليس تفسير اللفظ نفسه تفسير الظالم لنفسه في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ [فاطر: ٣٢].

فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الظالم لنفسه أكل الربا وذهب آخرون إلى أنه الزاني، وقال غيرهم: هو المفرط في الواجبات المقصّر فيها إلى غير ذلك من الأقوال:

ولا شك أنها تدخل فيما يتضمنه اللفظ، وإن لم تكن تفسيراً للفظ الظالم لنفسه، فالظالم لنفسه الباحس لنفسه حقها، فحق نفسي عليّ أن أطمئنها وأن أنزلها أكرم المنازل، فإذا أنزلتها منزلاً سيئاً، أو تسببت لها في العقاب أو أفقدتها الأمان فقد ظلمتها.

ثم أرجع فأقول: إن أكل الربا يتسبب لنفسه في عدم الأمان، بل ويستتب لها في العذاب، وكذلك الزاني وكذلك القاتل والمفرط في الواجبات وغير هؤلاء كثير.

وكالقول في أصحاب الأعراف:

فالأعراف أماكن مرتفعة عالية بين الجنة والنار ومن هم أصحابها؟

ذهب بعض أهل العلم إلى أنهم من استوت حسنتهم مع سيئاتهم، وذهب آخرون إلى تفسيرات لذلك فقال بعضهم: هم قوم خرجوا للجهاد في سبيل الله دون إذن الوالدين، أو وهم عقوقٌ للوالدين فقتلوا فنالوا ثواب الشهادة مع تحملهم إثم العقوق فكانوا في تلك الأماكن إلى أن يقضى فيهم.

تقدير المحذوف

ولهذا أمثلة كثيرة في كتاب الله عزَّ وجل ، وقد سلكه عدد من المفسرين فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢].

أي: فاصطادوا إن شئتم.

وذلك لأن الصيد غير واجب على المتحلل من إحرامه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾

[البقرة: ١٨٤]

أي: فمن كان منكم مريضًا فأفطر أو على سفر فأفطر فعدة من أيامٍ آخر.

وقوله تعالى: ﴿فَالْتَنَبَسُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

أي: باشروهن إن شئتم.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾

[الجمعة: ١٠]

المقدر فيه فانتشروا في الأرض إن شئتم، وابتغوا من فضل الله إن شئتم.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذَىٰ مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦].

المقدر فيه، والله أعلم، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذَىٰ مِنْ رَأْسِهِ﴾ فحلق أو ارتكب محظورًا ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

أي: ونساءً أكثر والله أعلم.

ومن العلماء من ذكرها هنا قاعدة مؤداها أن الأمر بالشيء بعد تحريمه يدل على رجوعه إلى ما كان عليه قبل التحريم من إباحة أو وجوب.

فالبيع والشراء قبل أذان الجمعة كان مباحًا وحظر بقوله تعالى: ﴿إِذَا تَوَدَعْتُمْ اللَّصْلُوتَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩].

ثم لما جاء الأمر بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ [الجمعة: ١٠].

علمنا أن الأمر راجع إلى ما كان عليه قبل الحظر وهو الإباحة. والله أعلم.

ومن تقدير المحذوف قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١].

فالمعنى: ثم اتخذتم العجل إلهًا تعبدونه، وذلك لقولهم هذا إلهكم وإله موسى.

وقوله تعالى: ﴿وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤] أي: حرضهم على القتال

وذلك لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال: ٦٥].

ترجمة القرآن

ولا يمكن لأحد أن يترجم القرآن إنما تترجم معانيه، ويترجم تفسيره وكثيراً ما لا تتأتى الترجمة بالمقصود كاملاً ولا بالمعنى كاملاً، إنما ببعض وكثيراً ما يخطئ المترجمون.

فقد يترجم مترجم، وهذا قد حدث في كثير من الكتب التي ترجمت فيها بعض الآيات قد يترجم كلمة الجهاد بمعنى: القتال، وفي هذا بلا شك قصور فالجهاد له صور: منها جهاد بالمال، وبالنفس، وبالكلمة، وبغير ذلك.

الالتفات والتحول في الخطاب

ولهذا صور منها ما هو جليّ وواضح كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ...﴾ [يونس: ٢٢].
فقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ﴾ [يونس: ٢٢] خطاب فحدث تحول للغائب بقوله تعالى: ﴿وَجَرِينَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢].

وأحياناً يكون التحول من الغيبة للخطاب كقوله تعالى: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] فهذا حديث عن غائب، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢]، وهذا مخاطبٌ

وأحياناً يكون التحول محتملاً، وينعكس أثره على التفسير فقوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

فهل قول: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤] استطراد من قول ملكة سبأ؟

أم أنه من قول الله تعالى كإقرارٍ لها على ما قالته ففي هذا وجهان للمفسرين.

وكذا قوله تعالى: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِيءِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [٥١-٥٢].

فهل قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهَا بِالْغَيْبِ﴾ من قول امرأة العزيز، أم من قول يوسف عليه السلام، ومعناه ذلك ليعلم زوجها أني لم أخنه في زوجته. في حال غيابه عني، وذلك حتى يخرج يوسف عليه السلام بريء الساحة غير خائن ولا منكر للمعروف. ففي ذلك وجهان للعلماء.

وكذا في قوله: ﴿وَمَا أَتْرَيْتُ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٣] هل قائله يوسف عليه السلام، أم أن المرأة (امرأة العزيز) هي قائلته، في ذلك وجهان للعلماء، وعلى كل منهما ينبنى تفسير، والله أعلم.

العام المخصوص

وقد تأتي الكلمة أحياناً ولفظها عام لكن يراد بها المخصوص ومن أوضح الأمثلة لذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

فالمقول لهم ناس: وهم أهل الإيثار.

والقائلون لهم ناس: وهم المنافقون.

والذين جمعوا لهم ناس وهم أهل الكفر.

وتمَّ ألفاظ عامة في ظاهرها لكن معناها مضبوط بضوابط.

فقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

هل كل سارق تقطع يده أم أن للسارق الذي تقطع يده صفات كالعقل والبلوغ ونحو ذلك وهل من سرق أي شيء تقطع يده أم أن للمسروق نصاب، وما دونه لا تقطع اليد فيه فبلا شك أن له نصاباً تقطع اليد فيه على اختلاف في تحديد هذا النصاب (هل هو ربع دينار أو غير ذلك) والمسروق منه هل له صفات أم لا؟ فأيضاً له صفات مبسوطة في كتب الفقه، وذلك هل المال محررٌ أم لا؟ وهل المسروق منه الوالد والولد أو الأم أم غيرهم.

إلى غير ذلك من الاعتبارات.

وكذا القول في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾

فهل كل زانية تجلد مائة جلدة، أم أن هناك من لا تجلد (كالمجنونة وغير البالغة والمكرهة).

وهناك من تجلد خمسين جلدة (كالأمة).

وهناك من ترجم (كالثيب).

إلى غير ذلك.

فكلها مسائل تضبط بسنة الرسول ﷺ وبغيرها من آيات الكتاب

العزیز.

القسم في القرآن الكريم

والقسم كثير جداً في الكتاب العزيز، يقسم الله عز وجل أحياناً بنفسه

العلية الكريمة.

ويقسم كذلك بعظم مخلوقاته.

قال تعالى: ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَسْتَلَنَّهٗ أَجْمَعِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢].

ويقول تعالى مقسماً بالصفات: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾﴾ [الصفات: ١].

ومقسماً بالذاريات: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرَّوًا ﴿١﴾﴾ [الذاريات: ١].

ومقسماً بنفسه وبالسماء: ﴿وَالسَّمَآءَ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾﴾ [الشمس: ٥].

ومقسماً بالأرض: ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا ﴿٦﴾﴾ [الشمس: ٦].

ويقسم ربنا بأشياء كثيرة جداً كالتين والزيتون، وطور سينين، وهذا البلد

الأمين، والفجر والعصر. وغير ذلك.

ويأمر نبيه أن يقسم أحياناً:

كما في قوله تعالى: ﴿وَسْتَئْتِنُوكَ أَحَقَّ هُوَ قَوْلِي وَإِي وَرَبِّي إِنَّهُ لِحَقِّ﴾

[يونس: ٥٣]

وكما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي

لَأَتَيْنَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣].

وكما في قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَأُبْعَثَنَّ﴾ [التغابن: ٧].

وغير ذلك من الآيات.

والله عزَّ وجل يقسم بنفسه أو بما يشاء من مخلوقاته والغالب أنه جل

وعلا يقسم بعظيم مخلوقاته.

أما البشر فقد قال النبي ﷺ: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو

ليصمت»^(١).

والقسم كثيراً ما يكون لتقرير الخبر وتأكيده وتحققه وتحقيقه.

فيقسم ربنا على أن القرآن حق وأنه من عند الله عزَّ وجل ويقسم ربنا عزَّ

وجل لبيان رشد النبي ﷺ وسداده كما في قوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَاضِلٌ

صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾ [النجم: ١-٣].

وكما في قوله: ﴿رَبِّ وَالْقَافِرِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنتَ بِمَعْبُودٍ ۝٢﴾

[القلم: ١-٢]

(١) البخاري (٦٢٧٠)، ومسلم (١٦٤٦).

ويقسم أحياناً على أن البعث آتٍ وعلى الجزاء والثواب والعقاب وغير ذلك.

وأدوات القسم ثلاثة الواو والباء والتاء.

تقول: (والله) (وبالله) (تالله).

كقوله: ﴿قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣].

وكقوله: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ [النمل: ٤٩].

وكقولهم: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾﴾ [الشعراء: ٩٧].

وقد يكون القسم بحذف الأداة.

كما في قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾﴾ [التكاثر: ٦].

قال كثيرةٌ من العلماء اللام هنا هي المقارنة للقسم وكما في قوله:

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْيَ كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقد يكون جواب القسم عقب القسم وقد يكون متأخراً.

فقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾﴾ [العصر: ١]. قسم جواب عقبه ﴿إِنَّ

الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [العصر: ٢].

أما قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيْلٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ

﴿٤﴾....﴾ [الفجر: ١-٤] فقد قال كثير من أهل العلم إن جوابه في قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ١٤]، وهكذا فقد يتأخر الجواب في كثير من

الأحيان وقد يكون الجواب أحياناً مضمراً مفهوماً من السياق.

وقد يختلف في تعيين جواب القسم أحياناً كقوله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١].

اختلفوا في جوابه فقال بعضهم:

إنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الرِّزْقُ مَا لَكُمْ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].

وقال آخرون هو قوله: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلُ فَحَقَّ عِقَابٍ﴾ [ص: ١٤]

[ص: ١٤]

وقال بعضهم: إنه محذوف، ولكنه معلوم من السياق، وهو إن القرآن معجز أو إنه لمعجز، أو إنه من عند الله.

العام المخصوص

وهناك من كتاب الله عزَّ وجل ما هو عام في صورته ولنظمه لكنه مخصوص أعني: يراد به الخصوص.

كقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣].

هل كل مال تؤخذ منه الزكاة؟

وجوابه ليس كل مالٍ تؤخذ منه الزكاة بل يلزم أن يبلغ النصاب وأن يحول عليه الحول إلى غير ذلك من القيود.

وكقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾

[آل عمران: ١٧٣]

فالقائلون ناس وهم أهل النفاق.

والمقول لهم ناس وهم المؤمنون.
والذين جمعوا لهم ناس وهم الكفار.
وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾

[المائدة: ٣٨]

هل كل سارق تقطع يده؟

فهناك السارق المجنون والصغير مثلاً: لا تقطع أيديهما، وهل كل مسروق تقطع فيه اليد؟

أم أن هناك نصاباً. فبلا شك أن هناك نصاباً للسرقة وكذلك هل يلزم أن يكون المال محرراً؟ أم لا؟ في كل ذلك وجوه للعلماء.

وكذلك قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].

هل كل زان يجلد مائة جلدة؟

كلا فالمجنون لا يجلد والصغير لا يجلد والثيب يرجم.

والعبد يجلد خمسين جلدة.

ويلتحق بهذا الباب الاستثناءات:

فقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] عام في كل ميتة لكن

استثنت منها ميتة السمك والجراد.

وكذلك (والدم) استثنى الكبد والطحال.

وأحياناً يأتي الخاص يراد به العموم:

كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمْ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] فيراد به كل

قول مسيء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَحِمَ الْخِنْزِيرِ﴾ [البقرة: ١٧٣] هل المحرم الخنزير كله (لحمه وشحمه ودمه وغير ذلك).

أم المحرم اللحم فقط.

نقل ابن رشد في بداية المجتهد الاتفاق على أن الخنزير كله محرم. وهذا باستثناء خنزير الماء.

وأحياناً يأتي الأمر في صورة الخبر:

كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران ٩٧].

أي: أمّنوا أيها الناس من دخل الحرم، وذلك لأن رجلاً قد يدخل الحرم فيسرق أو يقتل.

وكذلك قوله تعالى في شأن قطاع الطرق: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ

تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٤] أي: فاغفروا

لهم فإن الله غفور رحيم. والله أعلم.

وأحياناً لا يؤتى بجواب الشرط لكونه مفهوماً من السياق.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ [فصلت:

٥٢] أي: كيف يكون عقابكم.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا

أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣] جوابه - والله أعلم - لرأيت منظراً

عظيماً بشعاً.

وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠]
أي: لرأيت منظرًا عظيمًا.

المجاز في القرآن الكريم

ابتداءً فإن هذا اللفظ لم أقف عليه كاصطلاح في الصدر الأول من الصحابة والتابعين، إنما أطلق فيما أعلم بعد القرون المفضلة الثلاثة، الذين هم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين. وعليه فاصطلاح المجاز ليس فيه أقوال للسلف من القرون المفضلة، وعليه فالعبرة بما يؤول إليه المجاز، فإذا آل إلى تفسير سار عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ولن يخرج عن القواعد العامة لأهل السنة والجماعة في التفسير فإنه مقبول، وإذا آل إلى غير ذلك فهو مردود مرفوض.

هذا، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: في شأن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز فهذا التقسيم حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم^(١).

ونحوه قاله تلميذه ابن القيم رحمه الله، فقال: بعد رده تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز (وهو اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة)^(٢).

(١) انظر مجموع الفتاوى (٧/ ٨٨-٨٩) وانظر أيضًا ما قاله: (١٢/ ٢٧٧).

(٢) انظر مختصر الصواعق المرسله (٢/ ٥).

قلت (مصطفى): فكما قدمت لم أقف عليه كاصطلاح في الصدر الأول في القرون المفضلة الثلاثة فلذا يجوز لشخصٍ أن يضرب عنه تمامًا كاصطلاحٍ ولا يرهق نفسه به وإنما ينظر في أقوال السلف الصالح من القرون المفضلة في تفسير الآيات المباركات ويتأكد من سلامة السند وصحته إلى قائله ويبني عليه تفسيره للآيات ما لم يتكلم عليه بشذوذ، وما دام مندرجًا تحت الأصول العامة للشريعة والمعتقد والله أعلم.

هذا، ولكون المجاز قد وجد وانتشر، وحتى يقف القارئ الكريم على بعض المراد منه وبعض آثاره وبعض الأمثلة له، وكذا بعض أقوال أهل العلم فيه فأقول مستعينًا بالله عزَّ وجل ثم بإيجاز واختصارٍ قسم بعض العلماء الكلام إلى حقيقة ومجاز^(١).

فقال عن الحقيقة: كل لفظ بقى على موضعه الذي وضع له.

والمجاز: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له.

ومنهم من أضاف شيئًا على تعريف المجاز فقال اللفظ المستعمل في

غير ما وضع له على وجه يصح (أي: ويكون صحيحًا فيما وضع له).

ومنهم من أضاف إضافاتٍ أخرى.

ثم قسموا (أعني القائلين بالتقسيم) الحقيقة أقسامًا والمجاز أقسامًا.

فقالوا عن الحقيقة: (أي تقسيم اللفظ من جهة الحقيقة).

(١) وإن كان بعض أهل العلم قد رفض هذا التقسيم أصلاً، وانظر لذلك مختصر الصواعق

الحقيقة اللغوية: وهي استعمال اللفظ فيما وضع له لغةً كالأسد يستعمل ويطلق على الحيوان الشجاع المعروف.

والحقيقة الشرعية: هي استعمال اللفظ فيما وضع له شرعاً فإذا قلنا حافظ على (الصلاة) فمعلوم أنها الصلوات التي نصليها ذات القيام والركوع والسجود والجلوس والتسليم، وإن كانت قد تطلق كلمة الصلاة على الدعاء في مواطن وعند التقييدات، وقد تطلق على الصلاة على الجنابة إذا جاءت مقيدة بذلك.

وكالزكاة، إذا قال شخص لآخر أدّ الزكوات فإنه يعلم أنها ذوات المقادير سواء كانت زكاة الذهب أو الفضة أو المال أو الزروع أو زكاة الماشية أو زكاة الفطر أو غير ذلك من الزكوات، وإن كانت تطلق على التطهير والنماء.

فالحقيقة الشرعية للزكاة إذا قلت لشخص أدّ الزكوات تتصرف إلى الزكوات المفروضة.

وكذا الحج إذا ذكر شخص بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] أو قيل إن فلاناً قد حج أي: أنه ذهب إلى مكة وأدى ما فرض الله عليه من فريضة الحج.

وهناك أيضاً حقيقة عرفية أي: وضع لها الكلام فالكسر عند أهل اللغة يختلف عن الكسر عند الحداد وعند العامة.

فالكسر عند أهل اللغة يعني: الخفض والكسر عند الحداد يعني: فصل

الشيء عن الشيء بعضًا أو كلية.

وكذا الفتح عند أهل اللغة يقولون الكلمة مفتوحة (أو مضمومة) يختلف عن الفتح عند العامة فالفتح عند العامة فتح ما كان مغلقًا من الأبواب أو الشبائيك أو الطرق أو فتح الجروح أو غير ذلك.

والدابة لغة ما يدب على الأرض وأطلقت بعد ذلك على ذوات الأربع كالفرس والجمل والثور والبقرة والحمار والقط ونحو ذلك.

وقد تطلق على بعض ذلك أحيانًا وبصفة أخص إذا قلت جهز الدابة للسفر فإنها الدابة التي تحمل المسافرين كالفرس أو الناقة أو الحمار أو الجمل...

وكلمة الغائط تطلق على المكان المنخفض لغة، وأما استعمالها فأطلقت على الخارج المستقذر.

والحيوان ما تجري فيه الحياة وتدب فيه الروح ولكن استعمل في استعمال الناس على غير الناطق من البهائم.

وأيضًا فقد قسموا المجاز أقسامًا (أعني القائلين به).

فقالوا منه: مجاز الأفراد كقولهم عن فلان: إنه أسد ومجاز التراكيب كالأمثال السائدة بين الناس ومجاز الزيادة (عند القائلين به) ليس كمثله شيء أي: ليس مثله شيء فقال البعض: الكاف زائدة ومجاز النقص -

نقص كلمة يحتاج التفسير إلى زيادتها كقوله: ﴿ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] أي: واسأل أهل القرية.

إلى غير ذلك من التقسيمات.

هذا، وعن إجمال أقوال العلماء في المجاز.

فمنهم من يقبله مطلقاً إذا احتيج إليه ونسب هذا إلى الجمهور ومنهم من يرده مطلقاً ونسب هنا إلى الإسفرائيني ومنهم من يفصل فيقبله في اللغة ويرده في القرآن الكريم ومنهم من يقبله في اللغة ويرده في الكتاب والسنة ومنهم من يقبله فيما دون صفات الله عزَّ وجل.

وتمَّ تفصيلات آخر^(١).

والذي يظهر لي وأختاره وأتدين لله عزَّ وجل به أنني ابتداءً وانتهاءً لا أقدم قولاً على قول الله عزَّ وجل.

ثم أنني مع ما قاله النبي ﷺ وما قال به أصحابه الكرام رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين فما ورد عن النبي ﷺ فلا يمكن الحيود عنه بحال ما دام قد ثبت السند به عن النبي ﷺ ثم ما قاله الصحابة والتابعون وأتباعهم أولى بلا شك في الجملة مما قاله غيرهم^(٢).

وغير مرهق لنفس ولا شاغل لها بتفضيلات مملية ولا باصطلاحات مخلة.

وأسأل الله الثبات على الإيمان بالله ورسوله والاستقامة على طاعة الله ورسوله حتى الممات والسير على نهج الصحب الكرام والتابعين لهم

(١) وانظر لذلك إن شئت إرشاد الفحول ص ٢٢.

(٢) وقد يأتي قولٌ شاذ عن بعض السلف فلا أقف عند الشاذ.

بإحسان إلى يوم الدين.

هذا، أعود إلى ذكر بعض الأمثلة في هذا الصدد وبيان بعض ما فيها على عجالة مع مزيد من الإيضاح فأقول مستعيناً بالله عزَّ وجل.

قوله تعالى: ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾

[الأعراف: ١٦٣]

القائلون بإثبات المجاز قالوا المعنى وأسألهم عن أهل القرية التي كانت حاضرة البحر وذلك لأن الله قال: ﴿ إِذْ يَعْدُونَكَ فِي السَّبْتِ ﴾ [الأعراف: ١٦٣] فالذين يعدون في السبت (أي: يعتدون يوم السبت بالعمل فيه) هم أهل القرية، وليست البيوت.

أما القائلون بعدم المجاز فقالوا: إن القرية قد تطلق أحياناً على البيوت وأحياناً على السكان وأحياناً على البيوت والسكان معاً. وأحياناً تطلق على الأرض والبيوت والسكان والأشجار هذا، وقد وردت فيما ذكرت أدلة.

فقوله تعالى: ﴿ وَكَأَنِّ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا ﴾

[الحج: ٤٨] المراد: أهلها.

وقوله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] يحتمل البلدة بأهلها.

وذلك لقوله: ﴿ أَنِّي يُعِيءُ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٩] أي: يحيي

أهلها.

ومثال آخر: في قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾

[الإسراء: ٢٤]

القائلون بالمجاز قالوا: الذي ليس له جناح والمعنى تواضع لهما.
والقائلون بعدم المجاز قالوا: واخفض جناحك الذليل لهما من
الرحمة.

ومثال ثالث: قول إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾

[يوسف: ٨٢]

القائلون بالمجاز قالوا: واسأل أهل القرية فالحجارة لا تسأل.
والقائلون بعدم المجاز قال بعضهم: الأنبياء لهم خصوصية فقد
تجيبهم الأحجار، وبعضهم أطلق القرية على سكانها وعمرانها ومكانها.
ومثال رابع: في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾

[الكهف: ٧٧]

القائلون بالمجاز قالوا: يسقط فالجدار ليست له إرادة والقائلون بعدم
المجاز أجروه على بابه.

وقد تشبه بعض الآيات على بعض الأشخاص فيظنها متعارضة.

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وقال تعالى في شأن قوم سبأ: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [النمل: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ١٨].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨].

وأصل ذلك كله أن الذي قدر المقادير هو الله.

فقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فيه إضافة التزيين إليه سبحانه وتعالى فهو الفعال لما يريد.

أما إضافته إلى الشيطان وإلى النفس فهي إضافة إلى السبب وإلى من أجرى على يديه هذا التزيين، وإلا فالأمر كله لله عز وجل.

وكذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

وقوله تعالى: ﴿تَوَفَّاتُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ﴾ [الأنفال: ٥٠].

فالأمر بالوفاة من الله عز وجل ثم إنها جرت على يد ملك الموت أو

على يد أتباعه من الملائكة الكرام عليهم السلام.

نفاة الصفات والمجاز

هذا، ولقد توسع نفاة الصفات في أمر المجاز كي يصلوا بذلك إلى مرادهم

من نفى صفات الله عز وجل أو نفى بعضها وأخطأوا خطأً شديداً في ذلك

وابتدعوا، وقالوا بالمجاز في مواطن لا يصلح أن يقال فيها بالمجاز، وهم

وإن ظهر أن الأمر يسلم لهم في موطن فإن الموطن الآخر لا يسلم لهم بلا شك

ولا ريب فصفة (اليد) أولها بعضهم في مواطن بالقدرة ولكن كيف يتأتى

لهم نفى صفة اليد عن الله عز وجل مع قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ

بِيَدَيْهِ ﴿ [ص: ٧٥].

ومع قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومع قوله ﷺ في شأن آدم عليه السلام: «... خلقك الله بيده».

إلى غير ذلك من الأدلة، وهي كثيرة جداً.

في إثبات صفة اليد لله عزَّ وجلَّ.

أما أهل السنة والجماعة وفقهم الله لكل خير فأثبتوا لله عزَّ وجلَّ ما أثبتته

لنفسه وكذا ما أثبتته له رسوله ﷺ مع نفي المماثلة فقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ

كَمَثَلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فقالوا: لله عزَّ وجلَّ يدٌ ولكنها ليست كيد خلقه.

وهكذا في سائر الصفات كالأصابع مثلاً ففي الحديث: «ما من قلب إلا

وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن عزَّ وجلَّ»، وكما في غيره من الأحاديث

فيثبتون صفة الأصابع لكن ليست أصابعه كأصابع خلقه، إذ الله عزَّ وجلَّ

قال: ﴿لَيْسَ كَمَثَلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

فأثبت أيضاً لنفسه أنه السميع، ولكن ليس سمعه كسمع خلقه.

وليس بصره كبصر خلقه.

فسمعنا محصوراً ومحدوداً فإذا سمعنا فإننا نسمع من تكلم عن قرب،

ولانسمع من تكلم عن بعد إلا بواسطة، وإذا سمعنا نسمع كلام واحداً أو

اثنين إذا تكلموا في وقت واحد مع مشقة سماع الاثنين في وقت واحد أما

سماع عشرة يتكلمون في وقت واحد وتمييز كلام بعضهم من بعض فهذا لا

يتأتى لنا وكذا إذا تكلم ألف شخص في وقت واحد، فلن يتأتى لنا بحال معرفة مراد كلٍّ منهم ولن يتأتى لنا التمييز والمعرفة أما ربنا سبحانه فإنه يسمع الخلائق أجمع، وإن تكلموا في وقت واحد ويعرف مراد الجميع سواء أسروا القول أم جهروا به.

وهكذا البصر فنحن البشر نرى من أمامنا إذا نظرنا إلى الأمام، ولا نرى من هو خلقنا. وإذا رأينا من أمامنا فإننا نرى لمسافةٍ محدودة، ولا نرى من فوقنا إلا إذا نظرنا إلى من فوقنا، وإذا نظرنا إلى أعلى فلن نرى من أسفل، وإذا رأينا ما ظهر فلن نرى ما خفى أمّا ربنا جلّ وعلا فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وهكذا سائر الصفات.

هذا، وإن كانت (اليد) عبّر عنها في بعض المواطن بالقدرة فإنها لا تنفي صفة اليد عن الله عزّ وجل بل تتضمنها.

فالحاصل أننا نثبت لله عزّ وجل ما أثبتته لنفسه وما أثبتته له رسوله ﷺ مع نفي المماثلة لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[الشورى: ١١]

هذا، ولقد أكثرت المعتزلة والجهمية من استعمال المجاز لنفي كثير من صفات الله عزّ وجل، ولقد ترعرع القول فيهم بالمجاز وتوسعوا فيه غاية التوسع.

مما آل بهم إلى الزيغ والضلال عيادًا بالله عزّ وجل.

الحاصل في أمر المجاز

هذا، ويمكن تلخيص ما تقدم في الآتي:

أولاً: المجاز كاصطلاح لم أعرفه في القرون المفضلة الثلاثة .

ثانياً: العبرة بما يؤول إليه المجاز فإن آل أمره إلى تفسير عليه أهل السنة والجماعة من الصحابة فمن بعدهم، ولا يخرج به عن عمومات الشريعة قبل وإلا فإنه مردود.

ثالثاً: يمكن الاستغناء عن هذا الاصطلاح والسير على ما سار عليه أهل العلم الأولون من أهل السنة في التفسير.

رابعاً: يجب الحذر من مسالك نفاة الصفات في التفسير، وقد تقدم أن المعتزلة والجهمية عظموا أمر المجاز حتى نمت فيهم وترعرع بينهم ، هذا والله أعلم.

وهنالك في الكتاب العزيز آيات وألفاظ العلم بها موكول إلى الله عز وجل ولا معنى للتكلف والتخرص في هذا الباب، وإن كان البعض قد التمس لها بعض التأويلات.

فمن ذلك الأحرف المقطعة التي بدئت بها بعض سور الكتاب العزيز، فالعلم بها موكول إلى الله عز وجل، وقد ذكر بعض أهل العلم أنها سيقت للتحدي والإعجاز فكأن المعنى ﴿المرء﴾ ألف ولا ميم أحرف تقرأها وتكتبونها وتعرفونها ، ولكن لا تستطيعوا أن تأتوا منها بسورة ولا بآية .

وقد سئل النبي ﷺ عن الروح فنزلت : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وكثيراً ما يتكلف المفسرون تأويلات لا مستند لها فتضيع فيها أوقات كثيرة، ولو كان الخير في بيانها لأظهر الله عز وجل أمرها ولبينها رسول الله ﷺ فمن ذلك تكلف بعضهم تسمية القرية المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ١٣].

والمدينة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾

[القصص: ١٥]

وتسمية أصحاب الكهف وقبائلهم وغير ذلك فالإمساك عنه أولى وأسلم وأدعى لحفظ الوقت والجهد والله أعلم.

الأمثال في كتاب الله عز وجل

قد كثر ضرب الأمثال في كتاب الله عز وجل، وذلك يتضمن تشبيه شيء بشيء في الحكم أو تشبيه شيء بشيء في المعنى.

والغرض منها يتعدد:

- فقد تأتي للتذكير والتحذير والزجر.
- وقد تأتي للحث على فعل شيء أو للتنفير عن فعل شيء.
- وقد تأتي لتقرير شيء وإبطال شيء آخر.
- وقد تأتي لبيان تضعيف الأجور وعظيم الثواب.

• وقد تأتي لتصوير الشيء في صورة شيء محسوس لتقريب المعاني.

• وقد تأتي في صورة الذم أو المدح بقصد التحذير أو الحث أيضًا.

وقد تأتي للتشبيه والمقارنة والتمثيل والنظر.

* وقد لا ينص على أنها مثل وإنما يفهم ذلك من السياق كما في

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

وكما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا

فَفَنَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وكقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ

مِثْلَهُمْ﴾ [يس: ٨١].

وكقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُمُ

بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُمِحِّيَ الْمَوْتِ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

وكما في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ (٣٥) [القمر: ٣٥].

فهو مثل بجزاء المطعين أي وكما جاريناه نجازيكم.

ونحوه في العقوبات ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٤١) [الأعراف: ٤١].

وكذلك مما لا يصرح بأنه مثل: قوله تعالى في شأن إنجاء أيوب عليه

السلام وشفائه ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَبِيدِينَ﴾ (٨٤) [الأنبياء: ٨٤].

وفي شأن يوسف عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٤)

وفي قوله تعالى في شأن أهل الكفر وفرارهم ونفورهم من الداعي إلى الله: ﴿كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ۝٥٠ فَزَتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ۝٥١﴾ [المدثر: ٥٠-٥١].

وطريقة المفسرين في تأويل الأمثال وتفسيرها وعلى ما بدا لي من طريقتهم أن الأمر فيه بعض التوسع في التفسير ما دام التفسير لا يخرج عن عمومات الشريعة، وكذا ما دامت ألفاظ الآية ومدلولاتها تحتمل التفسير المذكور.

وكما أسلفت فقد يحدث في هذا توسعٌ واسترسال وقد يكون هناك إيجازٌ واختصار.

وهذه طائفة من الأمثال المذكورة في كتاب الله عز وجل وليست على سبيل الاستقصاء.

* مثلٌ ضرب للمنافقين:

وذلك في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ، ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ۝١٧ صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾ [البقرة: ١٧-١٨] وهذا الذي يسمونه المثل الناري.

ومثل آخر لأهل النفاق في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيءَآذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝١٩﴾

[البقرة: ١٩]

وهو الذي يسمونه المثل المائي.

ونحو هذين المثليين في قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ

بِقَدْرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ ﴿٤٠﴾

[الرعد: ١٧]

ونحوها في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ ۖ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ ۖ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

[النور: ٣٩، ٤٠]

* وضربت أمثال لحملة العلم الذين لا يعملون به والذين انسلخوا من

الدين:

كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥].

وفي قوله: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُكَلِّمُهُ ۗ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۗ فَشَاءَ لَهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ۗ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]

* وضرب مثل للحياة الدنيا:

قال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ

نَبَاتٌ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

[الكهف: ٤٥]

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا وَعَلَيْهَا أَتَتْهَا أَمْرٌ نَا لِيلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنُ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤].

وكما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَهُ مُضْفَراً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الزمر: ٢١].

وكما في قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَهُ مُضْفَراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا...﴾ [الحديد: ٢٠].

وأشير إلى ضرب المثل بالبعوض كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

* وضرب مثل بالحمار: كما في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾ [الجمعة: ٥].

* ومثل ضرب لبيان كون الكفار لا يريدون شريكاً لهم في دنياهم فكيف يرضون بأن يكون الله له شريك.

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾

* ومثلٌ للعقوبات التي تحلُّ بالظالمين:

كما في قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾

[يس: ١٣]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَبَصَرُ مِنَّا مُصْبِحِينَ﴾ (١٧)

[القلم: ١٧]

* وقد يضرب المثل بشيء لم ير ولكنه منقذٌ في الأذهان:

كما في وصف شجرة الزقوم ﴿طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصفات: ٦٥]

* ومثل للمشرك المشتت في فكره والموحد المخلص لربه:

في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ

هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢١) [الزمر: ٢٩].

* ومن الأمثال المضروبة للكفار مع أوثانهم:

في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ

وَنِدَاءَ﴾ [البقرة: ١٧١].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفِيٍّ إِلَى الْمَاءِ

لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (١٤) [الرعد: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ

الْعَنْكَبُوتِ أَخَذَتْ يَتًّا وَإِنِ آوَهْتَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ﴾ (٤١) [العنكبوت: ٤١].

وكذا قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن

رَزَقْنَهُ مَنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ [النحل: ٧٥-٧٦].

* وضربت أمثال للمنفقين في سبيل الله وتضعيف أجورهم:

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَانْتِ أَخْلَاهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبهَا وَابِلٌ فَطَلَّ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

* ومثل للرياء والشرك وأنه يبطل الأعمال:

قال تعالى: ﴿أَيُّدٌ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفًا فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلْوُ الْبَعِيدُ﴾ [١٨].

[إبراهيم: ١٨]

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ

مَالَهُ رِبَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ، وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَدًّا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿

[البقرة: ٢٦٤]

* ومثل لبيان قدرة الله على خلق ما يشاء:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾

[الزخرف: ٥٧]

* ومثل لأصحاب رسول الله ﷺ:

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرزِيعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾

[الفتح: ٢٩]

* ومثل للجنة:

في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾﴾

[الرعد: ٣٥]

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ

يَنْغَيَّرَ طَعْمُهُ﴾ [محمد: ١٥].

* ومثل للكلمة الطيبة وآخر للكلمة الخبيثة:

في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

* وضرب مثل لمن ينقض العهد بامرأة خرقاء طائشة:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِنَّ ﴾ [النحل: ٩٢].

* ومثل للفقير الصابر والغني الطاغى الباغي:

قال تعالى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الكهف: ٣٢].

* ومثل للمشرك وعقابه:

في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحج: ٣١].

* ومثل لضعف الآلهة المعبودة من دون الله:

في قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَجِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْتَأْذِنُوا لَلذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الحج: ٧٣].

* وضرب مثل لكون المعاصي تزيل النعم:

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيبَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مَّتَطْمِئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢].

* ومثل لنور الله عز وجل في قلب المؤمن:

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ [النور: ٣٥].

* ومثل ضرب لأهل الكفر والنفاق وأهل الكتاب وتخلي بعضهم عن

بعض عند الشدائد.

كما في قوله تعالى: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [١٤] كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾

[الحشر: ١٤-١٧]

* ومثال لعدم انتفاع الكافر بقراباته المؤمنين، ولعدم تضرر المؤمن

بقراباته الكاذبين، وكذا مثال للصالحات والعاقة الحسنة لهن.

في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٌ نُّوحٌ وَأَمْرَاتٌ لُّوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

وَقِيلَ أَدْخَلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْسَ مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِئْسَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِكْرَامٌ ﴿١٢﴾ وَكَانَتْ مِنَ الْقَنِينِ ﴿١٣﴾ [التحرير: ١٠-١٢].

* وضرب مثل لأهل الكفر:

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْآكِلِينَ لَا يُقْنِعُهُمْ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٤﴾

[الفرقان: ٤٤]

* ومثال لآكل الربا وموقفه يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

* وضرب مثل للمغتاب بأكل الميتة:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

* مثل لإحياء الموتى:

ومما لا يذكر صراحة أنه مثل ولكنه مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[الأعراف: ٥٧]

ويصح أن يضرب للجماعة مثل بالواحد:

فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً ﴾ [لقمان: ٢٨] وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة: ٥]

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب: ١٩] والله أعلم.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في شرح مثل من الأمثال المضروبة في

الكتاب العزيز:

في قوله تعالى في شأن أهل النفاق: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا ﴾ [البقرة: ١٧] الآيات.

وبيان الحكم المستنبطة منها.

أورد ابن القيم رحمه الله تعالى قدرًا من هذه الحكم والفوائد المستنبطة من المثل فقال (١):

وقد اشتمل هذان المثلان على حكم عظيمة:

منها: أن المستضيء بالنار مستضيء بنور من جهة غيره، لا من قبل نفسه. فإذا ذهبت تلك النار بقي في ظلمة. وهكذا المنافق، لما أقر بلسانه من غير اعتقاد ومحبة بقلبه، وتصديق جازم. كان ما معه من النور كالمستعار.

(١) التفسير القيم ص ١٢٠ .

ومنها: أن ضياء النار يحتاج دوامه إلى مادة تحمله، وتلك المادة للضياء بمنزلة غذاء الحيوان. فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة من العلم النافع والعمل الصالح، يقوم بها ويدوم بدوامها. فإذا لم توجد مادة الإيمان طفئ كما تطفأ النار بفراغ مادتها.

ومنها: أن الظلمة نوعان، ظلمة مستمرة لم يتقدمها نور، وظلمة حادثة بعد النور. وهي أشد الظلمتين وأشقهما على من كانت حظه. فظلمة المنافق ظلمة بعد إضاءة، فمثلت حاله بحال المستوقد للنار، الذي حصل في الظلمة بعد الضوء، وأما الكافر فهو في الظلمات لم يخرج منها قط.

ومنها: أن في هذا المثل إيذانا وتنبها على حالهم في الآخرة، وأنهم يعطون نورا ظاهرا، كما كان نورهم في الدنيا ظاهرا. ثم يطفأ ذلك أحوج ما يكونون إليه إذ لم تكن له مادة باقية تحمله، ويقوا في الظلمة على الجسر، لا يستطيعون العبور. فإنه لا يمكن أحدا عبوره إلا بنور ثابت يصحبه حتى يقطع الجسر. فإن لم يكن لذلك النور مادة من العلم النافع والعمل الصالح، وإلا ذهب الله تعالى به أحوج ما كان إليه صاحبه. فطابق مثلهم في الدنيا بحالتهم التي هم عليها في هذه الدار، وبحالتهم يوم القيامة عند ما يقسم النور.

ومن هاهنا يعلم السر في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ نُورَهُمْ﴾ [البقرة: ١٧] ولم

يقول أذهب الله نورهم.

فإن أردت زيادة بيان وإيضاح، فتأمل ما رواه مسلم في صحيحه من

حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وقد سئل عن الورود؟ فقال: «نجيء نحن يوم القيامة على تل فوق الناس: قال: فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد: الأول فالأول، ثم يأتي ربنا تبارك وتعالى بعد ذلك، فيقول: من تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك قال: فينطلق بهم، فيتبعونه، ويعطي كل إنسان منهم - منافق أو مؤمن - نورا ثم يتبعونه. وعلى جسر جهنم كلاب وحسك، تأخذ من شاء الله تعالى. ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون. فتنجو أول زمرة، وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفا لا يحاسبون. ثم الذين يلونهم. كأضواء نجم في السماء، ثم كذلك. ثم تحل الشفاعة، ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء الجنة، ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء. وذكر باقي الحديث».

فتأمل قوله: «فينطلق فيتبعونه، ويعطى كل إنسان منهم نور: المنافق والمؤمن».

ثم تأمل قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧] وتأمل حالهم إذ أطفئت أنوارهم، فبقوا في الظلمة، وقد ذهب المؤمنون في نور إيمانهم يتبعون ربهم عز وجل.

وتأمل قوله ﷺ في حديث الشفاعة: «لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع كل مشرك إلهه الذي كان يعبد» والموحد حقيق بأن يتبع الإله الحق الذي

كل معبود سواه باطل.

وتأمل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٤٢)

[القلم: ٤٢] وذكر هذه الآية في حديث الشفاعة في هذا الموضوع، وقوله في الحديث: «فيكشف عن ساقه».

وهذه الإضافة تبين المراد بالساق المذكور في الآية.

وتأمل ذكر الانطلاق واتباعه سبحانه تعالى بعد هذا. وذلك يفتح لك باباً من أسرار التوحيد، وفهم القرآن، ومعاملة الله سبحانه وتعالى لأهل توحيدهم الذين عبدوه وحده، ولم يشركوا به شيئاً، هذه المعاملة التي عامل بمقابلتها أهل الشرك حيث ذهبت كل أمة مع معبودها، فانطلق بها واتبعته إلى النار.

وانطلق المعبود الحق واتبعه أوليائه وعابدوه. فسبحان الله رب العالمين.

قرت عيون أهل التوحيد به في الدنيا والآخرة، وفارقوا الناس فيه أحوج ما كانوا إليهم.

ومنها: أن المثل الأول متضمن لحصوله الظلمة، التي هي الضلال والحيرة التي ضدها الهدى. والمثل الثاني: متضمن لحصول الخوف الذي ضده الأمن. فلا أمن ولا هدى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) [الأنعام: ٨٢].

قال ابن عباس وغيره من السلف: مثل هؤلاء في نفاقهم كمثل رجل أوقد

نارا في ليلة مظلمة في مفازة فاستضاء ورأى ما حوله، فاتقى ما يخاف، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره، فبقي في ظلمته خائفا متحيرا. كذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمنوا على أموالهم وأولادهم، وناكحوا المؤمنين ووارثوهم، وقاسموهم الغنائم. فذلك نورهم. فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف. قال مجاهد: إضاءة النور لهم: إقبالهم إلى المسلمين والهدى، وذهاب نورهم: إقبالهم إلى المشركين والضلالة. وقد فسرت تلك الإضاءة وذهاب النور: بأنها في الدنيا، وفسرت بأنها في البرزخ وفسرت بيوم القيامة. والصواب: أن ذلك شأنهم في الدور الثلاثة، فإنهم لما كانوا كذلك في الدنيا جوزوا في البرزخ وفي القيامة بمثل حالهم، جزاء وفاقا وما ربك بظلامٍ للعبيد فإن المعاد يعود إلى العبد فيه ما كان حاصلا منه في الدنيا.

ولهذا يسمى يوم الجزاء ﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٢] ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [مريم: ٧٦] ومن كان مستوحشا مع الله بمعصيته إياه في هذه الدار فوحشته معه في البرزخ ويوم المعاد أعظم وأشد. ومن قرت عينه به في هذه الحياة الدنيا قرت عينه به يوم القيامة وعند الموت ويوم البعث، فيموت العبد على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه. ويعود عليه عمله بعينه، فينعم ظاهرا وباطنا، فيورثه من الفرح والسرور واللذة والبهجة، وقررة العين والنعيم، وقوة القلب واستبشاره وحياته وانسراحه - ما هو من أفضل النعيم، وأجله وأطيبه وألذ، وهل النعيم إلا طيب النفس، وفرح القلب وسروره وانسراحه، واستبشاره؟.

هذا وينشأ له من أعماله ما تشتهيئه نفسه، وتلذ عينه من سائر المشتهيات التي تشتهيها الأنفس وتلذها الأعين، ويكون تنوع تلك المشتهيات وكمالها وبلوغها مرتبة الحسن والموافقة بحسب كمال عمله ومتابعته فيه وإخلاصه، وبلوغه مرتبة الإحسان فيه وبحسب تنوعه، فمن تنوعت أعماله المرضية المحبوبة له في هذه الدار تنوعت الأقسام التي يتلذذ بها في تلك الدار، وتكثرت له بحسب تكثر أعماله هنا وكان مزيده متبوعها والابتهاج بها، والالتذاذ هناك على حسب مزيده من الأعمال ومتبوعه فيها في هذه الدار.

وقد جعل الله سبحانه لكل عمل من الأعمال المحبوبة له والمسخوطة أثراً وجزاء ولذة ونعيمًا يخصه، لا يشبه أثر الآخر وجزاءه. لهذا تنوعت لذات أهل الجنة، وآلام أهل النار، وتنوع ما فيها من الطيبات والعقوبات. فليست لذة كل من ضرب في كل مرضاة الله بسهم وأخذ منها بنصيب كلذة من إنما سهمه ونصيبه في نوع واحد منها ولا ألم من ضرب في كل مساخط الله بنصيب كآلم من ضرب بسهم واحد في مساخطه.

وقد أشار النبي ﷺ إلى أن كمال ما يستمتع به العبد من الطيبات في الآخرة بحسب كمال ما يقابله من الأعمال في الدنيا، فقد رأى قنواً من حشف معلقاً في المسجد للصدقة.

فقال: «إن صاحب هذا يأكل الحشف يوم القيامة» فأخبر أن جزاءه يكون من جنس عمله، فيجزئ على تلك الصدقة بحشف من جنسها.

وهذا الباب يفتح لك أبواباً عظيمة من فهم السعادات، وتفاوت الناس في أحواله، وما يجري فيه من الأمور.

وذكر ابن القيم المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا....﴾ [البقرة: ١٧] فقال:

شبه الله تعالى حال المنافقين في خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد النار، وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله؛ لأن المنافقين بمخالطتهم المسلمين وصلاتهم معهم، وصيامهم معهم، وسماعهم القرآن، ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره، قد شاهدوا الضوء ورأوا النور عياناً. ولهذا قال تعالى في حقهم فهم لا يرجعون إليه. لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبسوا به واستناروا. فهم لا يرجعون إليه. وقال تعالى في حق الكفار فهم لا يعقلون لأنهم لم يعقلوا الإسلام، ولا دخلوا فيه، ولا استناروا له، لا بل يزالون في ظلمات الكفر صم بكم عمي.

فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافياً. وإلى الإيمان وحقائقه منادياً، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعياً، وإلى طريق الرشاد هادياً. لقد اسمع منادي الإيمان لو صادف آذاناً واعية، وشفقت مواعظ القرآن لو وافقت قلوباً خالية. ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات فأطفأت مصابيحها. وتمكنت منها أيدي الغفلة والجهالة فأغلقت أبواب رشدتها وأضاعت مفاتيحها. وران عليها كسبها فلم ينفع فيها الكلام، وسكرت بشهوات الغي وشبهات الباطل، فلم تصنع بعد

إلى الملام.

ووعظت بمواعظ أنكى فيها من الأسنه والسهام، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة، وأسر الهوى والشهوة. وما لجرح بميت إيلام.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في التفسير القيم:

ثم ضرب الله سبحانه لهم مثلاً آخر مائياً. فقال تعالى:

﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيٓءِذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ

حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ [البقرة: ١٩].

فشبه نصيبهم مما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ من النور والحياة بنصيب مستوقد النار التي طفئت عنه أحوج ما كان إليها. فذهب نوره، وبقي في الظلمات حائرًا تائهاً، لا يهتدي سبيلاً، ولا يعرف طريقاً، وبنصيب أصحاب الصيِّب، وهو المطر الذي يصب، أي ينزل من علو إلى سفلى. فشبه الهدى الذي هدى به عباده بالصيِّب. لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر، وشبه نصيب المنافقين من هذا الهدى بنصيب من لم يحصل له نصيب من الصيِّب إلا ظلمات ورعد وبرق، ولا نصيب له فيما وراء ذلك، مما هو المقصود بالصيِّب من حياة البلاد والعباد، والشجر والدواب، فإن تلك الظلمات التي فيه، وذلك الرعد والبرق مقصود لغيره، وهو وسيلة إلى كمال الانتفاع بذلك الصيِّب.

فالجاهل لفرط جهله يقتصر على الإحساس بما في الصيِّب من ظلمة ورعد وبرق، ولوازم ذلك: من برد شديد وتعطيل مسافر عن سفره، وصانع

عن صنعته، ولا بصيرة له تنفذ إلى ما يؤول إليه أمر ذلك الصيب من الحياة والنفع العام، وهكذا شأن كل قاصر النظر ضعيف العقل، لا يجاوز نظره الأمر المكروه الظاهر إلى ما وراءه من كل محبوب. وهذه حال أكثر الخلق، إلا من صفت بصيرته. فإذا رأى ضعيف البصيرة ما في الجهاد من التعب والمشاق، والتعرض لإتلاف المهجة والجراحات الشديدة، وملامة اللوام، ومعاناة من يخاف معاداته. لم يقدم عليه، لأنه لم يشهد ما يؤول إليه من العواقب الحميدة، والغايات التي إليها تسابق المتسابقون، وفيها تنافس المتنافسون، وكذلك من عزم على سفر الحج إلى البيت الحرام فلم يعلم من سفره ذلك إلا مشقة السفر، ومفارقة الأهل والوطن، ومقاساة الشدائد، وفراق المألوفات، ولا يجاوز نظره وبصيرته آخر ذلك السفر ومآله وعاقبته فإنه لا يخرج إليه، ولا يعزم عليه. وحال هؤلاء حال الضعيف البصيرة والإيمان، الذي يرى ما في القرآن من الوعد والوعيد، والزواجر والنواهي، والأوامر الشاقة على النفوس التي تفتطمها عن رضاها من ثدي المألوفات والشهوات، والفظام على الصبي أصعب شيء وأشقه.

والناس كلهم صبيان العقول، إلا من بلغ مبلغ الرجال العقلاء الألباء، وأدرك الحق علمًا وعملاً ومعرفة، فهو الذي ينظر إلى ما وراء الصيب وما فيه من الرعد والبرق والصواعق، ويعلم أنه حياة الوجود.

وقال الزمخشري: لقائل أن يقول: شبه دين الإسلام بالصيب، لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر، وما يتعلق به من تشبيه الكفر بالظلمة

وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق، وما يصيب الكفرة من الأفزاع من البلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق. والمعنى: أو كمثل ذوي صيب.

والمراد: كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة، فلقوا منها ما لقوا. قال: والصحيح الذي عليه علماء أهل البيان لا يتخطونه: أن المثليين جميعاً من جهة التمثيلات المترتبة، دون المفارقة، لا يتكلف لواحد واحد شيء بقدر شبهه فيه.

وهذا القول الفحل، والمذهب الجزل، بيانه: أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولاً بعضها من بعض، لم يأخذ هذا بحجزة ذاك. فتشبهها بنظائره، كما جاء في القرآن حيث شبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً بأخرى مثلها. كقوله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]

الغرض: تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة. وتساوي الحالين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأحمال ولا يشعر من ذلك إلا بما يزيده من الكد والتعب، وكقوله تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ [الكهف: ٤٥] المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء هذا النبات. فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوية بعضها ببعض، وتصويرها شيئاً واحداً فلا

كذلك، لما وصف من وقوع المنافقين في ضلالتهم، وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة، فشبه حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل. وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة، مع رعد وبرق وخوف من الصواعق.

قال: فإن قلت أي المثلين أبلغ؟.

قلت: الثاني. لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر، وفضاعته.

وكذلك أفرادهم يتدرجون في مثل هذا من الأهون إلى الأغلظ.

وقال أيضاً ص ١٢٧ (التفسير القيم):

قول الله تعالى ذكره:

﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيءِ أَذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ

حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ [البقرة: ١٩].

الصيب: المطر الذي يصب من السماء أي ينزل منها بسرعة، وهو مثل للقرآن الذي به حياة القلوب، كالمطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان. فأدرك المؤمنون ذلك منه، وعلموا ما يحصل لهم به من الحياة التي لا خطر لها. فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق وهو الوعيد والتهديد والعقوبات والمثلاث، التي حذر الله بها من خالف أمره. وأخبر أنه منزلها على من كذب رسول الله ﷺ، أو ما فيه من الأوامر الشديدة، كجهاد الأعداء والصبر على الأمر، أو الأوامر الشاقة على النفوس التي هي خلاف أهوائها، فهي كالظلمات والرعد والبرق. ولكن من علم مواقع

الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش لما معه من الظلمة والرعد والبرق. بل يستأنس بذلك ويفرح به، لما يرجو من ورائه من الحياة والخصب.

وأما المنافق فإنه قد عمي قلبه، ولم يجاوز بصره الظلمة، ولم ير إلا برقًا يكاد يخطف البصر، ورعدًا عظيمًا وظلمة، فاستوحش من ذلك وخاف منه. فوضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع صوت الرعد، وهاله مشاهدة ذلك البرق، وشدة لمعانه، وعظم نوره. فهو خائف أن يختطف بصره. لأن بصره أضعف من أن يثبت معه. فهو في ظلمة يسمع أصوات الرعد القاصف، ويرى ذلك البرق الخاطف. فإن أضاء له ما بين يديه مشي في ضوئه. وإن فقد الضوء قام متحيرًا، لا يدري أين يذهب، ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصيب الذي به حياة الأرض والنبات، وحياته هو في نفسه، بل لا يدرك إلا رعدًا وبرقًا وظلمة، ولا شعور له بما وراء ذلك. فالوحشة لازمة له. والرعب والفرع لا يفارقانه، وأما من أنس بالصيب، وعلم ما يحصل به من الخير والحياة والنعف، وعلم أنه لا بد فيه من رعد وبرق وظلمة بسبب الغيم، فإنه يستأنس بذلك، ولا يستوحش منه، ولا يقطع ذلك عن أخذه بنصيبه من الصيب.

فهذا مثل مطابق للصيب الذي نزل به جبريل عليه السلام من عند رب العالمين تبارك وتعالى على قلب رسول الله ﷺ، ليحيي به القلوب والوجود أجمع، اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما

يقارن الصيب من الماء، حكمة بالغة، وأسباباً منتظمة، نظمها العليم الحكيم.

فكان حظ المنافق من ذلك الصيب سحابه ورعوده وبروقه فقط. لم يعلم ما وراءه، فاستوحش بما أنس به المؤمنون، وارتاب مما اطمأن به العالمون، وشك فيما تيقنه المبصرون العارفون. فبصره في المثل الناري كبصر الخفاش في نحر الظهيرة، وسمعه في المثل المائي كسمع من يموت من صوت الرعد. وقد ذكر عن بعض الحيوانات أنها تموت من سماع الرعد. فإذا صادف هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية، وخيالات فاسدة، وظنون كاذبة، جالت فيها وصالت، وقامت بها وقعدت، واتسع فيها مجالها، وكثر قيلها وقالها. فملأت الأسماع من هذيانها، والأرض من دواوينها، وما أكثر المستجيبين لهؤلاء والقابلين منهم، والقائمين بدعوتهم، والمحامين عن حوزتهم، والمقاتلين تحت ألويتهم، والمكثرين لسوادهم. ولعموم البلية بهم وضرر القلوب بكلامهم - هتك الله أستارهم في كتابه غاية الهتك، وكشف أستارهم غاية الكشف، وبين علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم، ولم يزل عز وجل يقول: ومنهم، ومنهم، ومنهم. حتى انكشف أمرهم وبيانت حقائقهم، وظهرت أسرارهم.

وهذا مثال أستعين بالله عز وجل لشرحه، وما كان من صواب فمن الله عز وجل فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن وما كان من خطأ أو شطط فمن نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله منه ، وقد ذكرته في تفسير سورة النور

في تفسير قوله تعالى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ الآيات.

[النور: ٣٥]

فأقول، وبالله التوفيق، ذاكراً كلام عددٍ من أهل العلم مضموماً بعضه إلى بعض من إضافات أخر تجليةً للمعنى وإظهاراً للفوائد وما توفيقى إلا بالله.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

كقول النبي ﷺ: «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن» (١).

وقوله: ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾ أي: مثل نوره في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: والمشكاة: هي الطاقة تكون في الغرفة فيها مصباح ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ أي: أن المصباح موضوع في زجاجة، والزجاجة موضوعة في المكشاة التي هي الطاقة كي تشع الضوء للغرفة فشبه قلب المؤمن بتلك الزجاجة التي حملت جملة مواصفات فهي أولاً: زجاجة مصباح، وزجاج المصباح بالطبع زجاج رقيق، وثانياً: هي مع رقتها صلبة في غاية الصلابة ويضاء ناصعة البياض إذ هي كالكوكب الدرّي.

وكذلك قلب المؤمن أبيض ناصع البياض صلب في غاية الصلابة

(١) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٣/٣) وكذلك حديث (٦٣١٧) وفي غير موضع من صحيحه ومسلم مع النووي (٥٤/٦) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

فجمعت الزجاجة بين الرقة والبياض والصلابة.

كذلك قلب المؤمن رقيق أبيض صلب، رقيق لأهل الإيمان، كما قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَةً مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَوْ كُنْتَ قَطًّا غَلِيظًا لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

[آل عمران: ١٥٩]

وكما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

[الفتح: ٢٩]

وكما قال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

[الشعراء: ٢١٥]

فقلب المؤمن رقيق لأهل الإيمان، يتألم لألمهم ويتوجع لوجعهم ويحزن لحزنهم، كما قال النبي ﷺ: «...وأهل الجنة ثلاثة... ورجلٌ رحيمٌ رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم»^(١).

وفي الوقت نفسه فهو قلب صلب في غاية الصلابة، صلبٌ في الحق والتمسك به صلبٌ في وجوه أعداء الله، كما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وكما قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّبُوا عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَاجِدُوا فِيكُمْ غِلظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣].

هذا هو قلب المؤمن رقيقٌ لأهل الإيمان شديد على المبطلين، صلب في التمسك بالحق.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه.

وهو في الوقت نفسه قلب أبيض ناصع البياض كزجاجة المصباح، ومن المعلوم أن زجاجة المصباح يترسب عليها سواد يومًا بعد يوم، وهذا السواد يحتاج إلى إزالة وإلى تنظيف، ويظهر ذلك في مصباح الكيروسين الذي كان يستعمل قديمًا فكانت الأمهات يوميًا ينظفن زجاج المصباح حتى يشع أكبر قدرٍ من الضوء، وحتى لا يحجب هذا السواد الإضاءة ويمنعها من الخروج إلى الغرفة، فيومًا بعد يوم كان ينظف، وإذا اشتد سواده يومًا لزم مسح هذا الزجاج ولا بد، وكما أسلفنا فقلب المؤمن شبه هذه الزجاجة - زجاجة المصباح - وكما أسلفنا فالعبد يذنب ولا بد، والذنب يترك سوادًا على القلب وكذلك آثارًا ونكتًا كما جاء عن رسول الله ﷺ: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، ذاك الرين الذي ذكره الله عز وجل في القرآن ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤)» [المطففين: ١٤].

وكما قال النبي ﷺ: «تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا فأیما قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأيما قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء...»^(٢) الحديث.

فلا بد أن تزال هذه الأوساخ التي ترسبت على القلب وتزال وإلا تراكمت عليه فأهلكته وأظلمته وأماتت الإيمان بداخله، كما يحدث للضوء

(١) أحمد في المسند (٢٩٧/٢) بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم، (حديث ١٤٤).

داخل الزجاجة السوداء المظلمة المعتمة.

ومزيلات هذه الأوساخ والقاذورات يكون بعون الله ثم بالاستغفار (الدائم المستمر)، ومن ثم قال النبي ﷺ: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم واللييلة مائة مرة»^(١).

وعلى ما تقدم فقد كان الصحابة يعدُّون لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد: «رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور» (مائة مرة)^(٢). فإذا داوم العبد على الاستغفار وحافظ عليه ولزمه ورد المظالم إلى أهلها، أزيل أثر الذنوب الذي ترسب على القلب وأصبح القلب أبيض شفافاً صافياً يخرج منه نور الإيمان إلى الصدر فيضيء الصدر ويتجه هذا النور إلى سائر الجوارح فتتحرك الجوارح في طاعة الله، فلا تبطش اليد إلا فيما أذن الله لها بالبطش فيه، ولا تخطو الرجل إلا إلى حيث أمرها الله، ولا يتكلم اللسان إلا بما يرضي الله، ولا تستمع الأذن إلا إلى ما يحبه الله، ولا تنظر العين إلى محارم الله، وكذلك الفؤاد تجده دائم الفكر في طاعة الله وفيما يقرب العبد من الله.

* هذا النور يشع ويخرج من الجسد إلى البيت فلا ترى في البيت شيئاً يغضب الله، ولا ترى فيه هذا الصخب وهذا الضجيج وهذا التمرد على الله، بل ترى آثار الطاعات على البيت، تسمع منه تلاوة القرآن، ترى فيه آثار

(١) مسلم (٢٣/١٧) مع النووي.

(٢) صحيح، أخرجه أبو داود (١٥١٦) وعبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (٧٨٤).

الوقار، وأثر الفقه والطهارة، ترى أهله ركعًا سجدًا خشعًا، لا يأكلون الحرام ولا يشهدون الزور ولا يخوضون مع الخائضين.

* هذا النور الذي شع من القلب وخرج إلى الجسد والصدر يصاحب صاحبه أيضًا في القبر، ويأتي أثره في صورة رجل أبيض الوجه حسن الثياب يقول لصاحبه إذا سأله: من أنت فوجهك الوجه يأتي بالخير؟ فيقول له: أنا عمك الصالح.

* هذا النور وهذا الضياء يضيء لصاحبه وينير له الطريق، يوم تقسم الأنوار يوم القيامة، والناس في أحوج ما يكونون إلى هذه الأنوار، تقسم الأنوار في الظلمات يوم القيامة للمرور على الصراط وللنجاة من سائر الكربات، يومها يقول المنافقون والمنافقات:

﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْظَرُوْنَا نَقِيْسًا مِّنْ نُورِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُٗ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يَنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتِنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾﴾

[الحديد: ١٣، ١٤]

* فهذه الأنوار التي ملأت تلك القلوب في الدنيا تقود أصحابها يوم القيامة إلى فسيح الجنان.

* وعلى العكس إذا ترسبت الذنوب على القلوب حجب نور الإيمان وكاد أن يطفأ بل طفى فأصبح القلب مظلمًا وأصبح الصدر مظلمًا وأصبحت الجوارح تتحرك في ظلام، يدّ تبطش خبط عشواء، ورجل تمشي

على غير هدى ولسان يتكلم ولا يكاد يبين، وأذن تستمع إلى ما يسخط الله عليها وعلى صاحبها، أما العين فتتنظر إلى الحرام وبلا هوادة.

* هذه قلوب أحاطت بها آثار الذنوب وغشيتها آثار المعاصي فتحررت جوارح أصحابها في سخط ومساقط، وفي جهل وجهالاً.

* هذه الظلمات التي صاحبت هذه القلوب الآثمة التي لم يحرص أصحابها على تنقيتها بالاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله ورد المظالم إلى أهلها، هذه الظلمات تصاحب صاحبها في بيته فتجد بيوتاً مظلمة وإن كانت مشتعلة بأضواء الدنيا، لكنها بيوت مظلمة، بيوت ميتة، بيوت علتها الظلم وغشيتها الحجب وأحدقت بها الشياطين.

هذه الظلمات تصاحب أصحابها إلى قبورهم فتأتيهم في صورة ذلك الرجل أسود الوجه قدر الثياب يقول لصاحبه: أنا عمك السييء.

* هذه الظلمات تصاحب أصحابها عند خروجهم من القبور فيتحركون في ظلمات تطفأ عنهم الأنوار وهم في أمس الحاجة إليها، تخطفهم الكلاب عند مرورهم على الصراط فيتساقطون في النيران - والعياذ بالله - على قدر أعمالهم.

فهذه نتيجة الجرائم، وهذه آثار النفاق، وهذا من شؤم المعصية والكفر - والعياذ بالله -.

* أما أهل الإيمان أصحاب القلوب البيضاء النقية الصافية، فكما أسلفنا قادمون نورهم حتى دخلوا الجنان، بل وفي الجنان عليهم النور

كذلك والحسن والبهاء.

ولنرجع إلى مزيد بيان لحال قلوبهم في الدنيا.

إنها قلوب رقيقة صلبة بيضاء، إنها بيضاء فخرج منها النور إلى سائر الصدر والجسد، ترى ما هي مادة وقودها؟ إنها توقد بخير الوقود وخير الزيوت إنها توقد من شجرة مباركة زيتونة، كذلك قلب المؤمن مادته ووقوده إيمان بالله وفطرة سليمة صحيحة مزجت بعلم شرعي علم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فكما أن زيت الزيتون من حسنه ونقاؤه وصفائه يكاد يضيء، ولو لم تمسه نار، فكذلك الفطرة السليمة والإيمان في قلب المؤمن يجعله يتكلم بالحكمة وينطق بالدليل من قبل أن يأتيه الدليل ومن قبل أن يعرف الآية والحديث.

فإذا مست النار زيت الزيتون أضاءت خير إضاءة وأنارت خير إنارة.

كذلك قلب المؤمن إذا صادفت الفطرة الصحيحة التي فيه والإيمان الذي به إذا صادفت هذه وذاك العلم الشرعي - العلم بالكتاب والعلم بالسنة - أعطت خير إضاءة على الإطلاق وأنارت خير إنارة على الإطلاق، فاجتمعت جملة أنوار، نور الإيمان والفطرة الصحيحة مع نور الحق والدليل والبرهان من الكتاب والسنة، كل ذلك أضاء وخرج من زجاجة صافية بيضاء نقية فأعطى خير إضاءة وأوضح غاية الإيضاح فكان - بعد - قائداً لصاحبه إلى الجنة.

ولكن هذا النور وهذه الهداية كل ذلك من عند الله: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥] إنها هداية من الله سبحانه وتعالى؛ فجدير بالعبء أن يسأل ربّه إياها، جدير بالعبء أن يلتمسها من الله ويرجوها منه سبحانه، جدير بالعبء أن يسأل ربه سلامة قلبه وصلاحه ونقاؤه وصفائه، فهو سبحانه الوهاب.

فيا عبد الله كيف بك إذا ارتديت ثوباً أبيضاً جميلاً حسناً ثم جاءت عليه بقعة سوداء، هل تحب أن تبقى هذه البقعة عليه أم أنك تبادر بإزالتها وغسلها ومحوها؟!؟

قطعاً ستبادر بغسلها ومحوها وإزالتها ولا شك.

فلم ترضى أن يكون قلبك - القلب الأبيض قلب المؤمن - ملوثاً بالذنب ومدنساً بالمعصية؟!؟
إن أمرك لعجيب حقاً!!

أتدري من ينظر إلى قلبك؟ إن الذي ينظر إلى قلبك هو الله سبحانه وتعالى فلم لا تنظف قلبك حتى يراه الله على خير حال، لم لا تظهر أمام ربك بمظهر حسن قلباً وقالباً؟!؟

بادر يا عبد الله بالاستغفار، بادر بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الله، سل ربك أن يتوب عليك وأن يغسل عنك الخطايا بالماء والثلج والبرد.

أخي، إنها تذكرة فلا تعرض عنها، إنها موعظة فلا تنساها ألا وهي: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» قال

ذلك النبي ﷺ، وفي بعض الروايات: «التقوى هاهنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات (١).

* ونعتذر، ونتوب إلى الله ونستغفر إذا كنا قلنا شيئاً في كتابه غير مراده سبحانه وتعالى - فهو سبحانه وتعالى أعلم بمراده - ولكننا رأينا أهل العلم توسعوا في شرح الأمثال وجاءت عنهم في الباب عدة أقوال؛ فتقلدنا قولاً نسأل الله أن يكون موافقاً لعمومات الكتاب والسنة المطهرة، فما كان في هذا القول من صواب فمن الله سبحانه وتعالى فهو صاحب الفضل وله النعمة والثناء الحسن، وما كان فيه من خطأ فمن أنفسنا ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه ونستغفر الله من كل خطأ وزلل، والله الهادي إلى سواء السبيل.

ويدخل فيها (أي في الأمثال) الرؤيا.

فقول يوسف عليه السلام: ﴿يَتَأْتِيَ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴿يوسف: ٤﴾.

تأويلها فيما بعد:

أن الأحد عشر كوكباً: إخوته.

والشمس والقمر: هما أبوه وأمه.

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَأْتِيَ هَذَا

تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ رَأْيِي حَقًّا ﴿١٠٠﴾ ﴿يوسف: ١٠٠﴾.

(١) مسلم (حديث ٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكذلك رؤيا السجينين مع يوسف في السجن:

﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرِنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا
تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ [يوسف: ٣٦].

وتأويل يوسف عليه السلام ذلك بأن الذي يعصر خمرا سينجو ويرجع
خادما للملك بقوله: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمْ فَسَيَقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١].

وتأويله للآخر بأنه سيصلب إذ قال وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من
رأسه.

وكذلك تأويله للسبع بقرات العجاف بأنها سنوات الشدة والسبع
السمان بأنها سنوات الرخاء.

متفرقات

فصل في نزول القرآن

نزل القرآن على رسول الله ﷺ أول ما نزل - أعني بداية نزوله - في ليلة القدر من رمضان في غار حراء ثم نزل بعد ذلك على رسول الله ﷺ منجماً - أي بحسب الوقائع والأحوال والمناسبات - وهناك آيات نزلت ابتداءً دون سبب ظاهر، وهذا كثيرٌ جداً في الكتاب العزيز، وهذا الذي ذكر للآتي:

قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١].

ولقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ

أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ [الدخان: ٣-٤].

أما نزوله على رسول الله ﷺ في غار حراء فلما أخرجه البخاري ومسلم^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصُّبْحِ ثم حُبَّ إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها حتّى جاءه الحقُّ وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ قال: «ما أنا بقارئ» قال: « فأخذني فغطني حتّى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ قلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتّى بلغ مني

(١) البخاري حديث (٣)، ومسلم (١٦٠).

الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئٍ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي» فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق... فذكر الحديث.

أما كونه نزل بعد ذلك منجمًا بحسب الوقائع فقد قال تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢].

فمفاده أن القرآن نزل مفرقًا لتثبيت فؤاد النبي ﷺ، وهذا أمرٌ - أعني نزوله مفرقًا - مقطوع به ومعلوم فمن الآيات ما هو مكي ومنها ما هو مدني، وأسباب نزول الآيات توضح ذلك.

هذا ويمكن الجمع بين قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١﴾

[القدر: ١]

وبين ما ذكر من نزوله مفرقًا بوجهين:

فيقال يراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١﴾ أي: بدأ نزوله فيها أو يقال: إنه نزل جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل مفرقًا (منجمًا) بحسب الوقائع، والله أعلم.

المحكم والمتشابه

* والقرآن كله محكم باعتبار إتقانه وجودته وجودة ألفاظه وفصاحته وبلاغته وصدق آياته فلا كذب فيها ولا تناقض ولا خلل فيها ولا اختلاف، ولا جور فيها ولا ظلم ولا خلل فيها ولا تضاد، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

وهذا الإحكام، والله تعالى أعلم - هو المعنى بقوله تعالى: ﴿كَتَبَ أَحْكَمَتْ أَيْنَهُ ثُمَّ فَضَّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ (هود: ١). وقد يحتمل قوله تعالى: ﴿أَحْكَمَتْ﴾ أجملت.

* وكذلك فإنه متشابه باعتبار حسنه وكماله وجماله وحلاوته وتأثيره. فكله حسن ومؤثر وجميل ومتقن و....

وكما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]. وهناك ما هو محكم باعتبار كونه مفهومًا واضحًا جليًا، ومتشابه باعتبار احتمال تعدد المعاني عند بعض الناس، وعدم وضوحها لأناس آخرين، وكذا محكم باعتبار أنه لم ينسخ ومتشابه باعتبار أنه منسوخ.

فالواجب أن يرد المتشابه إلى المحكم في بابه حتى يتضح المعنى المراد إن كان غامضًا، وحتى يظهر المراد بجلاء لمن كان عنده التباس. فمثال ذلك قوله تعالى في شأن عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى

أَبْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴿ [النساء: ١٧١].
 قد تلتبس معناها على البعض ، وخاصة قوله تعالى: ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ فترد
 إلى المحكم في قوله تعالى في شأن عيسى عليه السلام أيضًا: ﴿ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا
 عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ﴿ [الزخرف: ٥٩].
 وإلى المحكم في قوله تعالى: ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا
 لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ
 جَمِيعًا ﴾ ﴿ [النساء: ١٧٢].

وإلى المحكم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى
 الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ ﴿ [مريم: ٩٣].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ
 يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ ﴿ [الإخلاص: ١-٤].
 وقوله تعالى: ﴿ يَعْجَسِي ابْنِ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ
 عَلِمْتَهُ ﴾ - إلى قوله -: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي
 وَرَبَّكُمْ ﴾ ﴿ [المائدة: ١١٦-١١٧].

ثم إن آدم أيضًا عليه السلام نفخ الله عز وجل فيه من روحه ولم يقل
 أحدٌ أنه ابن الله، تعالى الله عن أن يكون له ولدٌ علوًا كبيرًا.
 * وكذلك في هذا الباب قد يفهم قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي
 الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾ ﴿ [الزخرف: ٨٤]. على غير وجهه فإذا رددناه إلى المحكم في قوله

تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾ ﴿١٦﴾ [الملك: ١٦] اتضح معناه، وكذا إذا رددناه إلى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه: ٥]، اتضح معناه وكذا إذا رددناه إلى قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] ونحوها من الآيات الدالة على أن الله عز وجل في السماء، لا تضح المعنى .

فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤] .

أي: معبود يعبداه أهل السماء وأهل الأرض . والله أعلم .

وكذلك قد يفهم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] على غير وجهه، فإذا رددته إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿١٦﴾ [طه: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧﴾ [المجادلة: ٧] .

لعلت أن الآية بدئت بالعلم وختمت به فقوله تعالى: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾

أي: يسمعهم ويراهم ويعلم أحوالهم . والله أعلم .

وقد يفهم البعض من قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أن

المؤمنين لن يروا ربهم عز وجل في الآخرة، ولكن إذا علم أن الرؤية تختلف عن الإدراك فقد تحصل الرؤية ولكن لا يحصل الإدراك كما قال تعالى في شأن جمع موسى عليه السلام، وجمع فرعون: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ

﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢]. فحصلت الرؤية ولم يحصل الإدراك.

وكذا إذا ردت إلى قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَيْنَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾

[القيامة: ٢٢-٢٣]

وقد سئل النبي ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة، قال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا» قالوا: لا، قال: «فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما»^(١). والآيات والأحاديث في هذا الصدد كثيرة.

هذا، وقد يفهم شخص ما فهمته الخوارج من قوله تعالى: ﴿بَكَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة: ٨١] أن أصحاب الكبائر والسيئات مخلدون في النار وأنها لا تغفر ولكن إذا ردها إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. لعلم أن الله عز وجل قادرٌ على مغفرتها وأنا ليست من الشرك.

وهذا مزيد من أقوال أهل العلم في المحكم والمتشابه:

١- منهم من يقول: إن المحكمات هي آيات الحلال والحرام والأحكام والفرائض، والمتشابهات هي آيات الأمثال ونحوها.

٢- القول الثاني: إن المحكمات هي التي لم تنسخ، والمتشابهات هي

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

المنسوخة^(١).

٣- القول الثالث: إن المحكمات هي ما علم الناس تأويله، والمتشابهات ما لم يعلمه الناس كوقت الساعة وخروج يأجوج ومأجوج مثلاً ونحو ذلك.

* وهذا ثم أقوال آخر في هذا الباب:

والذي يظهر لي - والعلم عند الله تعالى - أن المراد بالمحكمات هن الآيات الواضحات البينات اللاتي لم تنسخ، وهي أصل الكتاب الذي يرجع إليه عند الاشتباه والاختلاف^(٢)، وهي آيات يعلمها وتأويلها أكثر الناس، أما الآيات المتشابهات فهي التي تحمل جملة معان وتشتبه معانيها على كثير من الناس، وهذا كما جاء في حديث رسول الله ﷺ: «الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ وبينهما مشبهات»^(٣) لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في المشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعها.... الحديث^(٤). والله تعالى أعلم.

فالواجب على المسلم إذا اشتبهت عليه آية أن يردّها إلى المحكم في بابها حتى يندفع عنه الإشكال، ويقول كما قال الراسخون في العلم آمنا به

(١) وهذا القول مروى عن قتادة عند الطبري (٦٥٧٧) بإسناد حسن.

(٢) إن ظهر لأحد اختلاف في شيء.

(٣) وفي رواية: (مشبهات).

(٤) أخرجه البخاري (٥٢، ٢٠٥١)، ومسلم (حديث ١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً.

كل من عند ربنا إذ الله تبارك وتعالى قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٧-٨].

وصح عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ إلى قوله: ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»^(١).

في هذا الباب أيضاً:

حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوماً يتدارءون فقال: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا ضَرَبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، وَإِنَّمَا أَنْزَلَ كِتَابَ اللَّهِ لِيُصَدِّقَ بَعْضَهُ بَعْضًا، فَلَا تَكْذِبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ فَكُلُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ»^(٢).

هذا، وقد يطرح سؤال حاصله.

لماذا لم يأت القرآن كله محكمًا بل جاء منه المحكم ومنه المتشابه؟

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧).

(٢) إسناده حسن، وأخرجه عبد الرزاق (٢١٦/١١) وأحمد (١٨٥/٢) وثم بعض العلل في هذا

الحديث وانظر تعليقي على الحديث في كتابي التسهيل (آل عمران) ص ٣٦.

وجواب ذلك ابتداء وانتهاء العلم به موكول إلى الله عزَّ وجل، ثم إنه قد قال بعض أهل العلم: إن من فوائد إيراد المتشابه امتحان قلوب العباد في التصديق، وبيان فضيلة الراسخين في العلم، إذ يقولون عند ورود المتشابه: أمانا به كلُّ من عند ربنا، وإثابة المجتهدين للوصول إلى الحق على اجتهادهم، وإعمال العقل في تدبر آيات الكتاب العزيز، والله تعالى أعلم.

وأيضاً فقد شاء الله عزَّ وجل أن يفتن أقوام، وقد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

ولعل هذا يتضح أيضاً من قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِنَصِّغِيَ إِلَيْهِ أَفْعَدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣].

فالله سبحانه وتعالى قادر على منع شياطين الجن من الإيحاء إلى شياطين الإنس كما قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ ولكن له حكمة في ذلك وقد قال: ﴿وَلِنَصِّغِيَ إِلَيْهِ أَفْعَدَةَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٣].

والله أعلم.

هذا، وللعلماء أقوال في معنى التأويل، فالتأويل يطلق على أشياء منها:

١ - حقيقة الأمر التي يؤول إليها كما قال يوسف عليه السلام: ﴿يَتَأَبَّتِ

هَذَا تَأْوِيلٌ رَأَيْتِي مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وكقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ

يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴿ [الأعراف: ٥٣]، وكقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ، وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩].

وأصل ذلك من آل الشيء إلى كذا إذا صار إليه ورجع. وهذا الغالب في الكتاب العزيز.

٢- التفسير والبيان:

ومنه قول النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»^(١).

• ومنه قول الملائكة: ﴿وَمَا تَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤] فمحتمله بتفسير الأحلام.

• ومنه أيضاً أقوال العلماء كالطبري رحمه الله إذ يقول: القول في تأويل قول الله عز وجل...

• ومنه قول عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي»^(٢) يتأول القرآن أي: يمثله ويعمل به، والله أعلم.

٣- صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر لقريظة تدل على ذلك^(٣).

قال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» (١/ ٢٣٤): وحاصل تحرير

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٢٨) بإسناد حسن وسيأتي قريباً إن شاء الله.

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/ ٢٨١)، ومسلم (٤/ ٢٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.

(٣) قال الشنقيطي رحمه الله: «أضواء البيان» (١/ ٢٣٤): معناه المتعارف في اصطلاح الأصوليين وهو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح بدليل يدل على ذلك.

مسألة التأويل عند أهل الأصول أنه لا يخلو من واحدة من ثلاث حالات بالتقسيم الصحيح.

الأولى: أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره بدليل صحيح في نفس الأمر يدل على ذلك، وهذا هو التأويل المسمى عندهم بالتأويل الصحيح، والتأويل القريب كقوله ﷺ الثابت في الصحيح: «الجار أحق بصقبه»^(١) فإن ظاهره المتبادر منه ثبوت الشفعة للجار، وحمل الجار في هذا الحديث على خصوص الشريك المقاسم حمل له على محتمل مرجوح، إلا أنه دل عليه الحديث الصحيح المصرح بأنه إذا صرفت الطرق وضربت الحدود فلا شفعة.

الحالة الثانية: أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف دليلاً وليس بدليل في نفس الأمر، وهذا هو المسمى عندهم بالتأويل الفاسد والتأويل البعيد، ومثل له الشافعية والمالكية والحنابلة بحمل الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - المرأة في قوله ﷺ: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل باطل»^(٢) على المكاتب والصغيرة، وحمله أيضاً المسكين في قوله تعالى: ﴿سِتِّينَ مَسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤] على المد فأجاز إعطاء ستين مداً لمسكين واحد.

(١) أخرجه البخاري (٢٢٥٨)، (٦٩٧٧) من حديث أبي رافع رضي الله عنه مرفوعاً، (وروي بالسین في قوله سبقه)، ويطلق السقب على القرب والملاصقة.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٥/٦)، وأبو داود (٢٠٨٣)، (٢٠٨٤) بإسناد صحيح من حديث عائشة

الحالة الثالثة: أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لا لدليل أصلاً، وهذا يسمى في اصطلاح الأصوليين لعباً، كقول بعض الشيعة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبُّوا بِقَرَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٧] يعني: عائشة رضي الله عنها.

قلت: ولمزيد بحث حول معنى التأويل انظر «محاسن التأويل» للقاسمي رحمه الله، وتفسير «المنار» لمحمد رشيد رضا رحمه الله.

التفاضل بين سور القرآن وبعضها وآيات القرآن وبعضها

ولكن هل هناك تفاضلٌ بين سور وآيات الكتاب العزيز، وإن كانت كلها حسان، وكلها من كلام الرحيم الرحمن، وكلها متقنة وإليها المنتهى في الكمال والجودة والإتقان؟
فنعم هنالك تفاضل في ذلك:

فأعظم سورة في القرآن هي سورة الفاتحة، ففي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال لأبي سعيد بن المعلى: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟» ثم قال له: «الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»^(١).

وآية الكرسي هي أعظم آية في القرآن، ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «يا أبا المنذر

(١) البخاري (مع الفتح ٩/٥٤).

أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ قال: فضرب في صدري وقال: «والله ليهنك العلم أبا المنذر». (١)

وقال رسول الله ﷺ في شأن سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١)

«والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن» (٢).

* * *

(١) مسلم (مع النووي ٦/٩٣).

(٢) البخاري (مع الفتح ٩/٥٨) وله شاهد عند مسلم (مع النووي ٦/٩٤).

شيء عن القصص القرآني

والقصص في كتاب الله عزَّ وجل كثير سواء كان قصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، أو قصص غيرهم من الصالحين، وكذا فهنالك أيضًا ذكر للأشقياء.

والطريقة في القصص القرآني: أعني لتفسيره والوقوف على معناه، وإنما تتأتى بجمع الوارد في قصة النبي الذي يُراد الوقوف على قصته فيجمع الوارد في شأنه، وينظر فيه، ومن ثم تتضح المعاني وتنجلي.

ويُلَفَّت النظر هنا إلى أن من المفسرين من تكلف في هذا الباب تكلفًا شديدًا، لا فائدة فيه، كالذي يُجهد نفسه في تعيين بلاد أصحاب الكهف وأسمائهم وأسماء قبائلهم، وكالذي يجهد نفسه في معرفة اسم المدينة التي قال الله سبحانه: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ [يس: ٢١] إلى غير ذلك.

وهذا تلكفٌ لم نُؤمر به، والعبرة حاصلة على كل حال سواء سميت القرية أم لم تُسم، ولو كان في تسميتها كبير نفع لأظهر الله عزَّ وجل اسمها أو لبينة رسول الله ﷺ.

* وهنالك من القصص القرآني قصة بسطت في موطن واحد:

كقصة يوسف عليه السلام وقصة ابني آدم، وذوي القرنين، وأصحاب الكهف، وأصحاب الجنة الذين أقسموا ليصر منها مصبحين، وقصة لقمان وغير ذلك، وثم قصص آخر بسطت في عدة مواطن، كقصة موسى عليه

السلام وغيره، فهذه يفسر بعضها بعضاً كما سلف البيان عنه من تفسير القرآن بالقرآن كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٨] مفسرة بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩] وغير ذلك.

وتمَّ اتجاه للتفسير بالإسرائيليات، وقد سبق البيان عنه وبالله التوفيق. ومن أواخر ما نزل من القرآن من السور: المائدة، وبراءة، والنصر. ومن أواخر ما نزل من الآيات آية الربا، وآخر براءة. وتواريخ النزول تفيد في معرفة الناسخ والمنسوخ.



كلمة موجزة عن بعض المفسرين وتفاسيرهم

ومن أجل التفاسير وأعظمها قدرًا وأنفعها تفسير محمد بن جرير الطبري رحمه الله:

وذلك لأنه يورد أقوال رسول الله ﷺ الواردة في الآية الكريمة، وكذا أقوال السلف الصالح الواردة في تفسير الآية، وكل ذلك مسندٌ فبذلك تبرأ ساحته، نعم قد يكون في السند من هو ضعيف أو قد تكون بالإسناد علةٌ، ولكن بإيراده السند يكون قد أدى كثيرًا مما عليه في هذا الصد.

ولا يكاد الطبري رحمه الله يخرج عن أقوال السلف الصالح في تفسيره واختياراته فهو يختار من وجوه التفسير وجهًا وينصره ويدل على قوته من وجهة نظره.

ثم إنه كثيرًا ما يورد وجوه القراءات مبيِّنًا وجه الصواب منها. وكذلك يورد معاني الكلمات ويرجح ما تقتضيه وجوه الترجيح منها، فهو تفسير نافع جدًا ومفيد.

وتفسير ابن عطية تفسير نافع ومفيد أيضًا، وتفسير الحافظ ابن كثير من أجل التفاسير وأنفعها.

وهناك اتجاهات للمفسرين منها التفسير بالرأي وبلا شك فإنه تفسير مذموم، وخاصة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وفيما يتعلق بالمسائل الغيبية.

ومنها اتجاهات فقهية في التفسير فكثير من أتباع المذاهب يفسرون القرآن تفسيراً فقهياً.

وهناك تفسيرات نحوية تهتم بالنحو وإعراب القرآن.

وتفسيرات تهتم بالنواحي البلاغية واللغوية.

وتفسيرات بالإشارات.

والكلام في هذا يطول يحتاج إلى مجلد واسع لبيان ما في هذه التفاسير ومالها وما عليها إلا أن الوصية بتفسير كالطبري وابن كثير وابن عطية والقرطبي مع بعض التحفظات تذكر في مواطنها إن شاء الله تعالى.

وليعلم أن ما يرويه الثعلبي والواحدي وغيرهما في فضائل القرآن سورة سورة إنما هو موضوع ومكذوب ولا أصل له.

والحذر الحذر من تفاسير الرافضة الضلال.

كالذين يفسرون قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ [الرحمن: ١٩] بعلي وفاطمة رضي الله عنهما.

ويفسرون: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ [المسد: ١] بأن يده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

ويفسرون: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة: ٦٧] أن البقرة عائشة رضي الله عنها.

ويفسرون: ﴿فَقَاتِلُوا آلَ مَكْحُودٍ ﴿١٢﴾﴾ [التوبة: ١٢] بطلحة والزبير رضي الله عنهما.

ويفسرون: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [يس: ١٢] أن الإمام

المبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ويفسرون: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا﴾ [مريم: ٥٠] بأن عليًا هو
 علي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

ويفسرون: ﴿بِالْحَبِيبِ وَالطَّعْنُوتِ﴾ [النساء: ٥١] بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.
 إلى غير ذلك من الترهات والأباطيل والأكاذيب عيادًا بالله.

* * *

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما شاء الله من شيء بعد.

ثم أما بعد: فهذه التي تقدمت، وكما أسلفت - طائفة من الأصول والقواعد التي يلفت نظر مريد تعلم التفسير إليها، وأسأل الله أن ينفع بها الإسلام والمسلمين وأن يتقبل مني ومن المسلمين صالح الأعمال ويغفر لي ولهم الهفوات والزلات والكبائر والصغائر آمين آمين.

هذا، وثم أبواب آخر في هذا العمل لعلها تدرج إن شاء الله تعالى في أبواب لاحقة والله المستعان.

وما كان في هذا العمل من توفيق فمن الله عزَّ وجلَّ فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، وما كان من خطأ وقصور وسهو ونسيان وذل وشطط فمن نفسي ومن الشيطان وأستغفر الله وأتوب إليه .

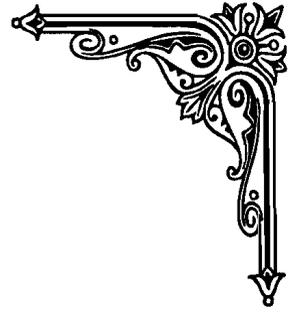
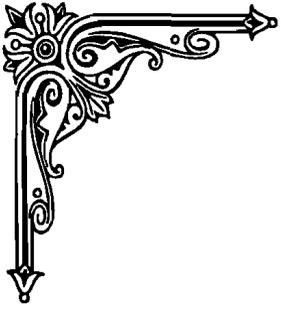
هذا، ومن وقف على خلل أو شطط فجزاه الله خيراً على تقديمه النصيح الذي حق للمسلم على أخيه المسلم، وذلك كما علمنا ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة هذا، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين.

كتبه

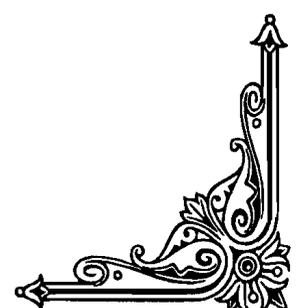
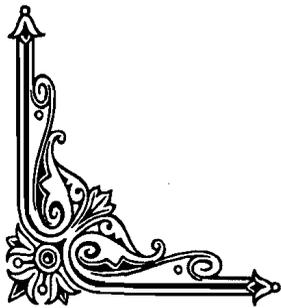
أبو عبد الله / مصطفى بن العدوي

الرابع من ذي الحجة سنة ١٤٣٣

من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه.



فهرس الموضوعات



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الموضوعات

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ٥ | المقدمة |
| ١٢ | الأصل الأول من أصول التفسير |
| ١٢ | تفسير القرآن بالقرآن |
| ٢٥ | معرفة الناسخ والمنسوخ وأثر ذلك في التفسير |
| ٤٥ | معرفة المكي والمدني وهل له أثر في التفسير |
| ٤٧ | تأثير اختلافات القراءات على التفسير |
| ٤٩ | فصل في تصريف الآيات وأثره في التفسير |
| ٦٧ | الأصل الثاني من أصول التفسير |
| ٦٧ | تفسير القرآن بسنة النبي عليه الصلاة والسلام |
| ٦٨ | إن سنة رسول الله ﷺ توضح ما أجمل في كل الأبواب |
| ٧٧ | فصل في آيات فسرها رسول الله ﷺ وألفاظ بينها صلوات الله وسلامه عليه |
| | فصل في بيان آيات قد تفهم على غير وجهها فيسبب النبي ﷺ الوجه الصحيح للآيات ومعانيها |
| ٩٧ | وكذلك فالسنة توضح ما أجمل من القصص القرآني |
| ١٠٢ | فصل في أحاديث طوال وردت عند ذكر بعض الآيات |
| ١٠٥ | قصة الثلاثة الذين خلفوا وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ [التوبة: ١١٨] |
| ١٠٦ | حديث الإسراء |
| ١١٣ | حديث فيه ذكر يأجوج ومأجوج وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُجِّعَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ |
| ١١٧ | حديث الإفك ونزول الآيات بترثة عائشة ؓ |
| ١٢٧ | قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَلْبَيْنِ﴾ (٣٣٨) [البقرة: ٢٣٨] |
| ١٢٧ | قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَيَأْمَنُنَّ بِمَنَّا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] |

الصفحة

الموضوع

- قوله تعالى: ﴿سَيَطُوفُونَ مَا حَبَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠] ١٢٨
- وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ١٣٠
- قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] ١٣٠
- قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَلِمَةٌ﴾ [هود: ١٠٢] ١٣١
- قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٣﴾﴾ ١٣١
- قوله تعالى: ﴿فَلَا نُفِئُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنَا ﴿١٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٥] ١٣٢
- قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي عَقْفَةٍ﴾ [مريم: ٤٠] ١٣٢
- وكذا قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾ [الأنبياء: ٤٧] ١٣٢
- قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وكذا قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] ١٣٣
- قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ﴾ [الحج: ٢] ١٣٣
- قوله تعالى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِن نَّفْسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] ١٣٤
- صيغة للصلاة على رسول الله ﷺ وهذا داخل تحت قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦] ١٣٤
- المراد بقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣١﴾﴾ [ق: ٣٩] ١٣٤
- قوله تعالى: ﴿وِظَلِّ مَتَدُورٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة: ٣٠] ١٣٥
- بعض ما يكون ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] ١٣٥
- قوله تعالى: ﴿وَنَقَسَ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧-٨] ١٣٥
- قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَانْفَك ﴿٥﴾﴾ [الليل: ٥] ١٣٦
- قوله تعالى: ﴿يَمَعَهُ اللَّهُ الرَّبُّوَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة: ٢٧٦] ١٣٦
- وقد يفهم من هذا بيان عدد الأمم إجمالاً ١٣٧
- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ١٣٧
- بيان المقام المحمود المذكور في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧١﴾﴾ ١٣٧
- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: ١٠، ١١] ١٣٧

الصفحة

الموضوع

- ذكر المراد بالآثار، ويمكن تنزيله على قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَيَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ ﴾ [يس: ١٢] أي: آثار الخطي ١٣٨
- ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [الانفطار: ١٠-١١] ١٣٨
- قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِحَمَمِهِمْ هَلْ أَمْتَلَأْتِ وَيَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ق: ٣٠] ١٣٩
- وقوله تعالى: ﴿ أَفَتَرَبَّتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾ [القمر: ١] ١٤٠
- تفسير العزيزين في قوله تعالى: ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المعارج: ٣٧] ١٤٠
- ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَسِجَاءٌ يَوْمَئِذٍ يُجَاهَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفجر: ٢٣] ١٤٠
- فصل ١٤٠
- فصل في أسباب النزول ١٤٣
- الأصل الثالث من أصول التفسير ١٨٢
- التفسير بأقوال الصحابة رضي الله عنهم ١٨٢
- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ١٨٣
- عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ١٨٥
- علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٨٨
- هل تفسير الصحابي له حكم المرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ١٩٥
- المفسرون من التابعين ١٩٧
- تعريف الإسرائيليات ١٩٨
- أمثلة للإسرائيليات ٢١١
- علماء عرفوا برواية الإسرائيليات ٢١٤
- الأصل الرابع من أصول التفسير ٢١٥
- الأصل الرابع من أصول التفسير ٢١٥
- تفسير القرآن الكريم بما تقتضيه لغة العرب ٢١٥
- درء التعارض ٢٢٣
- اختلاف التنوع واختلاف التضاد ٢٣٠

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ٢٣٧ | التضمين |
| ٢٤٠ | تقدير المحذوف |
| ٢٤٢ | ترجمة القرآن |
| ٢٤٢ | الالتفات والتحول في الخطاب |
| ٢٤٤ | العام المخصوص |
| ٢٤٥ | القسم في القرآن الكريم |
| ٢٤٨ | العام المخصوص |
| ٢٥١ | المجاز في القرآن الكريم |
| ٢٥٨ | نفاة الصفات والمجاز |
| ٢٦١ | الحاصل في أمر المجاز |
| ٢٦٢ | الأمثال في كتاب الله عز وجل |
| ٢٩٦ | متفرقات |
| ٢٩٦ | فصل في نزول القرآن |
| ٢٩٨ | المحكم والمتشابه |
| ٣٠٧ | التفاضل بين سور القرآن وبعضها وآيات القرآن وبعضها |
| ٣٠٩ | شيء عن القصص القرآني |
| ٣١١ | كلمة موجزة عن بعض المفسرين وتفسيرهم |
| ٣١٤ | الخاتمة |
| ٣١٥ | فهرس الموضوعات |

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



مكتبة آية